حياة الإيمان



فيوليت ترافيلا



نقطة تحول فيوليت

مارثا فنلي



نقطة تحول فيوليت

حياة الإيمان

الكتاب الثالث

فيوليت ترافيللا

مارثا فنلي

نقطة تحول ڤيوليت

القاهرة - مصر

٢٠٠٨





مكتبة دار الكلمة Logos
١٦ شارع محمود بسيوني - من ميدان الشهيد عبد المنعم رياض-
الدور السابع- شقة ٢١- وسط البلد - القاهرة - مصر

(+٢٠٢) ٢٥٧٩٨٤١٤
٠١٦١٣٧٣٢٩٨ _ ٠١٨٦٥٤٨٣٨٨
www.el-kalema.com
kids@el-kalema.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

Originally published in the U.S.A. under the title:
Vielot's Turning Point, Book 3

الفهرسة بدار الكتب المصرية
فنلي، مارثا.
نقطة تحول فيوليت/ مارثا فنلي؛ ترجمة إيفيت صليب- القاهرة: مكتبة دار الكلمة، ٢٠٠٧
٢١٤ ص؛ ٢١ سم. - (حياة الإيمان؛ ٣. فيوليت ترافيلا)
تدمك ٨ ١١٣ ٣٨٤ ٩٧٧
١- القصص المسيحية
أ- صليب، إيفيت (مترجم)
ب- العنوان ٢٧٣,٢

الجمع: زهور برنابا
المراجعة اللغوية: محمد السيد هلالي
الإخراج الفني وتصميم الغلاف: چرمين شفيق
رقم الإيداع: ٢٣٥٥٦/ ٢٠٠٧
ISBN :977- 384 -113-8

المحتويات

مقدمة

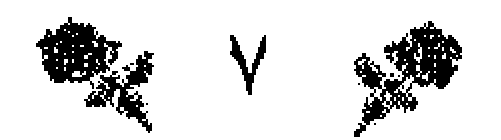
عاشت فيوليت الصيف الذي أتمَّت فيه السادسة عشر من عمرها مغامرةً أخذتها إلى روما، بايطاليا، وفتحت عينيها على عالمٍ أبعد من حياتها المريحة مع عائلتها في مزرعة أيون. وتبدأ قصتنا الآن بعدها بعامين وهي في الثامنة عشر والتزامها بخدمة الله عن طريق خدمة الآخرين على وشك أن تُمتحَن. ففي نقطة تحوُّل فيوليت- الجزء الثالث من حياة الإيمان لسلسة حياة فيوليت ترافيللا- ستقوم فيوليت بزيارة نيويورك، وبمساعدة أصدقاء قُدامَى وجدُد ستكتشف أنَّ خدمة الآخرين يمكن أن تكون أصعب بكثيرٍ مما يمكن أن تتخيَّل.

تمَّ ابتداع شخصية "في" ترافيللا (وكل شخصيات عائلة دينسمور وترافيللا) في القرن التاسع عشر من الآنسة مارثا فنلي، المدرِّسة التي كرَّست النصف الأخير من حياتها لكتابة كتبٍ عن الإيمان المسيحي للشباب. لقد كانت الآنسة فنلي تفهم رغبة الشباب واحتياجهم لقصصٍ تطبِّق القيم المسيحية الخالدة لمواجهة التحدِّيات العصرية التي يقابلونها. وبالرَّغم من مرور قرنٍ ونصفٍ على كتابة هذه القصص إلا أن مواضيع الآنسة فنلي المُلهمة لم تزل يانعةً وصحيحةً وحقيقيةٌ للشباب المسيحي كما كانت في أيام كتابتها. وتفخر دار نشر إرسالية المدينة (mission city press) باستمرار التزامها بإصدار كتب حياة الإيمان القائمة على شخصيات وقصص الآنسة فنلي التي لا تُنسى.

يستطيع قراء سلسلة قصص حياة فيوليت ترافيللا معرفة ما كانت عليه الحياة في عصرٍ آخرٍ ومشاركة فيوليت في مغامراتها المستمرة في مواجهة اختيارات لا تختلف كثيرا عما يواجهونه اليوم.

تاريخٌ مختصرٌ لمدينة نيويورك

إنَّ مدينة نيويورك التي زارتها "في" عام 1881م لا تُشبه على الإطلاق مدينة نيويورك التي نراها اليوم لسببٍ واضحٍ ومُباشر- فلا يوجد بها



ناطحات سحاب! لكنها كانت بالفعل أكبر وأكثر مدن أمريكا إثارة- عاصمة العالم المالية والتجارية ومركزٍ فنيٍّ وأدبيٍّ وتسليةٍ مُتنامٍ.

تعتبر نيويورك أيضاً أقدم مدن أمريكا. فقد جذب موقعها منذ البداية الأوربيين الذين توسَّموا فيها قدرتها على أن تكون موقعاً تجارياً وشحناً هاماً. فالجزيرة الطويلة الضيِّقة لمانهاتن (الذي يعتبرها معظم الناس مدينة يورك) تمتدٌّ تقريباً من الشمال للجنوب بين نهر هدسون في الغرب ونهر هارلم وأنهار الشرق في الشرق. التي تتدفَّق إلى المحيط الأطلنطي مباشرة ً مانحةً ميناءاً كبيراً وحامٍ للسفن عابرة المحيط.

كان سكان مانهاتن الأصليين من الهنود الحمر من قبيلتي الالجونكين والايروكيوس. ووصل إليها أول أوربيين عام1524م، حين أبحر الايطالي جيوفاني دا فيرازانو من فرنسا ودخل المَرفأ وأطلق عليه اسم سانتا مرجريتا، لكن الهولنديين هم الذين استقروا بها. وبناء على تقارير من هنري هدسون الانجليزي الذي استكشف المنطقة عام 1609م، فقد أسَّست الشركة الهولندية الغرب هندية محطةً تجاريةً على القمة الجنوبية للجزيرة. واستمرَّ قُدوم المستعمرين وعلى حلول عام 1626م- حين اشترى بيتر مينيت الجزيرة من أهالي قبيلة المانات الهندية – كانت مستعمرة "أمستردام الجديدة" مركزاً نشطاً للتجارة بالفعل.حيث كان الفراء والحبوب والبضائع الأخرى تُجلب عبر نهر هدسون (المسمى على اسم مكتشفه) من نيوانجلند وكندا وتُشحن إلى أسواق أوروبا. كما تباهى الكولونيل مانهاتن بوجود العديد من مزارع وحقول القمح والمراعي في الأجزاء الوسطى والشمالية من الجزيرة، حيث ترتفع المباني العالية اليوم، بالإضافة إلى مينائها المشغول والنَّشط.

تم تسليم أمستردام الجديدة عام1664م إلى أسطول البحرية الانجليزية المُرسل للمنطقة من دوق يورك فأعيد تسمية المدينة بنيويورك. وبالرَّغم من وصول عديد من العاملين من العديد من البلدان الأوربية واستيراد العبيد الأفارقة على نيويورك، إلا أنها حافظت على سماتها الهولندية والانجليزية جيدا حتى القرن التاسع عشر.

أسَّس الحكام الهولنديين سياسة التَّسامح الديني، لدوافعٍ سياسيةٍ أكثر منها روحية، وتبِعهم الانجليز بشكلٍ عامٍ. لكن على الجانب الآخر، وُجدت فتراتٍ من الكبت الديني والصراعات العرقية تحت كل من

الحكم الهولندي والانجليزي. فقد كانت معاملة الأمريكان من أصل أفريقي أثناء الثلاثين عاماً الأولى من 1700م شديدة القسوة بشكلٍ خاصٍ. كما نشأت أيضا مشاكل بين عائلات التجار الهولنديين والانجليز، الذين اعتبروا أنفسهم طبقة خاصة من الصَّفوة من ناحية، وبين طبقة المهاجرين العاملة الذين أتوا من أوروبا ولاحقاً من منطقة الكاريبي وأسيا. تعتبر تقاليد نيويورك ذات السُّلالات والأوطان المتنوِّعة قديمةً قدمِ المدينة نفسها، فقد قدَّر قس كاثوليكي عام 1643م وجود ثماني عشر لغةٍ مختلفةٍ يتمُّ التحدُّث بها في نيو أمستردام.

كان سكان نيويورك عام 1700م قد وصلوا لخمسة آلاف شخصٍ. (تتكون نيويورك اليوم من خمس مقاطعات مختلفةٍ تُدعى بلدة وهي مانهاتن وبروكلين وكوينس وبرونكس وجزيرة ستاتن، ويقطُنها أكثر من ثمانية ملايين شخص).

نمَت الجزيرة والمقاطعات التي حولها في النصف الأول من القرن الثامن العشر، لكن الحكام الانجليز- الذين انتفعوا من هذا الفلاَّح- حاولوا تحميل سكان المستعمرات بضرائبٍ تفوق طاقتهم. فثار تجار نيويورك، وأصبح الصراع بين السكان المحليين والجنود الانجليز المعسكرين في المدينة أمراً روتينياً. وما يعتبره العديد من المؤرخين أول "معركة" للثورة الأمريكية حدث في مانهاتن- في القاعة الذهبية، بقُرب "قاعة المدينة" اليوم- قبل إعلان الاستقلال بستِّ سنواتٍ.

وحين قامت الحرب الأهلية بكلِّ قوَّتها في صيف عام 1776م، حاول الجنرال جورج واشنطن تأمين سلامة ميناء نيويورك الاستراتيجي على الفور، لكن جيش ساكني المستعمرات الذي كان لديه لم ينجح في العديد من المعارك، وظلَّت نيويورك مستعمرةً من القوات البريطانية. وعانى اقتصاد المدينة وقلَّ عدد سكانها خلال السبع سنين التي كانت فيهم تحت الاحتلال البريطاني، كما حدث فيها حريقان مدمِّران دمَّرا معظم مباني عصر سكان المستعمرات.

كانت فترة ما بعد الحرب أفضل بكثيرٍ للمدينة، فبناءاً على إحدى فقرات الاتحاد الكونفدرالي، أصبحت نيويورك أول عاصمة للولايات المتحدة الأمريكية. وفيها تم تنصيب جورج واشنطن كأول رئيس للجمهورية، كما تمَّ فيها انعقاد أول اجتماعات للكونجرس الأمريكي

والمحكمة العليا. واستمرت مدينة نيويورك كعاصمةٍ لأمريكا حتى عام 1797م. وعلى عام 1800م كانت مدينة نيويورك قد أصبحت أكبر مدينةٍ في الولايات المتحدة الجديدة بتعداد حوالي 30,000 ساكن.وتضاعف هذا الرقم في عشر سنينٍ فقط- مُعلناً عن قرنٍ من النموِّ الغيرِ طبيعيٍّ.

استمر اقتصاد المدينة مركَّزا على موانيها. وتم الانتهاء من قناة أيري عام 1826م التي تصل بين البحيرات العظمى ونهر هدسون. كما تمَّ بناء قنوات عدَّة في ولايات أخرى مثل أوهايو وأنديانا، وحتى عام 1840م أصبح من الممكن شحن البضائع ونقلها بين نيويورك ونيوأورلينز بطرقٍ مائيةٍ داخليةٍ. وعلى منتصف القرن التاسع عشر كان مرور الناس والبضائع خلال مواني نيويورك أكثر من كلِّ مواني الولايات المتحدة مُجتمعةٍ.

كانت نيويورك تنمو أيضا كمركزٍ للبنوك وللمال والاقتصاد والتأمين والصناعة. وقد اِفتتح ألكسندر هاملتون أول بنك في المدينة عام 1784م، وتم تنظيم بورصة نيويورك عام1817م. وأصبح وول ستريت (الذي سمي على اسم حصنٍ خشبيٍّ بناه العبيد أثناء حِقبة المستعمرات الهولندية) المركز المالي للمدينة. كما تم إنشاء العديد من الصحف بما فيها جريدة هوراس جريلي "نيويورك ترابيون" (صوت الأمة الرائد والقائد ضد العبودية) في عام1841م ونيويورك تايمز عام 1851م، وتم إنشاء أيضا شركات للكتب والمجلات سُرعان ما جعلت من نيويورك مركزِ طباعةِ الأمةِ.

في عام 1811م، تبنَّى القائمين بأمر المدينة الخطَّة الأوليّة للشوارع والمباني. وبدأت نظم المياه والمجاري في بداية الأربعينات من القرن التاسع عشر ببناء خزانِ مياهٍ ضخمٍ فيما يعرف اليوم بميدتاون مانهاتن. وبدأت المباني السكنية والتجارية تحلُّ محل المناطق الشمالية الزراعية للجزيرة. وبِذا كانت نيويورك التي نعلمها اليوم تأخُذ شكلها.

زادت الصناعة والمصانع بشكلٍ دراماتيكي أثناء الحرب الأهلية. فبناء السفن، الذي كان دائماً صناعة مهمة، تضمَّن الآن بناء السفن الحربية والشحن. ومدَّت السكك الحديدية جيوش الاتحاد بالبضائع المصنوعة بالمدينة أو المشحونة إليها. وبالرَّغم من شغب معارضي قانون التجنيد الإجباري عام1863م (الذي أثناءه وجه سكان نيويورك غضبهم نحو

قانون التجنيد الإجباري الصادر من الحكومة الفيدرالية لسكان المدينة الأمريكان من أصل أفريقي، والذي كان من ضمن نتائجه المأساوية إعدام ثماني عشر رجلٍ بريء على الأقل دون محاكمةٍ وحرق ملجأ للأطفال الأمريكان من أصل أفريقي). إلا أن مدينة نيويورك أرسلت جنود للاشتراك في الحرب أكثر من أيِّ مدينةٍ أخرى.

ازدهرت المدينة والأمة بعد الحرب الأهلية. وتمكَّن بعض الناس من جمع ثروات ضخمة من الصناعات الجديدة والسكك الحديدية، وكان التفاؤل بلا حدود. لكن قاد النمو الاقتصادي السريع والغير محكوم لفسادٍ واسع المدى في قطاع الأعمال والحكومة. فأدى انهيار أحد شركات نيويورك الاقتصادية العظمى في سبتمبر1873م إلى هلعٍ وفزعٍ في مجتمعها، وبدأ واحدٌ من أسوء فترات الكساد الاقتصادي. عانت منه الأمة كلها- الفلاحين على وجه الخصوص- لمدَّة أربع سنوات حتى بدأ الاقتصاد أخيرا في التحسُّن.

نيويورك في الثمانينيات من القرن ١٩

كانت مدينة نيويورك في عام 1881م حين زارتها "في" قد استعادت ازدهارها مرةً أخرى. لم تكن مدينة ناطحات السحب بعد، لكنها كانت مؤثِّرة. فالبناء يجري في كل مكان، وكان سكان نيويورك يضعون نُصب أعينهم بناء جسرِ بروكلين الضَّخم المرتفع فوق النَّهر الشرقي. الذي حين أُفتتح في 1883م، كان أطول جسراً معلَّقاً في العالم.

وكان تمثال الحرية الضَّخم تمثال آخر يُحلِّق، بالرَّغم من كونه لا يزال قطعاً منتشرةً في المدينة، وكان بإمكان السياح التَّسلق داخل يده المعروضة بميدان ماديسون ممسكين بمشعلٍ. وقد تم شحن قطع التمثال من فرنسا، لكن لم يكن من الممكن عرضه دون قاعدة، فبدأ جمع تبرعات لبناء القاعدة في 1884م، وحثَّ جوزيف بولتزر ناشر أحد الصحف قراءَه على المساهمة. وبأكثر من 120,000 متبرع (تتراوح تبرعاتهم من عدَّة بنسات إلى آلاف الدولارات) تم الانتهاء أخيراً من بناء القاعدة، وتم افتتاح تمثال سيدة الحرية رسمياً في 1896م.

كانت نيويورك عام 1881م لا تزال تُضاء شوارعها بلمبات غاز، لكن كان هذا على وشك التغير. فبتمويل من مستثمرين أغنياء، استطاع

توماس ألفا إديسون من بناء نظام إضاءة كهربائي في منطقة وول ستريت. وبدأت أول إنارة كهربائية خارجية في سبتمبر 1882م. ومع تحسين سطوع زجاج اللمبات المنزلية،سرعان ما أضاءت الكهرباء المنازل والمحال والمكاتب في كلِّ مكانٍ في المدينة.

كان سكان نيويورك يستطيعون الطَّواف في المدينة سيراً على الأقدام، وفي عربات تجرُّها الخيول ومركبات مفتوحة، وحافلات شوارع- أتوبيسات تجرُّها الخيول على خطوط سير معدنية. وتم افتتاح أول سكك حديدية مرتفعة تعمل بالبخار في عام1868م. وحين زارت "في" نيويورك كان باستطاعة المسافر أن يركب القطار العُلوي من النهاية الجنوبية لمانهاتن حتى سنترال بارك. وكان استخدام الخيول يجعل من مهمَّة نظافة الشوارع مهمةً لا تنتهي. لكن على نهاية القرن، كانت عربات الشوارع تسير بالكهرباء، والعمل في مترو أنفاق نيويورك الشهير يجري على قدمٍ وساقٍ.

كان التليفون اختراعاً آخرًا يغيِّر من وجه نيويورك عام1881م. فقد عرض ألكسندر جراهام بل التليفون لأول مرة في احتفال فيلادلفيا المئوي عام1876م. لكن كان استخدام التليفونات محدود في نيويورك بعدها بسنتين لغلوِّ تكاليف استخدامها، مما جعل معظم زبائنها الأوائل من رجال الأعمال لقضاء أعمالهم، لكن ازدهر استخدام التليفون الخاص في التسعينات من القرن حين انخفضت تكاليف استخدامه، لأنَّ نيويورك كانت في طريقها لتصبح مركزاً لاتصالات الأمة التليفوني.

استطاعت "في" أثناء زيارتها للمدينة أن تستمتع بجمال سنترال بارك(الحديقة العامة المركزية) المُبهر-أول حديقةٍ عامةٍ لمنظرٍ طبيعيٍ ريفيٍ في مدينة في أمريكا. والمكان- طوله ميلان ونصف وعرضه نصف ميل-وتم اختياره بسبب أرضه الصَّخرية ومستنقعاته التي لم تكن مناسبة للتطوُّر السكاني ونموِّ الأعمال. وصمَّمها كلٌّ من فريدرك لو أومستيد وكالفرت فوكس لتكون طبيعيةً قدْر المستطاع. كان العمل صعباً جدا، لأنه فعليًّا كان يجب بناء وزراعة كل ما بدا طبيعياً جدا بما فيه بحيرات المُتنزه والبرك الجليدية الصالحة للتزلج، والمروج الكبيرة والمناطق الخشبية. فقد تمَّ نقل ما يقرب من خمس وأربعين مليون قدمٍ مكعبٍ من التراب والصخور، وتم وضع أكثر من مئات الأميال لأنابيب

شبكة مصارف المياه. وتم حفر شوارع مستعرضة بالخارج تحت مستوى الأرض. وبالرَّغم من افتتاح جزءٍ صغيرٍ من المُنتزه في عام 1858م- بعد بدء البناء فيها بعام- استمر العمل لمدة عشرين عام تقريبا، بعمل آلاف من العمال الذين كانوا يعملون عشر ساعات في اليوم، ست أيام في الأسبوع، بمرتبات تتراوح بين 6-9 دولار في الأسبوع.

سريعاً ما أصبحت سنترال بارك(المنتزه المركزي) مكان لتجمُّع الأثرياء الذين يحبون التَّباهي بعرباتهم الفاخرة وملابسهم الأنيقة ليراهم الجميع. أما فقراء المدينة وطبقاتها العمالية فكانوا يعيشون في أماكن بعيدةٍ جداً عنها ولم يكن بإمكانهم دفع أجرة حافلات الشارع. ظل الحال هكذا، حتى بدايات القرن العشرين حين بدأت المدينة في تقديم أنشطة المنتزه في أيام الأحد- اليوم الوحيد الذي يرتاح فيه العمال من أعمالهم.

ظلَّ العديد من أبناء التجار الهولنديين والبريطانيين الارستقراطيين على العيش في أحياء على النهاية السفلى للجزيرة، أما الجيل الجديد للمدينة من الرأسماليين الأثرياء فجذبتهُم السنترال بارك، فبدؤوا في بناء منازلهم حولها. وكان أفضل موقع هو الشارع الخامس الذي يجري بطول المنتزه.

بدأ ألكسندر تيرني ستيورات القطب الشهير هذا الاتجاه في المقاطعة الزَّاخرة بمنزله الرُّخامي الذي تكلف بناؤه 3مليون دولار وأكمله في عام1869م. وحتى لا يغلب،قام وليم فاندربلت (أكثر الناس ثراء في الدولة حينها) ببناء قصرين في الشارع الخامس في بدايات الثمانينيات من القرن، وجنباً إلى جنبٍ، أمدُّوا المدينة بمبانٍ تكلفت حوالي6-7 مليون دولار. وقد جعل هذا العرض الزائد عن الحد للثروات لإطلاق الكاتب الشهير مارك توين على هذه الحِقبة ب"عصر أمريكا المطليّ بالذهب".

بالرَّغم من قول المعلقين في ذلك الوقت أن مثل هذه القصور الضخمة ستبقى للأبد،إلا أن معظم المنازل عبر خط القصور قد تم هدمها في النهاية. (لم يبقَ سوى القليل. على سبيل المثال: مجموعة فريك التي تقع في المنزل القديم لهنري كلاي فريك الذي جمع ثروته من صناعة الحديد. يستطيع زُوار اليوم لها رؤية مجموعةٍ رائعةٍ وفخمةٍ من اللوحات الفنية التي منحها فريك للمدينة، كما يمكنهم من خلالها تذوُّق أسلوب حياة

أكثر سكان نيويورك ثراءاًفي وقت "في").

رغب العديد من سكان نيويورك الأثرياء من جعل مدينتهم مركزاً للثقافة مقارنةً بباريس وروما ولندن. لذا ساهموا في إنشاء متاحف مثل متحف المترو بوليتان للفنون(افتتح عام1870م) ومتحف التاريخ الطبيعي(افتتح عام1869م) وشيَّدوا المكتبات الضخمة مثل مكتبة أستور وعضَّدوا مؤسسات نيويورك التعليمية بما فيها جامعة كولومبيا (تم تأسيسها على غِرار كنجز كولدج في عام1754م)، وجامعة نيويورك(1831م) وجامعة فوردهام(1851م).

انجذب الكتاب والفنانين من كل أنحاء الدولة لنيويورك مثل رسامي نهر هدسون وشعراء مثل ويتمان واو هنري. كما تمَّ كتابة بعضٍ من أكثر الروايات المدركة لحياة الطبقة العليا من خلال كتاب نيويورك الأصليين مثل إيدث وارتون وهنري جيمس، وازدهرت أيضا الموسيقى والمسرح.

ذاع صيت نيويورك عالمياً كعاصمةٍ للموضة بسبب صناعة الملابس التي كان ما يقرب من نصف عمال المدينة يعملون بها على عام 1910م. وكان سكان نيويورك في ثمانينيات القرن التاسع عشر مولَعيين بالرياضة أيضا- من كرة قدم الجامعة حتى سباق الخيول، ومن ركوب اليخوت في الميناء حتى السباحة في جزيرة كوني، هذا بجانب العديد من الشواطئ الخاصة التي تصطفُّ على شواطئ البلدان الخمس للمدينة.

كانت نيويورك الثمانينيات من القرن التاسع عشر لمن لديهم المال الكافي ووقت الفراغ- الطبقة العليا و الوسطى بدرجةٍ أقل- بمثابة أكثر مدينةٍ روعةً وجمالاً بحق في أمريكا. في حين كان الظلام الشديد يقبَع تحت هذا السطح البرَّاق.

الفقر والمدينة

تم تشييد المدينة المُبهرة بأيدي مئات الألوف ممن استثنوا من ازدهارها، ومن خلال "نقطة تحوُّل "في"" ستتعرَّف على الفقر بشكل لم تكن تعرفه من قبل.

ففيما بين 1850م1900-م سافر حوالي 17مليون رجل وامرأة وطفل عبروا المحيطات ليصلوا إلى شواطئ الولايات المتحدة- ربَّما معظمهم

المقدمة

في مدينة نيويورك حيث كانت جاردن كاسل(مركز المدينة الرئيسي للمهاجرين قبل افتتاح جزيرة إلليز) أول خطواتهم. وكان معظمهم آتٍ أساسا من مناطق فقيرةٍ نائيةٍ لأوروبا. والعديد منهم لم يكن يملك من المال سوى ما يكفي مصاريف رحلته، والضريبة العامة المحصّلة عند الوصول، وربما تذكرة قطار لمقصدهم النهائي. جلب البعض ملابس أكثر قليلا وضعوها على ظهورهم، لكن تشارك الجميع في حلم عيش حياةٍ أفضل لهم ولعائلاتهم.

اعتبر من لهم عائلة في الولايات المتحدة من المهاجرين المحظوظين، لكن كانت الغالبية من الشباب من الجنسين- غالبا في سن المراهقة- وعائلات شابةٍ عليهم صنع مستقبلهم بأيديهم في بلدٍ غريبٍ وجديدٍ. سافر العديد من المهاجرين إلى المناطق الغربية والوسطى من الأمة حيث تمكّنوا من الحصول على أراضٍ ومزارعٍ وبدءوا عملاً تجارياً أو صناعياً وساهموا في الاستيطان في المقاطعات الجديدة. على الجانب الآخر، ظلّ الغالبية العظمى بقُرب الساحل الأطلنطي الشرقي باحثين عن عمل في الصناعة والتصنيع. وازدحموا مكوِّنين المدن الكبرى- شيكاغو، وبوسطن وفيلادلفيا وبيتسبرج وسنسناتي ونيويورك على وجه الخصوص- وعلى حلول 1890م كان أربعة من كل خمس أشخاص في منطقة نيويورك الكبرى إمّا مهاجراً جديداً أو طفلاً لعائلةٍ مهاجرةٍ. كما جذبت المدن أيضا العديد من الأمريكان من أصلٍ أمريكي. فأحداث مثل كساد عام1873م الذي دمّر العديد من المزارع دفع بالشباب الذي يحيا في مجتمعات قروية إلى المدن، باحثين عن عمل ونصيب في الحلم الأمريكي.

كانت نيويورك ومثيلاتها من المناطق المدنية غير مؤهّلة لاستقبال مثل هذه الأعداد الضخمة من الناس الجدد، كما لم يكن هناك تقريبا أي خدمات تقدم لمساعدة المهاجرين على التكيّف مع وطنهم الجديد. فكان شبه مستحيل الحصول على منزلٍ لائقٍ في نيويورك، وكان المهاجرين يُكدّسون في منازلٍ مكوّنةٍ من عدّة شققٍ حيث تُدفع بعائلاتٍ كاملة لتحيا في حجرة أو اثنين صغاراً بلا نوافذٍ أو مياه أو صرفٍ صحي. كما لم يوجد تقريبا أي مراعاةٍ للصحة العامة والرعاية الطبية. كانت هذه المنازل خانقةً في الصيف، وقارصةَ البرودة في الشتاء، ودائماً معرّضة

لانتشار الأوبئة القاتلة مثل الكوليرا والتيفود والحمى الصفراء والجدري. كما حصد السُّل آلاف الأرواح. هذا بجانب الحرائق التي كانت تمثِّل تهديداً شبه دائم، مع عدم وجود أي وسيلةٍ للهرب منها إلا نادرا. كانت الجريمة متفشِّية، ومع هذا كان وجود البوليس شبه مُنعدم، ولم يكن لدى الفقراء القدرة على المطالبة بالحماية أو العدل.

كان قلَّة من المهاجرين يتحدَّثون الانجليزية أو يفهمونها، لذا مالوا نحو العيش مع أناس من نفس وطنهم الأم أو أصلهم العرقي. فتجمَّع الألمان مع الألمان، والايرلنديين مع الايرلنديين، والايطاليين مع الايطاليين، وهكذا. وانعكس هذا التراث العرقي على أسماء العديد من الأحياء في نيويورك اليوم- مثل ايطاليا الصغيرة، هارلم الأسبان، ومدينة الصين.

كان من يحصل منهم على عملٍ يُحال إلى أدنى وأكثر المواقع فقراً في المرتَّب، ويعمل لإثني عشر ساعة وأكثر في اليوم. كانت أماكن العمل خطرةً، وقلة من أصحاب العمل يشعرون بضرورة حماية موظفيهم، فلم يكن هناك قانون ينظِّم العمل أو أوقاته أو المرتَّبات أو يضمن أمان العامل. لم يكن من المفروض أن يعمل الأطفال تحت سن الثالثة عشر لكنهم كثيراً ما كانوا يعملون. لم يكن هناك شيء يُدعى بالتأمين الصحي وكان العاملين الذين يصابون أثناء العمل يُنفقون على أنفسهم دون مساعدةٍ من أحدٍ.

تعتبر حقيقةً محزنةً ومن المؤسف القوْل بأنَّ الحكومة بما فيها البوليس والقضاء لمعظم أكبر المدن الأمريكية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت فاسدةً. فكان السياسيون مع رجال الصناعة الأثرياء يتآمرون ضد كلِّ محاولةٍ أو مجهود يُبذل لتحسين أوضاع الفقراء. فمنازل المدينة التي كان يسكنها المهاجرون مملوكةٌ لملاك لا يفعلون شيء لتقديم أساسيات العيش المحترم، بالرَّغم من أنَّ هؤلاء الملاك لم يتردَّدوا لحظةً في طلب مبالغٍ ضخمةٍ كإيجارٍ لهذه المنازل.

أحدثت الجهود المبذولة في الإصلاح بعض النتائج لكن القوانين المقرَّرة لتحسين الأوضاع المعيشية والمستوى الصحي كان صعب تنفيذها، كما تضمَّنت معوِّقات التغيير تحيُّزاً وتحاملاً واسع المدى ضد الفقراء. فقد كان العديد من الأمريكان المسيحيين يعتنقون فكرة أنَّ الفقر يأتي نتيجةً لضعفٍ أخلاقي. وكما قال هنري وارد بيتشر، واحد من أكثر القسس

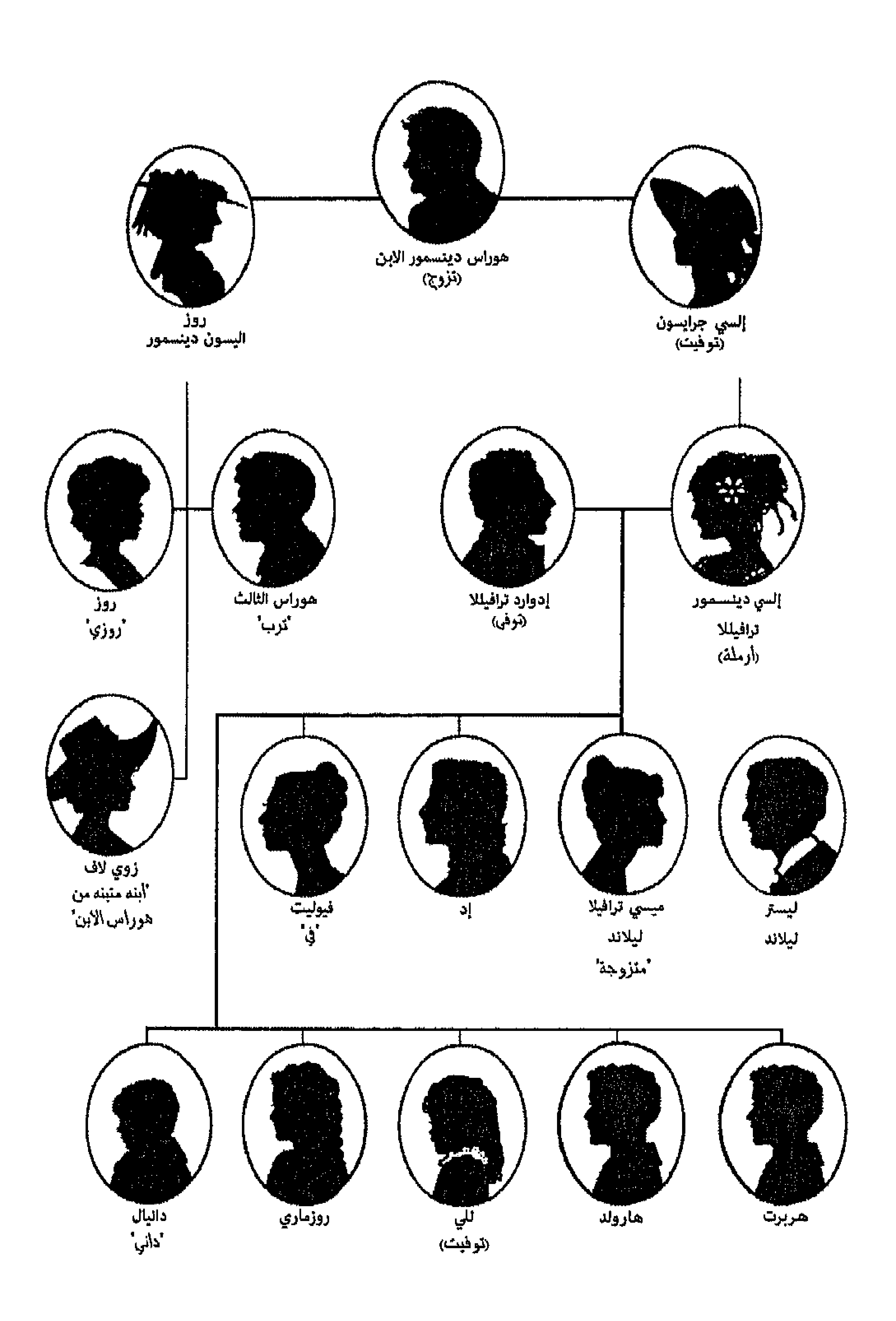
البروتستانت تأثيرا في وقته، في أحد المرات: ...لا يوجد رجلٌ على هذه الأرض يعاني من الفقر- إلا ويكون هذا نتيجة خطأه- أي بسبب خطيَّته.

كان الأغنياء والفقراء في نيويورك أواخر القرن التاسع عشر لا يفصلهم سوى عدَّة تجمُّعات مدنيةٍ قليلةٍ، لكن يمكن أن تكون في نفس الوقت بمثابة محيطٍ. فحين أخذ صحفيٌ يدعى جاكوب أوجست ريس، مهاجرٌ من الدانمرك أيضا، كاميراته وذهب للمنطقة الفقيرة في الجانب الشرقي السفلي- أفقر أحياء المدينة- وسجَّل الظروف المعيشية التي رآها خلال حياته كمحررٍ بوليسي. ودوَّنها في كتابٍ تحت عنوان " الطريقة التي يحيا بها النصف الآخر" (عام1890م) روَّع كتابه العديد من الناس الصالحين الذين من ضمنهم ثيودور روزفلت، الذي كان قائد شرطة مدينة نيويورك حينها. كان لريس تحيُّزه الشخصي أيضا، لكن يعتبر كتابه واحداً من أهم الكتب التي تحثُّ على الإصلاح الاجتماعي في الولايات المتَّحدة على الإطلاق.

نرى في "نقطة تحول فيوليت" شيئاً مباشراً عن الأوضاع التي وصفها جاكوب ريس. كما سنرى أن ما تعلمته في المدينة سيكون له تأثيرٌ عميقٌ على إصرارها على أن تحيا حياة الإيمان والخدمة.

شجرة حياة عائلة

ترافيللا / دينسمور



مكان وزمان الرواية

تبدأ الرواية في جامعة مدينة في ولاية شرقية في بداية يونيو من عام ١٨٨١م.

الشخصيات



فيوليت "في"، الابنة الثالثة لإلسي والمرحوم إدوارد ترافيللا وفي الثامنة عشر من العمر.

إلسي دينسمور ترافيللا، والدة فيوليت وأرملة ثرية وصاحبة مزرعة أيون في الجنوب بجانب ممتلكات أخرى.

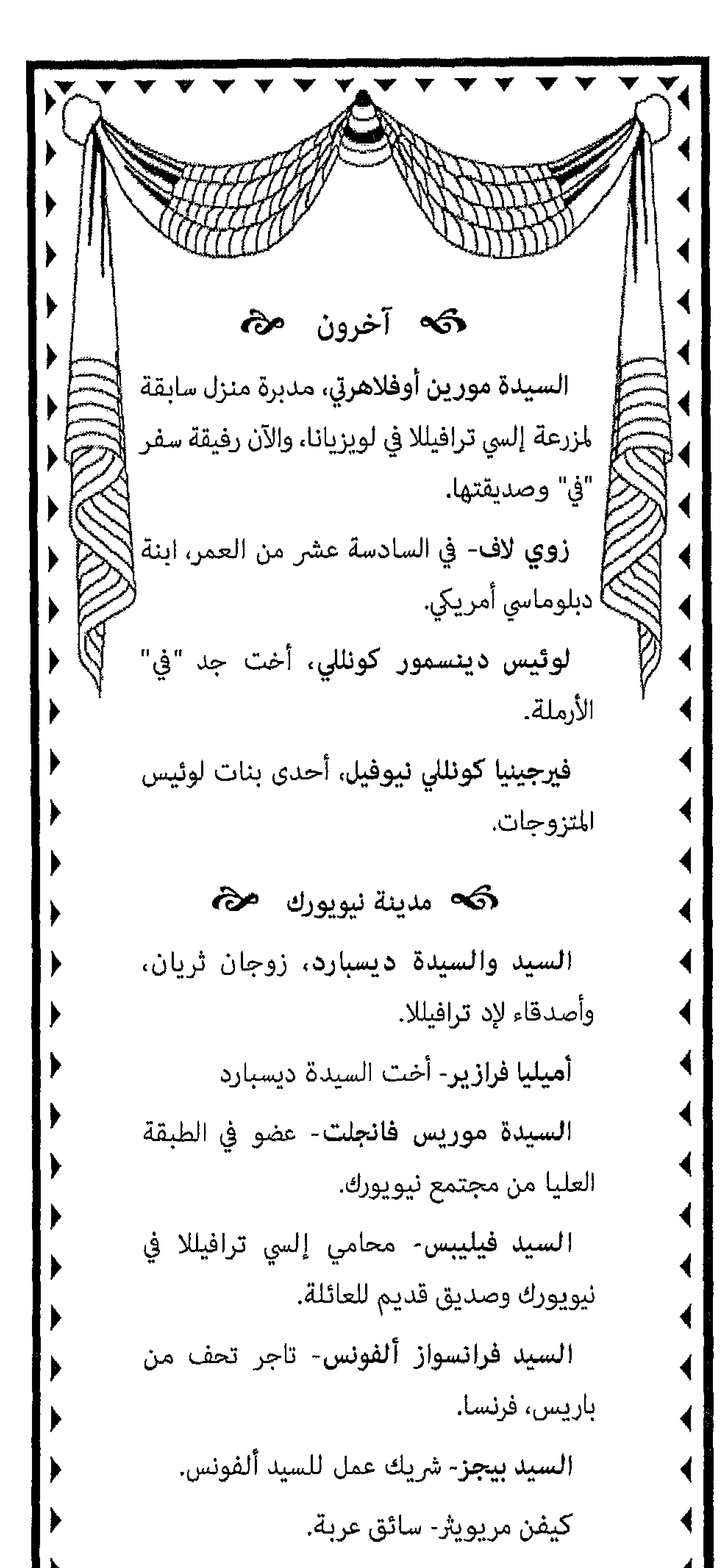
إلسي (ميسي) ترافيللا ليلاند، التي تزوجت من ليستر ليلاند ويحيون في روما ايطاليا.

إدوار(إد) ترافيللا، الابن- أخو "في" الأكبر في الثانية والعشرين من العمر، طالب في عامه الدراسي النهائي في جامعة مشهورة بالشرق.

هربرت وهارولد ترافيللا، توءم في الخامسة عشر من العمر.

روزماري ترافيللا، في العاشرة من العمر، أخت "في" الصغرى.

ودانيال "داني" ترافيللا، في السابعة من العمر، أصغر أخوة "في".



آخرون

السيدة مورين أوفلاهرتي، مدبرة منزل سابقة لمزرعة إلسي ترافيللا في لويزيانا، والآن رفيقة سفر "في" وصديقتها.

زوي لاف- في السادسة عشر من العمر، ابنة دبلوماسي أمريكي.

لوئيس دينسمور كونللي، أخت جد "في" الأرملة.

فيرجينيا كونللي نيوفيل، أحدى بنات لوئيس المتزوجات.

مدينة نيويورك

السيد والسيدة ديسبارد، زوجان ثريان، وأصدقاء لإد ترافيللا.

أميليا فرازير- أخت السيدة ديسبارد

السيدة موريس فانجلت- عضو في الطبقة العليا من مجتمع نيويورك.

السيد فيليبس- محامي إلسي ترافيللا في نيويورك وصديق قديم للعائلة.

السيد فرانسواز ألفونس- تاجر تحف من باريس، فرنسا.

السيد بيجز- شريك عمل للسيد ألفونس.

كيفن مريويثر- سائق عربة.



السيدة جيانلي- والدة ثمانية أطفال صغار.

السيدة ويفر- أرملة عجوز.

رقيب دويل- رجل شرطة.

السيد فيفانتا- رجل ايطالي نبيل يزور نيويورك.



تجمع عائلي

اَللهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ

مزمور٦٨: ٦



انسلَّتْ زوي لاف تقريباً إلى حجرة الجلوس للشّقة الصغيرة البهيجة، والابتسامة المرتَسِمة على وجهها الجميل ساحرةٌ لدرجة أنّها أضاءت سواد ثوبها الدَّاكن والقبَّعة الصغيرة السوداء الموضوعة على شعرها الأشقر. ارتمَت على الأريكةِ الجلديةِ بجوار "في" ترافيللا وأعلنت:

إنني أتمنّى الآن أكثر من أيِّ وقتٍ مضى التعرُّف على والدك! فهو بالتأكيد كما كان والدي يقول "رجلٌ متعدِّد المواهب".

ابتسمت "في" بنعومةٍ قائلةٍ: نعم، لقد كان كذلك، أحياناً أعتقد أنه لا يوجد سوى القليل الذي لا يعرف أبي عمله أو أقلّ القليل الذي لا يحاول القيام به. ومع هذا، فهو لم يلفِت الأنظار إليه أبداً. حتى اليوم، أنا لا أعلم سوى أقلّ القليل عن سجلّه الدراسي حين كان طالبًا هنا في الجامعة.

قال إد ترافيللا الذي كان يدخل حجرة جلوس شقته حينها ليلتقط كلمات "في": إنَّ ثناء وإجلال رئيس الجامعة كان ممتازاً، ألا ترونْ هذا؟.

كان إد قد وصل لعامه الدراسي النهائي كطالبٍ في الجامعة، وأصبح كثير الشبه بوالده شكلاً وإسماً، وكان تربيةُ إد لشاربٍ أمراً شيِّقاً ل"في" لأنَّ والدهما كان قد فعل نفس الشيء أثناء سنوات دراسته.

وافقت "في" وزوي على أن التكريم كان مؤثِّرا جدا، وبدأ الشباب الثلاثة في مراجعة احتفال تخصيص الجناح الجديد لمكتبة الجامعة الشهيرة التي حضروه.

ولقدكان الأسبوع الماضي خاصاً جدا لعائلة ترافيللا، فقد سافروا شمالاً إلى مدينة الجامعة الجميلة ليكونوا ضيوفاً على الجامعة، بمناسبة تخصيص الجناح الجديد لمكتبة الجامعة الشهيرة-وللإضافة فقد بُنيَت بناءاً على وصية إدوارد ترافيللا وسمِّيت باسمه تكريماً له. وقد حضرت العائلة هذا الصباح خدمة الأحد في كنيسة الجامعة، وتبِعها الافتتاح والتخصيص الرّسمي لجناح إدوارد ترافيللا. وكانت هذه المراسم آخر

أحداث جدولٍ طويلٍ.

قالت "في": إنني أتساءل كيف كان أبي سيتصرَّف حِيال كلِّ هذا؟

أجاب إد بضحكةٍ دافئةٍ: لا أظنُّ وجود كلُّ هذا الكمِّ من الجَلبةِ لو كان أبي هنا. لكن من ناحية أخرى، كان أبي يحب الحفلات دائماً لذا فربما كان سيمتِّع نفسه جيدا. حقيقة لا يمكنني الجزم بما كان سيفعل.

فسألت زوي برنةِ حزنٍ تملأ صوتها: هل يستطيع طفلٌ معرفة والديه بحق؟. لاحظت "في" نبرةَ الحزن في صوت صديقتها الشابة التي أتَت للإقامة في الولايات المتحدة بعد وفاة والدها الذي لم يمرّ عليه غير وقتٍ قليلٍ وكان بمثابة جرح جديدٍ مفتوحٍ. فبالرغم من شخصية زوي المُنفتحةِ والمشرِقةِ إلا أنه أحياناً ما يظهر حزنُها واضحاًو"في"- التي فقدت هي أيضا والدها الحبيب منذ أربعة سنوات- فهمت وأدركت كمِّ الألم المُصاحب لمثل هذا الموقف.

أخفضت زوي من عينيها وأكملت: كنت أعتقد أنني أعرف أبي، لكن يوجد لديَّ الكثير والكثير من الأسئلة التي أودُّ سؤالها له الآن، ليست أسئلةً كثيرةً، لكن عن أشياءٍ صغيرةٍ مثل ما هي الألعاب التي كان يحب لُعبِها وهو صغير، وما هي موادُّه الدراسية المفضَّلة حين كان في المدرسة، لكني الآن لن أعرف أبداً.

وضعت "في" يدها فوق يد صديقتها وقالت: لكن يمكنك، فيوجد الكثير الذي يمكنك معرفته عبر مرور الزمن، مثلما عِلمنا الكثير عن والدنا اليوم. كما أنَّ الله يفتح قلوبنا لنفهم أنفسنا ومن يحبوننا بطريقةٍ جديدةٍ أثناء شفائه لنا من ألم الفراق الذي نعاني منه. على الأقلِّ، كانت هذه تجربتي.

رفعت زوي رأسها وسألت: هل شعُرت في وقت ما أنك قد تنسي والدك؟

شعُرت "في" بالإلحاح والاضطراب في صوت زوي كما رأت القلق في وجهها الرقيق الذي على شكلِ قلبٍ.

أجاب إد: أنا فعلت، لقد مرَّ عليَّ وقتٌ أدركت فيه عدم قدرتي على تخيُّل صورة بابا بوضوح في عقلي، وحين حاولت كانت تأتيني دائما صورته المعلَّقة في حجرة نومه- لا الشخص الحي النشِط الذي كان يمثِّل

جزءاً كبيراً من حياتي اليومية. وقد أفزعني هذا جدا وشعُرت وكأني أفقِده من جديد.

لاحظت "في" أنَّ تعبيرات وجه زوي تتغيَّر أثناء حديث إد من القلق والاضطراب لما يُشبه الذُّهول.

فقالت زوي: حدث هذا معك أنت أيضا؟

أجاب إد: أعتقد أنَّ هذا يحدث مع كثيرين ممَّن يفقدون أعزاءً لديهم، كما أعتقد أنه جزء طبيعي من عطيَّة الله الشافية، إنها نوعٌ من تحويلٍ لرؤية عيوننا حتى نتمكَّن من التركيز على ما في قلوبنا. فأنا لا يمكنني رؤية بابا بوضوح الآن، لكن كلَّ ما علَّمني إياه يحيا داخلي ويقوِّيني.

ضغطت "في" على يد صديقتها برفقٍ وقالت: لا نستطيع أن نقول لك كيف يجب أن يكون شعورك، لكننا نعلم أنَّ الله موجودٌ دائماً بجوارك، اتَّكلي عليه وضعي ثقتك فيه وهو سيرشدك ويقودُك حتى تخرُجي من حزنك.

أضاء وجه زوي بابتسامةٍ وقالت:آه، لقد فعل المزيد بالفعل. فقد قادَني لهنا- أعني لعائلتكم. كان بابا كلَّ عائلتي لمدةٍ طويلةٍ، وحين توفي، لم أستطع تخيُّل كيف سأعيش من بعده، لكن الله عضَّدني وأحاط بي، أليس كذلك؟

مرَّت زوي لاف بفترةٍ صعبةٍ في الخمس أشهر الأخيرة. فقد مرض والدها الدبلوماسي الأمريكي جدا لبعض الوقت، وكادت وفاته أن تحطِّم ابنته تماماً. كان هذا في شهر يناير في روما. وبالرَّغم من ترك السيد لاف ميراثاً ضخماً لابنته، إلا أنها لم تكن قد بلغت السادسة عشر من عمرها ولم يكن لها عائلةٌ لتذهب إليها. كان أصدقاء والدها في أوروبا الذين عاشروه لأكثر من ثلاثين عاماً على أتمِّ الاستعداد لضمِّ زوي إليهم. لكن كانت رغبة والدها أن تعود لوطنها الأصلي وتحيا به، فتعهَّد صديقه القديم هوراس دينسمور بتحقيق هذه الرغبة.

وبالتالي، سافرت زوي، التي لم تكن قد وطِئت قدَمها أرض أمريكا من قبل، عبر المحيط الأطلنطي ومنه إلى الجنوب الأمريكي ووصلت لقلوب ومنازل آل دينسمور وآل ترافيلا. فرحبَّت "في" بزوي التي كانت



قد قابلتها من قبل في روما في صيف عام 1879م واتَّخذتها أخت لها، وسرعان ما تبِع باقي أبناء ترافيللا خُطى "في".

عاشت زوي فعليًّا مع جدة وجد "في"، روز وهوراس دينسمور في مزرعتهم الأوكس، لكنها كانت تمضي معظم الوقت مع آل ترافيللا في مزرعتهم القريبة "أيون". وحين تمَّ التَّخطيط للذهاب لهذه الرحلة للجامعة، وجدت إلسي (والدة "في" وإد) أنها فرصةٌ رائعةٌ لزيادة معرفة زوي بموطنها فدعتْها للذهاب معهم، فرحَّبت زوي بالعرض بحماس، مثلما تفعل مع معظم الأشياء.

وسُرعان ما غيَّر الشباب مسار حديثهم إلى آل دينسمور، فعبَّرت "في" عن خيبة أملها لأنَّ جدَّتها وجدها لم يتمكَّنا من الحضور معهم في هذه الرحلة، فقالت: بالطبع، لا يجب أن تسافر جدَّتي بسرعةٍ بعد أن كانت مريضةً بالأنفلونزا التي أضعفتها، ومن الصعب على أحد القيام بمثل هذه الرحلة ما لم يكن في ملءِ الصحَّة والعافية. وبالطبع لن يتركها جدي وحدها. ومع هذا، أعتقد أنه كان سيستمتع بمجيئه لهنا، لكليَّته وكليَّة والدي القديمة.

علَّقت زوي: إنَّ جديْك كريميْن جدا، فأنا لا أستطيع منع نفسي من التساؤل حول لماذا السيد دينسمور مستعدٌّ ومرحِّب هكذا لتعليمي وإرشادي، فأنا لست أكثر التلاميذ انتباهاً بالرَّغم من أنه يجعل الدروس أكثر تشويقاً بكثيرٍ ممَّا فعلت أيٌّ من مربيأَتي الطيِّبات على الإطلاق. وأضافت مقهقهةً: لقد كنت بالتأكيد بمثابة امتحانٍ ومحنةٍ كبيرةٍ لهؤلاء السيدات حين كنت طفلة.

كاد إد يعلِّق بأنَّ مسئولية التلميذ أن يستفيد أقصى استفادة من كلِّ ما يعلمه المدرِّس (لأن زوي لاف في رأيه كانت لا تزال كثيرة الشبه بالأطفال)، لكن صوت ضحك الأولاد الآتي من خلال النافذة المفتوحة قاطع تفكيره، فقام من على كرسيِّه وقال: هذه الضوضاء لا يمكن أن تأتي إلا من التوأم. لقد حضرت ماما.

كانت إلسي وهربرت وهارولد يقيمون مع مدير الجامعة وزوجته، بينما كانت زوي و"في" ومرافقتهما السيدة أوفلاهرتي يقيمون في فندق يبعُد قليلاً عن شقة إد. وكان الأسبوع السابق مليءٌ بالأنشطة لدرجة

لم تستطع معها العائلة التّزاور والتحدُّث مع بعضهم البعض. لذا كان الجميع متشوِّقون لقضاء ظهيرة يوم الأحد بعد خدمة الكنيسة معاً في شقة إد- التي كانت فعليا الدور السفلي لمنزلٍ طريفٍ قديمٍ في شارع هادئٍ بقربٍ حرم الجامعة.

اتَّجه هربرت وهارولد، اللذين قد بلغا الخامسة عشر من عمرهما وأصبحا تقريباً في طول أخيهما الأكبر إد، مُندفعين مثل الجرو الشّقي إلى حجرة الجلوس، وتبعتهُما أمّهما بأكثر رزانةٍ.

فسألت "في": أين السيدة أوفلاهرتي؟

أجابت إلسي: ستأتي بعد قليلٍ، لقد أرادت أن تمرَّ على السوق الصغير الذي في نهاية الشارع لشراء شيئاً ما.

أضاف هربرت آملاً: ربما كعك محلّى لنأكله مع الشاي.

جلست إلسي على كرسيٍّ كان في وقت ما بحجرة مكتبة زوجها في أيون. ودون وعيٍ منها مرَّرت أصابعها بخفةٍ على المكان المتآكل من خشب ذراعه حيث كان إدوارد يسند ذراعه. فقد شحنت إلسي لإد العديد من قطع الأثاث حين أخذ هذه الشقّة- بما فيهم الكرسي والمكتب والسرير اللذين كانوا ملكاً لزوجها قبل زاوجهما، بجانب العديد من اللوحات ذات الأُطر النباتية المنقوشة الخاصة بالسيد ترافيللا التي كان قد جمعها أثناء فترة دراسته الجامعية.

قالت إلسي لإد وهي تنظُر للوحات المعلّقة فوق المِدفأة: سأفتقد زياراتي لهنا بعد تخرُّجك، ففي هذه الغرفة، يمكنني تخيُّل ما كانت عليه حياة والدك أثناء دراسته.

سألت زوي: هل كنت تعرفينه حينها؟

قالت إلسي شارحةً: لا يا عزيزتي، لم أكن سوى طفلةٍ صغيرةٍ حين كان هو طالب في الجامعة، فالسيد ترافيللا كان أكبر مني بكثيرٍ، لكنه كان دائماً شاباً في الروح.

ابتسمت زوي بنعومةٍ وقالت: كان والدي أكبر من والدتي أيضا.

تدخل إد حينها سائلاً لأنه لم يكن يرغب في أن تنزلقَ زوي لحزنها مرةً أخرى: حسنا، هل الجميع مستعدون لرحلتنا غداً؟ هارولد وهربرت،

هل حضَّرتكما حقائبكما يا رفاق أم ليس بعد؟.

كانت إلسي والأولاد سيسافرون في صباح اليوم التالي عائدين للجنوب. وكان هارولد وهربرت مشتاقان جدا لرؤية أختهم الصغرى روزماري وأخيهم الصغير دانيال (اللذان لم يحضرا معهم لأنَّ الكبار قرَّروا أنهما لن يتحمَّلا كلَّ هذه المراسم الرسمية الخاصة بافتتاح الجناح الجديد)، وبدءِ صيفٍ جديدٍ في أيون أيضا. في حين رتَّبت إلسي أجازةً خاصة لزوي و"في". فقد كانت الشابتان بمرافقة السيدة أوفلاهرتي سيقضون شهر يونيو كلَّه في مدينة نيويورك، حيث سيقيمون بالفندق الفخم الجديد الذي يطل على سنترال بارك، وكان إد سيصطحبهم للمدينة ويبقى بها لعدَّة أيامٍ قبل أن يعود لبدءِ دراسته الصيفية. كما كانت السيدة لوئيس كونللي، أخت هوراس دينسمور، ستذهب أيضا من منزلها في روزلاندز لزيارة ابنتها في مدينة نيويورك.

أكَّد هارولد وهربرت على أنهما قد انتهيا تقريباً من ترتيب حقائبهم، فسأل إد نفس السؤال لزوي و"في".

فضحكت "في" قائلة: لا تقلق يا أخي الكبير، فنحن البنات لن نجعلك تنتظرنا في محطة القطار.

قالت زوي: ليس لدي الكثير لأحضره على أيِّ الأحوال، لأنَّني سأشتري الكثير من الملابس الجديدة في نيويورك، فقد مضى وقتٌ طويلٌ لم أشترِ فيه أيَّ شيءٍ .

كانت نبرة صوت زوي ممتلئةً بالحماس مما جعل إلسي تشعُر بالسعادة لسماعها، فقالت: كان والدك حكيماً حين طلب ألا تلبسي ملابسَ الحِداد لدقيقةٍ أكثر من اللائق، وأنا متأكِّدة من أنك ستستمتعين بالتسوُّق في مدينة نيويورك، فلديك مواعيد مع مجموعة من أشهر بيوت الأزياء هناك، وأنا أتطلَّع لرؤيتك في ملابسٍ صيفيةِ الألوان حين تعودون إلينا في يوليو.

تدَّخل هارولد في الحديث قائلاً بعجلةٍ: يجب أن تشتري بعض الملابس الزرقاء لتتماشَى مع لون عينيها. فاحمرَّت وجنتاه من الارتباك ونظر لأخيه التوأم في نظرةٍ مستنجدةٍ، لكن هربرت لم يكن على الإطلاق مُعينا له فقد قال:آي، أنك لا تعلم شيئاً عن ملابس الفتيات يا هارولد،

وهو ينخُس ذراع أخيه وأكمل: هل تظن أن زوي ستكون جميلةً في شوال حبوبٍ.

كانت "في" هي من أسرعت لإنقاذ أخيها عن طريق تحويل مسار الحديث ببراعةٍ قائلةٍ: أعتقد أنَّ الأزرق هو لون زوي، فأنا أذكُر القلنسوَّة الزرقاء التي ارتديتها يا زوي حين كنَّا في روما، تلك التي كنت تربطينها بالشريط الحريري الأزرق، لقد كانت جميلةً جدا ولائقةً جدا عليك. على فكْرة، هل لدى أيٍّ منكم أخبارٌ من ميسي وليستر؟ هل ينوون الإقامة في روما هذا الصيف؟

أجاب إد: أشكرك يا "في" على تذكيري، لقد وصلني منهم خطاباً بالأمس في ساعةٍ متأخِّرة، وهو موجَّه للعائلة كلها. وذهب لمكتبه وبدأ تحريك بعض الأوراق ثم قال: ها هو، لم أرِد فتحه إلا حين نكون كلُّنا معا. هل من الممكن أن تقرئيه لنا يا ماما؟

واستخدم فتاحة خطابات ليفتحه ثم قدَّم الخطاب ذا الغلاف الغليظ لوالدته، التي أزاحت عدَّة أوراقٍ بيضاء ثم بدأت في قراءة خطاب ابنتها الكبرى بصوتٍ عالٍ، كانت ميسي وزوجها ليستر يعيشون في روما منذ زواجهما.

قرأت إلسي:

عائلتي العزيزة جدا:

كنا أناو ليستر نتمنَّى جدا أن نكون معكم في الاحتفال بافتتاح جناح المكتبة الجديد ونكون بجانبكم لحظة تكريم بابا. يبدو من المستحيل تخيل أنه قد مرَّ علينا حوالي عامان دون أن نرى عائلاتنا. لكني أخاف من أنَّ رحلةٍ عبر المحيط ليست في جدول خططنا القريبة. فأنا لدي الكثير من الأخبار الرائعة- فالله قد باركنا بحقٍ وفي بداية شهر نوفمبر القادم سنصبح والدين! فهل يوجد فرحة أكبر من هذه في هذا العالم؟

صرخ الجميع صرخات فرحٍ عند سماع هذه الكلمات عدا إلسي. ونخس هارولد ظهر هربرت وهتف: سنصبح خلان يا بنّي!.

فسألت "في" أمها قائلة: هل كنت تعلمين يا أمي؟.

ابتسمت إلسي قائلة: لم تكن مفاجأة خالصة، فقد وصلني خطاب من ميسي قبل أن نغادر أيون مباشرة وتوقَّعت أن نسمع هذه الأخبار

قريبا. ثم أمسكت بالخطاب وقالت: يوجد المزيد هل تودُّون أن أُكمل؟

فردَّ الجميع معا: نعم، من فضلك. فأكملت إلسي قراءتها:

أنا بخير، ود.دي ماركو يعدُ برعايتي مثل الصقر، وليستر مُنتشي وقد ألهمه الخبر فبدأ في رسم سلسلةٍ جديدةٍ من الصور الخاصة بالأطفال، وحذِّري يا "في" بمن سيبدأ؟ أنَّ أول موضوع لرسوماته هما حبيبانا ألبرتو وانجلينا. إن الأطفال يرسلون محبتهم لك ولزوي، كذلك السيدة كونستانزا. ومن فضلك بلِّغي السيدة أوفلاهرتي أننا جميعا نفتقدها بشدَّةٍ هنا.

استمر الخطاب على هذا المنوال، مانحاً رسالةً خاصة لكلِّ شخص في العائلة وأخبار أهل بيت ليلاند في روما. اقترحت إلسي حين انتهت من القراءة أن يرفع الجميع صلاة شكرٍ على أحبائهم والحياة الجديدة التي سيرسِلها الله سريعاً للعائلة والعالم. فأمسك الجميع بأيدي أحدهم الأخر وعبَّرت إلسي بكلماتها عن الفرح والدهشة التي تعتمرُ في قلوب الجميع.

سمعوا بعد هذا بعدَّة دقائقٍ دقاتٍ على الباب، ودخلت السيدة أوفلاهرتي ويداها محمَّلتان بالحقائب الورقية والعلب، فجرى التوأمان إليها ليحملا عنها ما تحمل وأعلنا لها الأخبار. فأضاء وجه السيدة أوفلاهرتي المتورِّد وابتسمت بابتهاج للجميع- فظهرت سنَّتها الذَّهبية. وتحوَّلت كلُّ الأحاديث الآن نحو الأطفال الرضع، فتساءلوا هل ستكون الإضافة الجديدة للعائلة ولد أم بنت، ثم بزغ موضوع اختيار الأسماء، وسأل هارولد إذا كان ابن أو بنت أخته سيحمل/ تحمل اسم ايطالي. واقترحت زوي، التي تتحدَّث اللغة الايطالية بطلاقةٍ، بعض الاحتمالات، وسرعان ما انخرطت هي والتوأمان في لعبة اختيار الاسم.

كانت السيدة أوفلاهرتي في هذه الأثناء قد اختفت في المطبخ الصغير لشقَّة إد وتبعتها "في" ومعا أفرغا ما في الحقائب الورقيّة

فقالت السيدة أوفلاهرتي بنبرةٍ تميزٍ أُنثوي: إن أخيك الكبير هذا يترك مطبخه فارغاً مثلما يُترك الحقل بعد هجوم الجراد عليه، لذا اشتريت له بعض المُؤن، وكنت محظوظةً لوجود سوق مفتوح يوم الأحد.

فعلَّقت "في" وهي تخزِّن آنيةً بها شايٍ وقهوةٍ وبسكويت رقيق جاف

ولحم مملّح وفواكه وأنواع أخرى من البسكويت في الصوان الصغير قائلةً: أعتقد انه يأكل بالخارج معظم الوقت.

فردّت السيدة أوفلاهرتي معلنةً بحزمٍ: إنه يحتاج لوجود شيء هنا ليغذّيه حال عدم استطاعته الخروج، لقد تحدّثت مع السيدة المسئولة عن نظافة شقته ونبّهت عليها ألاّ تترك الصوان فارغٌ ثانيةً وأن تحافظ على بقائه ممتلئٌ من الآن و هكذا.

قالت "في" وهي تفكُّ رباط أحد علب الأكل، وتبتسم لمعرفتها أنه يحتوي على البسكويت الذي كان هربرت يتُوق إليه: إنني سعيدةٌ جدا لأنك ستأتين معنا إلى نيويورك.لأنك تعتنين بنا جيدا.

فضحكت السيدة أوفلاهرتي وقالت بنبرتها الايرلندية المحببّة: بالطبع، وأنت يا عزيزتي فيوليت تسهّلين علي المأمورية، لأنك ستحتاجين لمرافقتي فقط، أما بالنسبة لزوي فأنها ستحتاج لعيوننا الأربعة لتراقبها وترعاها، إنها فتاةٌ رائعةٌ لكنها مستقلةٌ أكثر من اللازم، وأعتقد أن هذا ليس جيدا بالنسبة لنيويورك.

أكملت "في": هل تعتقدين أنّ نيويورك خطرٌ؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي: يمكنها أن تكون كذلك، إذا كنت لا تعلمين أين تذهبين وأين يجب ألاّ تذهبي. إن زوي تعلم روما مثل ظهر يدها الصغيرة، لكن نيويورك ليست روما، وأخاف من أن تكون شديدة الثُّقة بقدرتها على معرفة الطرق والأماكن. كلُّ ما أودُّ قوله يا ابنتي هو أننا يجب أن نكون مراقبين ومستيقظين معاً لزوي لأنها ستكون مسئوليتنا المشتركة، فهي لا تزال في السادسة عشر، وفي هذا السن كثيرا ما تتغلّب الفضولية وحب الاستطلاع وروح المغامرة على المنطق والحسّ السليم. فأنا على درايةٍ كاملةٍ بهذا.

فكّرت "في" للحظات متذكّرة قصص السيدة أوفلاهرتي عن هروبها من عائلتها وزواجها بموسيقي مُعدم حين كانت في سن المراهقة، وبالرغم من عدم وجود قلق داخل "في" على زوي في هذا الأمر إلا أنها تفهّمت مخاوف السيدة أوفلاهرتي.

فقالت برصانةٍ: سأقوم بدوري في هذا الأمر يا سيدة أوفلاهرتي، أعدُك بهذا.

ما إن بدأ النهار يميل نحو المغيب حتى تحرّك إد ليضيء كلّ اللمبات الغازية الموجودة بالشّقة وتبرّع التوأمان بالذهاب لمساعدة "في" والسيدة أوفلاهرتي في إعداد المائدة لتناول الشاي.

عرضت زوي أيضا المساعدة، لكن إلسي طلبت منها أن تقوم بالتنزّه معها في حديقة منزل إد بدلاً من هذا.

قالت إلسي وهما تعاينان مجموعةً صغيرةً من الزهور على جانب الحديقة: سأفتقد وجودك في أيون.

أجابت زوي: لقد كنتم صالحين وطيبين معي جدا يا سيدة ترافيللا. وأتمنّى ألاّ أكون وقحةً وأنا أقول أنني أشعر أنّ لديّ عائلةِ الآن، مكونةٍ منك والسيد والسيدة دينسمور.

فردّت إلسي قائلةً: أن ما تقوليه يسعدني أيّما سعادة لأننا نعتبرك واحدةً من العائلة، أتعلمين أنني أعتبرك شُجاعة جدا أيضا؟

فقالت زوي بدهشةٍ: أنا؟.

قالت إلسي بحنانٍ: أن تعبُري المحيط وتُسافري لمكانٍ غريبٍ وتقيمين مع أُناس غرباء عنك، لقد كنت تعرفين أبي و"في" لكنك لم تريهم لمدةٍ طويلةٍ، كما لم تكن لديك أدنى فكرة عن أيٍّ مناً.

فقالت زوي بتعجبٍ شارحةً: أنا لم أشك في حكمة قرار أبي بسبب معرفتي ب"في" والسيد دينسمور. وميسي وليستر اللذين كانوا لُطفاء معي جدا طوال فترة مرض بابا، كما أني سمعت قصصاً كثيرةً عن عائلتكم وأيون والجنوب، قبل أن آتي إليكم بكثيرٍ، وشعُرت بحق أنني أعرفكم جيدا قبل أن أراكم.

قالت إلسي: ومع هذا لا يزال موضوع تركُك لروما ليس سهلاً.

قال زوي مقرّة: نعم، لم يكن كذلك. فأوروبا كانت دائما موطني وكنت أظن أنّ أمريكا مكانٌ قاسي وبَري، لكن ما أخافني بحق هو تركي لأبي. آه، إنني موقنةٌ أنه ليس في روما وأنه مع الله،لكن بطريقة ما شعرت أنني أتركه وأرحل. كما لم أكُن شجاعة على الإطلاق يا سيدة ترافيللا، سأقول لك شيئا لم أقُله لأحدٍ من قبل فقد كنت أخاف جدا من المحيط لأنه بدا كبيراً جداً وعميقاً جدا وخطراً جدا، ولو لم تقُم السيدة أوفلاهرتي بمصاحبتي في هذه الرحلة لم أكن لأضع قدمي في السفينة أبداً.

وضعت إلسي ذراعها حول كتف زوي مدركةً مرة أخرى مدى صِغر هذه الفتاة الجميلة وقالت: لكنك قمت بالرحلة وكان هذا تصرُّف شجاع. والآن، أريدك أن تستمتعي بأجازتك في نيويورك، فسيكون التسوُّق أمرا شيقاً، لكن أتمنَّى أن ترى المدينة أكثر من المحلات وبيوت الأزياء. فقد رغب والدك بشدةٍ أن تتعرَّفي على وطنك، وتعتبر نيويورك مكان جيد كبداية.فيوجد بها الكثير من الأماكن التي تستحقُّ الرؤية والمشاهدة. و السيدة أوفلاهرتي تعرف المدينة جيدا وستكون مرشدا ممتازا لك، و"في" أيضا لأنها قامت بزيارة نيويورك من قبل عدة مرات، لكني أثق في أنكما ستتبعان إرشادات السيدة أوفلاهرتي وكأنكما تتبعانِ إرشاداتي.

رفعت زوي وجهها نحو إلسي، التي استطاعت بالرَّغم من وجود الظِّلال أن ترى عينيْ الفتاة تضيئان، وقالت زوي: آه، يمكنك أن تثقي بي يا سيدة ترافيللا. و"في" بالطبع، لأنها تتصرَّف دائما بطريقة أنضج من أن تكون شابةً في الثامنة عشر.

ضحكت إلسي بنعومةٍ وقالت: أنا أثق في كليكما يا عزيزتي، لكني أم، ومن واجبي أن أمنح النصيحة وأقدِّم التحذير لأبنائي، حتى الناضجين منهم مثلك أنت و"في". حسنا، والآن لديَّ طلب آخر منك.

ردَّت زوي على الفور: أي شيء. لأنها في تلك اللحظة كانت تشعر بدفء حرارة مشاعر إلسي ومنتشيةٌ جدا لأن إلسي ضمَّتها كواحدةٍ من أبنائها، ولهذا كانت على استعدادٍ للقيام بأيٍّ شيء تطلبه منها هذه السيدة المُحبة الحكيمة.

قالت إلسي: أعتقد أنه قد آن أوان أن تدعينني بشيء مختلفٍ عن السيدة ترافيللا، وأنا أقترح ابنة العم إلسي، إذا كان هذا مناسب لك، فبالرَّغم من أننا لسنا بحق أبناء عمومة إلا أننا عائلة، فما رأيك؟ هل نجعلها ابنة العم إلسي لك؟

فقالت زوي بفرحٍ وابتهاجٍ: آه، نعم، هذا لُطف شديدٌ منك يا سيدة- آه- ابنة العم إلسي، إن هذا شديد اللطف والعطف منك.



الفصل

٢

السفر والإقامة في نيويورك

لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلَحاً بِمِلْحٍ، لِتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُجَاوِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ.

كولوسي٤: ٦

كانت "في" وزوي واقفتان بجوار نافذة حجرة نوم "في" الجميلة الزينة في الفندق، وكانتا تتطلّعان إلى المُنتزه الجميل على الجانب الأخر للشارع. كانت الشمس على وشك المغيب والشارع ممتلئٌ من العربات وحافلات الشارع والناس المسرعين للعودة لمنازلهم بعد نهاية يوم العمل. كما كان نشاز الأصوات الصادر من كل هذا يصم أذانهم، فكانوا يحاولون، من نقطة مراقبتهم في الدور الثالث للفندق، تمييز الكلمات الآتية إليهم من الناس الذين يمرّون في الشارع أسفلهم.

كان هذا ثاني يوم لهم في نيويورك. كما أنهما كانتا تعملان أيضا، على الأقلّ هذا ما بدا ل"في"، التي لم تكن أبداً تستمتع بالتسوّق. فبعد تناولهم لوجبة الإفطار ذهبت الفتيات مع السيدة أوفلاهرتي إلى منطقة برودواي التي تقع بها أكثر بيوت أزياء المدينة أناقةٍ وحداثةٍ. وزاروا ما يقرُب من ستّة محلات ليختاروا ملابس زوي الجديدة مع صانعي الملابس المهَرة الذين يحِيكون ملابس الصّفوة وأكثر سيدات المدينة أناقةٍ وتميُّز، وظلّوا يتفحّصون أنواع الأقمشة ومجلات الموضة ليختاروا ما يعجبهم منها حتى تيبس عنق "في" وحرقتها عيناها، لكن نشاط ورغبة زوي لم يُخمدا أبداً، فكلُّ نوعٍ جديدٍ من أقمشة الأثواب الملوّنة يوضع أمامها يشعل حماسها ويجلب معه موجةً جديدةً من النّشاط والإثارة، لذا لم تتمكّن من فهم سبب شكوى "في" أخيراً من التّعب أو مطالبة السيدة أوفلاهرتي الضّاحكة بالعودة للفندق قبل أن تصبح قدماها مثل كعكة الذُّرةالكبيرة.

ما إن وصلْن لجناحهم الكبير الأنيق في الفندق حتى اعتذرت السيدة أوفلاهرتي طالبةً الذّهاب لتسترح بعض الوقت وتأخذ قيلولةٍ قصيرةٍ، أما الشابات فقرأْن وتحدّثن سويًّا حتى حضر موعد تغييرهم لملابسهم، لذهابهم مع إد لتناول وجبة العشاء معا.

قالت زوي: توجد متنزّهات جميلة في روما، لكني لا أعتقد أنّ أيًّا منهم كبير كِبرَ هذه، ربما يوجد لكنهم لا يبدون مثل هذه، فهذه تشبه بحر من الأشجار، محيطٌ أخضرٌ قائمٌ في وسط المدينة.

علّقت "في" قائلةً: لقد كان أبي يتحدّث دائما عن مدى غرابة أن تخصّص مدينة مزدحمة في جزيرة صغيرة جدا مساحة كبيرة جدا هكذا للأشجار والمروج والنافورات. وفتّشت بأصبعها في دليل سياحي صغير اشترته في اليوم السابق وعثُرت على الصفحة التي كانت تبحث عنها وقرأت بسرعة قائلة: يقول الكتيّب أن السنترال بارك تصل مساحتها إلى حوالي 850 أكّر، وأن الأرض تم شراؤها قبل الحرب الأهلية، وأخذت أكثر من عشرين سنة حتى تم الانتهاء من العمل بها، كما يوجد العديد من المتنزّهات الأخرى في المدينة، لكن لا يوجد أيٌّ منها بهذا الحجم.

سألت زوي: هل هي كبيرة الحجم جداً؟ ثم جلجلت قائلةً: آه، أنه سؤال سخيفٌ أليس كذلك؟ لكنني عشتُ دائما في مدن، ولم أفكّر أبداً في أيٍّ شيءٍ بالأكّر، ولا يمكنني تخيل مدى كبر الأكّر.

ابتسمت "في" وقالت: حسنا، أنا فتاةٌ قرويّة ويمكنني أن أخبرك بأن الأكّر 43،560 قدم مربع وحجرة النوم هذه....، ونظرت "في" حولها وقدّرت حجم الغرفة ثم أكملت: حوالي 150 قدم مربع، وبالتالي يساوي الأكّر حوالي 300 غرفة مثل هذه.

حملقت زوي في "في" وهي مفتوحة الفم من الدّهشة والذهول وكأنها أميرة من العرب أو إمبراطورة من الصين خرجت لتوّها من الغابات، وتهتهت قائلةً: آه، كيف، كيف استطعت القيام بهذا؟ كيف استطعت القيام بكل هذه المسائل الحسابية في عقلك؟

ضحكت "في" وقالت: إنه مجرّد تقدير، لقد علّمني بابا كيف أقوم بحسابات تقديرية، لذا يمكنني النّظر لحقل وتقدير حجمه وكم المحصول الذي يمكن أن ينتجه، فحين تكبُرين في مزرعة فإنك تتعلمين كيفية القيام بتقدير وقياس حجم الأشياء.

وجّهت زوي وجهها نحو "في" وقالت بتعبير جاد: حسنا، أنا لا يمكنني بسهولة تقدير حجمك، فأنت دائما تفاجئيني بما تعرفين وكيف تُفكرين. فقد أدركت منذ أول مرّة تقابلنا فيها أنك لست فتاةً عاديةً.

قالت "في": أتمنى أن يكون هذا شيئا جيداً.

سُرعان ما تغيّر تعبير زوي من الجدية إلى ابتسامةٍ شيطانيةٍ وأعلنت:آه، أنه كذلك. وهذا هو سبب أملي ورغبتي الشديدة في أن نكون أصدقاء،

وها نحن الآن أصدقاء.

فوافقت "في" بسرور: أعزُّ الأصدقاء.

خمدَت ضوضاء الشارع عند تحوُّل ضوْء النهار لليل وغمرت الظِّلال المنتزه، فتركت زوي النافذة وتحرَّكت لتجلس على فراش "في" وقالت: سيكون من المسرِّ أن نقابل أصدقاء إد الليلة، هل تعلمين أين سنتناول عشاءَنا؟ لقد كان كرمٌ شديدٌ من إد أن يدعوني، فأنا أعلم أنه يعتبرني طفلةً سخيفةً.

دُهشت "في" لسماعها هذه الملاحظة. لكنها كانت تُدرك أنَّ إد لم يكُن دافئاً وحنوناً مع زوي مثل باقي أخوتها وأخواتها، لكنها لم تكن تظن أبداً أن أخيها أظهر مشاعره هذه لزوي.

فسألت "في": لماذا تعتقدين هذا؟

أجابت زوي ارتجالياً:آه، إنه واضحٌ تماماً لي. أنا لا أنتقدُه. ربما حين أبلغ الثانية والعشرين من عمري سأعامل الذي يبلغون السادسة عشر بنفس الطريقة. كما تعلمين- بلُطفٍ ودماثةٍ لكن بعدم اهتمام، إنه أمرٌ طبيعيٌّ على ما أعتقد.

كانت رغبة "في" الأولى هي الدفاع عن أخيها، لكن زوي لم تشتكِ من أيّ شيءٍ خطأً، لذا سألت "في" ببساطةٍ: هل توجُّهه يضايقك؟

فهتفت زوي قائلةً: لا، على الإطلاق! فأنا أفهم أنَّ الشباب لا يحبون أن يذكِّرهم أحد بأنهم لا يبعدون كثيراً عن كوْنهم أطفال. فحين كان والدي في الحقل الدبلوماسي، رأيت كيف كان الشباب، الذين يعملون في السفارة كسكرتيرين أو موظفي حسابات، ممتلئين دائما بالفخر ويعملون بجدٍ ونشاطٍ يصلُ لحدِّ السَفْسطة. كما كانوا يتجاهلوني على قدْر استطاعتهم، ولم يكن هذا بسبب شيء افعله. فقد شرح لي بابا كيف أنهم فقط لا يهتمون بالأطفال إلا حين يتزوَّجون ويصبحون آباء. كما كان بابا سيقول أنَّ إد يحيا سنَّه، وهذا سبب قناعتي الحقيقية بأنه شيءٌ رائعٌ منه أن يدعوني لتناول العشاء معك ومع أصدقائه.

كتمت "في" ابتسامةً، وذهبت إلى التسريحة ورفعت فُرشاة الشعر وبدأت في تمشيط شعرها الكثيف الناعم وترفعه حسب الموضة متسائلةً في نفسها "من هو بحق الذي أكثر سَفْسطة أخي أم صديقتي الصَّغيرة

القويّة الملاحظة؟"

لكنها لم تنطق بتكهّناتها وقالت بدلاً من ذلك: سنذهب إلى دومينشي، إنه مشهورٌ جدا، ودليلي يقول إنه بدأ كمخبزٍ ثم أصبح المطعم المفضّل لدَى الأثرياء والمشاهير.

فأتى سؤالٌ آخرٌ على ذهن زوي فقالت: أخبريني من فضلك مرة أخرى بأسماء من ستتناول الطعام معهم، لأنني يجب أن أتذكّر أسماءهم فقد علّمني بابا أن تذكُّر أسماء الناس يسعدهم.وقال أن زوي اسمٌ يمكن تذكُّره بسهولة لأنه قصيرٌ وغير مألوف. فقليل من الكلمات تبدأ ب "زال" وأن هذه الكلمات يمكن تذكُّرها طبيعيا بسهولةٍ- مثل زرافةٍ وزفيرٍ.

كان على "في" أن تفكِّر دقيقةً قبل أن تجيب قائلةً: مضيفينا هما السيد كريستوفر ديسبارد وحرمه السيدة مارجريت. فقد أكمل السيد ديسبارد تعليمه في الجامعة وهناك التقى بإد، لكنه أكبر كثيرا من إد، أعتقد في الثلاثين، وهو يعمل في مجال الأعمال المالية، أما السيدة ديسبارد فهي ثريةٌ جدا بسبب مواردها الخاصة دون الاعتماد على ثروةِ زوجها. كما ستحضر أختها الآنسة فرازير معنا الليلة، وإد لا يعرف الكثير عنها عدا أنها ممن يطالبون بحقِ المرأة في الاقتراع.

سألت زوي: وما معنى هذا؟

قالت "في": يعني أنها تعضِّد حق المرأة في الاقتراع- أي تحصل على حقِّها في التصويت والانتخاب.

فسألت زوي بفضول: لماذا تريد المرأة أن تنتخبَ؟ إن السياسة مُملّةٌ جدا.

حاولت "في" التي لم تكن تفهم الكثير عن حركة المطالبة بحق الاقتراع شرح الأمر قائلةً: حسناً، إنها عن الحصول على المساواة في الحقوق، هل قرأت مرةً إعلانِ الاستقلال؟

هزّت زوي رأسها قائلةً: لا، لكني أعرف ماهيّته، إنه الخطاب الذي أرسله الأمريكان لملك انجلترا حين أرادوا الحصول على حريّتهم.

استدارت "في" لتنظر لصديقتها وعينيْها شديدتا التّألق قائلةً: إنها وثيقةٌ مذهلةٌ، فقد أراد كتابها أن يضعوا ويوضحوا أسباب استعدادهم للدخول في حرب من أجل الحصول على حريتّهم من الحكم الانجليزي.

واقتبست بعنايةٍ كلماتهِ القائلةِ: نحن نضع هذه الحقائق لتكون بديهيةً- إنَّ كلَّ الرجال خلقوا متساوين، وأنهم وُهبوا من خالقهم حقوقاً معينةً لا تتغيَّر، من بينها، حقُّ الحياة وحقُّ الحريَّة وحقُّ السَّعي نحو السعادة.

علَّقت زوي ببعض الاعتداد بالنفس: كلُّ الرجال، لا رجال ونساء.

وافقت "في" قائلةً: نعم، لكنني أعتقد أنَّ المطالبات بحقِّ الاقتراع يقُلن أنه يعني بكلِّ الرجال "كل الناس"، مثلما نعني "كل الناس" حين نقول الجنس البشري. آه، إنني لست متأكِّدةً بحقٍّ مما يقُلن لكن ربما تستطيع الآنسة فرازير إيضاح الأمر لنا، فأنا متشوِّقة جداً لمقابلتها.

تحرَّكت زوي نحو التَّسريحة ونظرت الشابتان في المرآة للاطمئنان على أناقتهما. فكانتا متناقضتان في الشكل، ف"في" طويلةٌ ورفيعةٌ وشعرها داكنٌ ولم يكن وجهها جميلاً بشكلٍ تقليدي لكنه كان مليح جدا، وعيناها البنيَّتين الكبيرتين مُحاطتين برموشٍ كثيفةٍ طويلةٍ تتَّقدان بالذَّكاء وكأنهما تشربان من كلِّ شيءٍ وتستوعبه جيدا، وكان هذا بالتأكيد أمر غير طبيعي لشابةٍ في الثامنة عشر من عمرها.في حين كانت زوي أقصر من "في" على الأقلِّ بستِّ بوصات وشقراء وشعرها مجعَّد حول وجهها مقبِّلاً خدَّيْها المتورِّدين، وعيناها الزرق تُشرفان على الأخضر وتبدوان دائماً راقصتين ببعضٍ من الفرح الخفيِّ. وبالرَّغم من حجم زوي شديد الصِّغر وهيكلها الصغير إلا أنها لم تكن أبدا هشَّةً أو سهلة الكسرِ، فكلُّ من يراها عن قربٍ يستطيع بما لا يدع مجالاً للشك أن يرى القوة في ذقنها الصغير والخطوط المستقيمة لكتفيها.

قالت زوي وهي تقرصُ خديْها لتورِّد لونهما: أتمنى ألاَّ تتحدَّث هذه المطالبة بحق الاقتِراع طوال الأمسية في السياسة، فإضراري للإنصات دائماً للبالغين يتحدَّثون في السياسة كان الجزء السيئ من كوْني ابنة دبلوماسي. قالتها بالتِواءٍ صغيرٍ كوميديٍّ للشَّفتين.

ومشَّطت تنُّوره فستانها الأسود وعقدت رباطَ ياقتِها، وقالت بأسى: كنت أتمنى أن أرتدي أحد أثوابي الجديدة الليلة، الثوب الأزرق الحريري الذي رأيناه اليوم مثلا. فقد كنت أتمنى أن يكون أوَّل ظهور لي في دومينشي كطائرٍ أزرق اللون لا كغرابٍ عجوزٍ مرعبٍ.

لم تستطع "في" كتم ضحكتها وقالت: يا زوي سواء كنت تلبسين ثوباً

أسوداً أم لا فإنك لن تكوني أبدا مُرعبة. هل أنت مستعدة؟. إذن دعينا نذهب للرّدهة فقد يظن إد أن كلينا طفلتين سخيفتين، لكننا سنُريه أننا دقيقتان في المواعيد.

انْبهرت الفتاتان بالمنظر البهيِّ الذي حيَّاهُن حين دخلوا المطعم. فقد كانت قاعة الطعام الرئيسية لدومينشي ممتلئةً بسيدات تلبسْن ثياب في منتهى الأناقة ورجال يرتدون حللاً أنيقةً خاصةً بالسهرة ورباط عنق أبيض. وأظهرت بعض السيدات حُليًّا شديدة اللّمعان، كما كان الماس الذي يتحلّين به كبيراً جدا. وكان يوجد مناخ من الثِّقة بالنفس في معظم متناولي العشاء الذين بَهروا"في"، فقد بدا وكأنهم ولدوا لثيابهم الخلاّبة وجواهرهم البرّاقة. كانت القاعة مليئةٌ بضوضاء الأحاديث والضّحكات، لكن بدا الصوت ل"في" متناغماً، وكأنَّ كلّ واحدٍ قد تدرَّب على ألاَّيزعج أحد وهو يتحدَّث- كانت هناك فرقةٌ تعزف الموسيقى في مكان ما- فظنَّت أن موسيقاها قصد بها أن تمتزج مع أصوات المتناولين طعامهم ورنين الآنية الفضيَّة والأكواب الكريستال، لا أن تتميَّز عنهم.

أخبر إد حال وصولهم المتر (رئيس الخدم الذي يشرف على قاعة الطعام) بأسماء أصدقائه. فقادَهم في الحال إلى الجانب البعيد من القاعة حيث كان السيد والسيدة ديسبارد والآنسة فرازير في انتظارهم. قام إد بتعريف الجميع ثم جذب الكرسي لزوي لتجلس، في حين جذب السيد ديسبارد الكرسي ل"في" لتجلس.

كانت السيدة ديسبارد جميلةً وممشوقةَ القوامِ بشعرٍ أسمرٍ مائلٍ للاحْمِرار وبشرةٍ بيضاء.وتوقَّعت "في" أنها أصغر من زوجها بعدَّة سنوات، وكانت الآنسة فرازير تُشبه أختها، غير أن بشرتها قد لوّحتها الشمس كما لم تكن تضع أي بودرة لتخفي نمشها الطبيعي. كانت السيدة ديسبارد ترتدي فستاناً من الحرير الأخضر دون أكمام ليظهر عنقها الطويل وكتفيها النَّحيلان، وحول عنقها عُقد من اللؤلؤ المرصّع بالماس . أما أختها على الجانب الأخر فكانت ترتدي بذلةً عاديةً من الكتّان البنّي وبلوزة بيضاءَةً بسيطةً، وكانت تشدُّ شعرها للخلف بشكلٍ مستقيمٍ وتعقدُه برباطٍ. وكانت ساعتها الصغيرة التي حول رُسغها هي كلُّ الحليِّ التي ترتديها. وتبتسم بطريقةٍ ودودةٍ لكنها تركت لأختها مسئولية إجراء الحديث المألوف الذي كان دائما يجري عند مقابلة غُرباء لأولِ مرةٍ.

وما إن جلس الجميع حتى مالت السيدة ديسبارد للأمام وأخبرت "في" وزوي بمدى سعادتها للقائهما وتمكّنهما من الحضور ثم سألت: هل أخبركما إد عن كيفيةِ مقابلته للسيد ديسبارد أول مرة؟

أجابت "في" أنها فهمت أنهما قد تقابلا في الجامعة.

فقالت السيدة ديسبارد: لقد فعلا، وهي أكثر القصصِ تشويقاً. فزوجي عضوٌ في العديد من النوادي منذ كان في الجامعة ونادي الفروسية واحداً منهم. ومن سنتين دُعِي كريس- زوجي- ليحكم في عرض الفروسية السنوي للنادي. حسنا، توقَّعوا من فاز بأفضل عرض؟ لقد كان أخيك وحصانه الرائع الذي جَلبه من منزلكم في الجنوب. تقابل إد وكريس في حفلة العشاء المقامة مساء ذلك اليوم ومن يومها أصبحوا أصدقاءاً أعزاء. ونحن نأملُ أن يأتي إد لنيويورك ليحيا بها بعد تخرُّجه.

وألقت نظرةً على إد الذي كان مُنخرطاً في الحديث مع كريس ثم أسرَّت بسرٍّ هامسةً: إنَّ أخاك سيرحَّب به جدا في نيويورك بالتأكيد، خصوصاً من الآنسات المقبلات على الزواج في مجتمعنا.

وضحكت- ضحكةً طفوليةً رنَّانةً.

وضحكت "في" أيضا قائلةً: من الصعب عليَّ تخيُّل أخي يُطارد من الشابات في نيويورك.

فقالت السيدة ديسبارد بتعقُّل: هذا لأنه أخيك. ثم قالت معتذرةً إنّ مائدتهم ليست في أفضل مكان بالقاعة لأنها طلبت مكاناً هادئاً لتقديرها للأحاديث الشيِّقة أكثر من أن يتطلَّع إليهم الناس، وأضافت أنَّ الطعام ببساطةٍ رائع وأنها تتمنى أن تكون زوي و"في" جائعتين.

كان النادلون يرفرفون في كلِّ مكان في القاعة وحركتهم السريعة جعلت "في" تعتبرهم فراشات تحلِّق دائما وأحياناً تهبط على أحد الموائد لتضع أمامها الأطباق أو تملأ الأكواب ثم يحلِّقون مرةً أخرى لتأدية أعمالهم المعتادة. ظهر نادلٌ أمام مائدة آل ديسبارد ووضع قائمة الطعام أمام كلِّ واحدٍ، ثم تحدَّث السيد ديسبارد لضيوفه في منتهى الدَّماثة قائلاً:من فضلكم ، اختاروا ما تحبون. فهذه أمسيةٌ خاصةٌ جدا لي ولمرجريت. فأنْ نُحاطُ بأصدقاءٍ قُدامى وجددٍ يعتبر واحدٌ من أعظم مسرَّات الحياة، والليلة تزداد تميزاً بحضور أخت زوجتي معنا- وهزَّ رأسه

للآنسة فرازير وابتسم مُكملاً- التي نادراً ما يكون لديها الوقت لتناول وجبة العشاء بالخارج، لذا دعونا نأكل ونبْتهج.

فنظروا إلى قوائم طعامهم وبعد دقائقٍ من الدراسة المركَّزة رفعوا أعينهُم وأصبحوا مستعدين لإخبار السيد ديسبارد باختيارهم، وقام السيد ديسبارد بترشيح بعض الأصناف ل"في" وزوي. لكن حين طلبت زوي "اسكارجو" كطبقٍ رئيسيٍّ قام مضيفها باستثناء قائلا: اسكارجو؟ هل أنت متأكِّدةٌ من أنَّ هذا ما تريدين؟ أعتقد أنك قد تفضِّلين جمبري أو ربما سلمون مشوٍّي.

فأجابت زوي بأدبٍ: أنَّ الاسكارجو سيكون مناسباً لي يا سيد ديسبارد.

فسأل السيد ديسبارد: لكن، هل تعلمين ما هو الاسكارجو؟

نظرت إليه زوي بحيرةٍ فسَّرها السيد ديسبارد على أنها لم تكن تعرفه. لكن في الحقيقة، كانت زوي محتارةً من السؤال، لأنها كانت تعرف بالضبط ما تطلب.

تدخَّل إد في الحديث في عدم صبرٍ قائلاً: أُطلبي سلمون يا زوي، إنه طازجٌ من الجداول التي تقع شمال هنا.

فسألته زوي: هل الاسكارجو غير طازجٍ؟

فأجاب إد باقتضابٍ: إنه طازجٌ بالطبع. فهذا أفضل مطعم في نيويورك، وكريس يعتقد فقط أنَّ الاسكارجو قد لا يُعجبك.

فتعجَّبت زوي قائلةً: ولماذا لا؟. فلم يكن في نيّتها التَّسبب في أيِّ توتُّرٍ، لكنها لم تستطع فهم اهتمام الرجلين هكذا. ألم يخبرانها بأن تختار ما يعجبها؟ وهي قد اختارت الاسكارجو.

مال إد للأمام نحو زوي وكاد يهمس في أذنها قائلاً: إن الاسكارجو قواقع- قواقع مطبوخة

ظنَّت زوي أنَّ إد يبدو مُضحكاٍ بحقٍّ، فقد كان وجهه تعلوه الحُمرة بالإضافةلوجود نقطتيْن حمر في خدَّيْه.

فضحكت قائلةً: حسناً، أتمنَّى أن يكونوا مطبوخين، فالقائمة تقول اسكارجو إقليمي، وهذا يعني مطبوخ على الطَّريقة الفرنسية بالزُّبد والأعشاب. إنه أكثر الأطباق لذةً. يجب أن تجرِّبه يا إد.

جلس إد معتدلاً مرةً أخرى على مضض ولم يقل شيء آخر، لكن استطاعت "في" ملاحظة غضبه.

انتهت المحادثة حين قالت الآنسة فرايزر لزوج أختها: أودُّ أن آخذ اسكارجو أنا أيضا يا كريس. فأنا لم آكُله منذ كنت طالبةً في باريس وطعمه سيعيد لي ذكرياتٍ جميلةٍ ومحببةٍ.

مرَّ الحدث، واستُأنِف الحديث أثناء منح كريس الطلبات للنادل. لكن استمرّت "في" على مراقبتها لأخيها الذي عاد إليه لوْنه الطبيعي وبدأ التحدُّث بطريقةٍ ظريفةٍ مع السيدة ديسبارد. لكنها كانت تتساءل: ما الذي فعلته زوي خطأ ليغضبه هكذا؟

استمرَّ العشاء دون أيِّ أحداثٍ أخرى. كان الطعام ممتازاً والأحاديث أصبحت أفضل- خصوصاً حين اكتشفت "في" أن الآنسة فرايزر هي د.فرايزر، الطبيبة التي لديْها عيادتها الخاصة.

فقالت "في": أنَّ أبناء عمومتي آرثر وديك أطباء، وقد تدرَّب كلاهما في فيلادلفيا.

فقالت د.فرايزر: وأنا أيضا، بالرَّغم من أننا قد لا نكون من نفس الجامعة، فلا يزال غير مسموح للسيدات بالتدرُّب في نفس المكان مع الرجال. كما أني ذهبت للدراسة لمدَّة عامٍ في باريس بعد تخرُّجي من كلية الطب، كمساعدةٍ في الأبحاث.

انبهرت "في" وسألت المزيد عن عمل د.فرايزر. وعلمت أنها عملت أساساً بين الفقراء في باريس، محاولة كشف سبب أمراض مثل الديفتيريا والكوليرا السريع الانتشار والذي يكتسحُ الأحياء الفقيرة في كلِّ المدن الكبيرة.

فسألت "في": وهل مازلت تُجرين أبحاثك؟

أجابت د.فرايزر:بطريقتي الصغيرة. لكني قرَّرت حين عدتُ إلى نيويورك أنَّ عملي سيكون علاج الأمراض. ففتحتُ عيادة هنا ومرضاي أساساً من السيدات والأطفال. فقليل من الرجال يطلبون مساعدة امرأة طبيبة. وأضافت بابتسامةٍ صغيرةٍ ساخرةٍ: لكن ربما سيتغيَّر كلُّ هذا في أحد الأيام.

سألت "في": أين تقع عيادتك؟ هل هي قريبة؟

فقالت السيدة ديسبارد التي كانت تُنصت لحديث "في" وأختها: عيادة أماليا ليست بعيدة عن هنا، لكنها قد تكون في نفس الوقت على الجانب الآخر من القمر.

فأوضحت د.فرايزر: أنها في واحدةٍ من المناطق الفقيرة، لكن يوجد مناطقٌ أسوء يا مرجريت، إن هذه المدينة يا "في" تُشبه شرائح البصلة، فالشرائح الخارجية يحيا بها الفقراء جدا، وحين تنزعين الشريحة الخارجية وتصلين للشرائح الوسطى تجدي الطبقة المتوسطة تسكُن بها مثل أصحاب المتاجر والمكتبات وموظفي الدولة، أما الأغنياء فيعيشون في قلب المدينة ومركزها. فمعظم الناس الذين بهذه الحجرة لا يعلمون شيئاً عن يأس حياة الفقراء وليست لهم صلةٌ بهم إلا كخدمٍ لهم. يوجد في نيويورك مئات الآلاف من الناس، مثل هذا النادل، الذين يجعلون حياتنا سارةً ومبهجةً جدا، سيذهبون للنوم الليلة بما لا يزيد عن قطعة خبزٍ ليملئوا بها أمعاءَهم في مساكن مكوَّنة من حجرتين صغيرتين مظلمتين وبلا تهويةٍ يقطُنها دستةً أو أكثر. على عكسنا.

فقالت السيدة ديسبارد: أماليا أنك تجعلين الأمر يبدو وكأن لا أحد يهتم، أنت تعلمين ما تفعله هذه المدينة لتغيير هذه الأوضاع الفظيعة، لكن هذا يأخذ وقت.

ابتسمت د.فرايزر برقةٍ ووضعت يدها على يد أختها وقالت: أنك على حق يا مرجريت، فبعض الناس يهتمون، كما توجد بعض علامات التقدُّم. لكنِّي لن أفسد هذه الأمسية الرائعة بشكواي. لماذا لا تخبرينا عن مشروعك؟

أدركت "في" أثناء حديث السيدة ديسبارد عن عملها لأجل متحف المدينة الجديد، أنَّ السيدة ديسبارد أيضا سيدة ذات ذكاء واجتهاد. وأنها مهتمةٌ بالفنون وبرفع المستوى الثَّقافي للمدينة. انضمَّت زوي للحديث في هذه اللحظة وسرعان ما كانت هي والسيدة ديسبارد تتحدَّثان عن المتاحف العظيمة في أوروبا. وبدأت زوي تحكي عن واحد من التماثيل اليونانية الذي تمَّ وضعه حديثاً في متحف اللوفر بباريس. ولتتمكَّن من وصف وضع التمثال رفعت ذراعها لأعلى وخلف رأسها في شكل قوسٍ جميلٍ. في نفس اللحظة التي كان يمرُّ خلفها نادل- سانِداً صينيةٍ من الأكواب على كفِّ يده. فضربت يد زوي يده ففقد الرجل توازنه لأقلِّ

من ثانيةٍ، وتمايلت الصينية واهتزَّت الأكواب وبالرَّغم من جهود النادل إلا أنَّ كلَّ شيءٍ وقع على الأرض مُحدثاً دوياً.

بدأ النادل يعتذر بإسرافٍ وهَرع العديد من زملائه لمساعدته في تنظيف وإزالة الأكواب المكسورة، بينما كانت تقدم زوي اعتذاراتها الخاصة. وفي حيرتها وارتباكها خلَطت الجُمل الايطالية والانجليزية والفرنسية معا. فجذبت د.فرايزر التي كانت تجلس بجوارها يدها وتحدَّثت بصوتٍ دافئٍ منخفضٍ لتهدأتِها قائلةً: حدث خير يا عزيزتي، لقد كان حادثٌ عارضٌ، مجرَّد حادثٍ. ليس خطأ أحد.

فسألت زوي والدموع تجتمع في مقلتيها: لكن هل سيعاقب الرجل، هل سيفقد وظيفته؟ إنَّ هذا يحدث أنا أعلم، وقد كان هذا خطئِى.

كان السيد ديسبارد قد قام وأتى إلى جوار زوي وطمأنها قائلاً: أؤكد لك أنه لن يحدثَ شيءٌ. فأنا سأشرح للمتر وأوضِّح له أنَّ النادل لم يرتكب أيَّ خطأ. ثم ابتسم، فشعُرت زوي لحظتها بأنه مثل فارسٍ أتى ليُنقذها. وأكمل: كما أنها لم تكن غلطتك يا عزيزتي. فكما قالت أماليا، كان الأمر حادثاً عارضاً. كُسر بعض الأكواب. هذا كلُّ ما في الأمر، ولحسن الحظِّ كانوا فارغين. أترَيْن، لقد تمَّ تنظيف المكان وعاد كل شيء إلى حالته الطبيعية الآن.

مسحت زوي عينيها بسرعةٍ وقالت: مِرسي، أقصد أشكرك، شكراً جزيلاً يا سيد ديسبارد، فأنا أشعُر بأنني فتاةٌ حمقاءٌ وخرقاءٌ جدا.

فقال: حسناً، لا يجب أن تشعُري هكذا، فالحوادث تحدث للجميع. هذا بجانب أننا لم نتناول الحلوى بعد، وأنا أريدك أن تكوني في مزاجٍ طيِّبٍ حتى تتمكّني من الاستمتاع بكعكة دومينشي الشوكولا الشهيرة. فهل تسمحين لي بطلبها لك؟

أجابت زوي بعرفانٍ بالجميلِ قائلةً: نعم يا سيدي، سأكون سعيدة إذا طلبتها لي.

عاد كريس ديسبارد لمقعده وبدا وكأن لا شيء قد حدث، فقد تم سحب الأطباق الفارغة وطلب الحلوى واستُأنِفت الأحاديث، لكن "في" وعَت لتغيرٍ واحدٍ حين التقطت نظرةَ أخيها لزوي، فقد كانت نظرته إليها قاسيةً- نظرةً قاسيةً لم ترها في عينيه من قبل.

كانت الساعة قد جاوزت الحادية عشر مساء حين عادوا للفندق، فذهبت زوي على الفور لحجرة نومها، وحين ذهبت "في" إليها بعدها بربع ساعة وجدتها تغطُّ في نومٍ عميقٍ، لذا قبل أن تذهب لتنام قرَّرت أن تذهب لحجرة أخيها التي كانت تقع في النهاية المقابلة للرُّواق لتشكره على العشاء، لكنها وجدته في مزاجٍ لا يسمح بتقديم الشكر إليه، فقد كان لا يزال مُهتاجاً وغاضباً جدا، وأوضح على الفور بأنَّ زوي هي السبب، وأعلن إد حين كان يجُول بغرفةِ نومه ذهاباً وإياباً قائلاً: إنها أكثر الفتيات إثارةً للغضب والسخط، كان من الواجب ألاَّ أقترح على آل ديسبارد بدعوتها على العشاء.

فقالت "في": لكنك فعلت، وكان هذا هو الشيء الصحيح الواجب القيام به.

فأجاب إد بتهكُّم: بالكاد الشيء الصحيح، كان يكفي مجادلتها للسيد ديسبارد حول الاسبارجو، ثم سكبِ الصينية، والتحدث مع مارجريت عن الفنون، في حين أنَّ مارجريت خبيرةٌ بحقٍّ! فحتى التوأمان كان سيكون لهما الحسُّ السَّليم في أن يراهم الناس دون أن يسمعوهم في مناسبة مثل هذه.

كانت "في" مذهولةً من إدانات أخيها، فعدَّلت كتفيها وقرَّرت التحدُّث بعقلانية لأنها لم تستطع ترك اتهامات إد تمرُّ دون تحدٍّ فقالت: في المقام الأول: أنها لم تجادل مع السيد ديسبارد، لقد قيل لها أن تختار ما يعجبها وهذا ما فعلته. أما موضوع الصينية فكان حادثٌ عارضٌ يمكن أن يحدث لأيِّ شخصٍ، وكان السيد ديسبارد كريماً جدا من نحوِه. في الحقيقة، كان عذباً بطريقة ذكَّرتني بوالدي، أما عن التحدُّث عن الفنون مع السيدة ديسبارد- فقد استمتعتا كلتاهما بالحديث جدا. وأعتقد أنَّ السيدة ديسبارد انبهرَت بزوي.

أجاب إد بإيجاز: أشكُّ في هذا.

فقالت "في": حسنا، إنها دعتْنا لشرب الشاي عندها يوم الجمعة القادم، وأثناء مغادرتنا للمطعم اقترحت أن نذهب أنا وزوي لقضاء ظهيرة أحد أيام الأسبوع القادم معها في المتحف.

توقَّف إد عن تمشِّيه الغاضب وتحدَّث بصوتٍ أكثر هدوءاً قائلا: أعتقد

أنَّ مرجريت كانت تتصرَّف بلطفٍ فقط. فقد أرادت أن تدعوك لكن لمعرفتها أن زوي مسئوليتك، أضافت ضيفتك!

رفعت "في" عيناها لأعلى وقالت: هذا ببساطة ليس الحال. فلو كنت منتبهاً بدلاً أن تغضب، لكنت رأيت مدى أعجاب آل ديسبارد ود.فرازير أيضا بزوي.

هبط إد في فراشه وتنهَّد تنهيدةً قويةً قائلا: هل أنت متأكِّدة من هذا؟

فقالت "في": آه يا إد، أنت تعلم أنني لم أكن لأقول هذا لو لم أكن متأكِّدة منه. أنا أعلم أن زوي ثرثارةً لكنها أبدا ما تكون حمقاء أو غبية. فقد عاشت حياةً مذهلةً لفتاةٍ في مثل سنها، وهي ذكيةٌ جدا. لماذا أنت قاسياً عليها هكذا؟ لقد رأيت كيف يمكن أن تكون متعاطفاً. هل تذكُر كيف تحدَّثت معها عن والدها؟

فأجاب: كان هذا مختلفاً، فأنا أعلم شعور من يفقد والده.

ابتسمت "في" بدفءٍ قائلةً بنوْع من الإغاظة: وأنت تعرف أيضا شعور من هم في السادسة عشرة من عمرهم. بالرغم من أنك قد تكون في احتياجٍ لتنشيط ذاكرتك في هذا الأمر. فأنا أختك الصغرى وعادة أنا من يأتي إليك طلباً للنصيحة، لكن لدي بعضٌ منها لك اليوم يا إدي. فأنت تحتاج للنَّظر إلى قلبك وأخذ هذا للرب. فأنا لا يمكني توقُّع سببٍ - ، لمشاعرك السلبية نحو زوي، لكني أعلم أنها لا تستحقُّ هذا. فربما يوجد شيءٌ آخرٌ في ذهنك. وأنت تعلم مثلما أعلم، أنه يوجد شخصٌ واحدٌ يفهم كلَّ شيءٍ وكل ما عليك هو سؤاله وهو بالتأكيد سيُنصت إليك ويجيبك.

مرَّر إد يده على شعر رأسه المجعَّد وتنهَّد مرة أخرى، لكن بأكثر رقةٍ هذه المرة وقال: أنت على حقٍ بالطبع، يا أختي الصغيرة الحكيمة. أنها مجرد طفلةٍ ولا يجب أن أتوقَّع منها الكثير.

نهضت "في" من على كرسيِّها ورأت كتاب إد المقدس على المكتب فالتقطته وذهبت إليه واضعةً يدها على كتفه وممسكةً بالكتاب المقدَّس في اليد الأخرى وقالت: هنا يقع مكان البداية يا عزيزي إدي.

فأخذ الكتاب ورفع وجهه ل"في" وقد تحوَّلت نظرته للخجل الآن

وقال: أنا لم أفكّر حتى في سؤالك إذا كنت قد قضيت وقتاً ممتعاً.

فقالت "في" بحماسٍ: آه، لقد قضيت وقتاً رائعاً جدا. وقالت له كيف أعجبت بأصدقائه وكيف تأثّرت بد.فرايزر. وتحدثا أكثر، وأحسَّت "في" بأن أخيها يعيد النظر في قسوته من نحو زوي، لكنها سرعان ما وجدت نفسها تحاول تغطيةِ تثاؤُبها وأدركت أنه قد حان وقت ذهابها لتصلّي ثم تنام. فسألت أثناء مغادرتها لغرفةِ نوم إد: هل ستنضمُّ إلينا في تناول إفطارنا؟ لنأكُل في حوالي التاسعة، فنحن يمكننا الاستفادة من ساعة نوم زائدة. فنحن الفتيات سنذهب للخياطة في الحادية عشر، ثم العمة لوئيس ستصل غداً في الظهيرة و...

فقال إد مكملاً جملة أخته بضحكةٍ: سنحتاج لكلِّ قوّتنا لهذا. ثم أضاف قائلا: أشكرك مرة أخرى على النصيحة يا "في"، لكن هل يمكن أن أطلب منك معروفاً آخر؟

فسألت "في": ما هو؟، وهي تأمل أن يكون ما يطلبه أخيها يستطيع الانتظار للغدِ.

فابتسم ابتسامةً عريضةً وهو يخيط على شاربه وقال: أرجوك لا تدعيني إدي مرة أخرى، من فضلك. على الإطلاق.



الفصل

٣

العمَّة لوئيس

إذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ
اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ
قُلُوبِهِمْ.

أفسس٤: ١٨

العمة لوئيس

كانَ قطارٌ يُسرع متَّجهاً شرقا نحو نيويورك، في الوقت الذي كان فيه إد و"في" وزوي والسيدة أوفلاهرتي يتناولون إفطارهم في غرفة طعام الفندق، وكانت فيه سيدة في منتصف العمر في ثيابٍ رماديةٍ تجلس متزمِّتةٍ في كابينة خاصة وتبدو وكأنها تُحملق خارج النافذة، لكن في الحقيقة، كانت عيناها بالكاد تلاحظ المزارع والمدن الصغيرة التي يمر بها القطار.

كان من الواجب أن تكون سيدةً جذابةً، فقد كانت أنيقةَ الجسم مع شعرٍ بنّي يظلِّله بعض من الشعر الرمادي، وكسيِّدةٍ في بداية الخمسينات من العمر كان جلدها شديد النقاءِ والصفاءِ بطريقةٍ مذهلةٍ. كما كانت عيناها وحواجبها مقوَّسةٍ بشكلٍ جميلٍ مثل أنفها الضيق. لكن فمها- كانت فيه صلابة أثّرت على كل مظهرها. كان فم نادراً ما يبتسم بابتهاج. كما كانت شفتاها تبدو دائما ممطوطةٍ مملوءةٍ بعدم الاستحسان.

من الغريب أن لوئيس دينسمور كونللي كانت فتاةً ضاحكةً. نمت في مزرعة والدها روزلاندز، وكانت طفلة سعيدة كثيرة اللعب، كما كانت تلميذةً جيدةً بالرَّغم من عدم التزامها بالأمر كما يجب وكانت مدلَّلةً مثل كلِّ أطفال آل دينسمور. لكنها كانت رفيقةً مرحةً لأخوتها وأخواتها الكثيرين. وتزوَّجت كالمعتاد من رجلٍ أحبته بكلِّ قلبها وانتقلوا للعيش في مزرعةٍ جميلةٍ في كنتاكي، وأصبح لآل كونللي خمس أطفال- ثلاث أبناء وبنتان- ربَّاهم في محبةٍ وربما الكثير والكثير من التدليل في السنوات التي تسبق الحرب الأهلية.

لكن جاءت الحرب الأهلية وكانت كنتاكي واحدةً من أوائل أرض المعارك. وبما أن السيد كونللي كان من المتحمِّسين جدا للاتحاد فقد تطوَّع للخدمةِ العسكرية في الحال. وحين قتل في المعركة ثم حرقوا المزرعة واستولوا على الأرض تحوَّل قلب لوئيس لقطعة من الجليد. واضطُّرت بعد الاستيلاء على المزرعة وطردها منها أن تأخذ أبنائها وتعود لمزرعة والديها في روزلاندز. وقبل أن تنتهي الحرب فقدت لوئيس اثنين من أخوتها وأمها في روزلاندز التي لم تنجُ أيضا من التدمير. فكانت

لوئيس مع كلّ تراجيديا جديدة تصبح أكثر امتعاضاً واستياءًا وغيظاً، وأصبح فمها الذي كان في وقت ما يضحك بسهولة على تهريج أبنائها ويغمُرهم بالقبلات المحِبة، محدَّدٌ بخطٍّ قاسٍ رفيعٍ من الاستهجان.

كانت تكره كوْنها فقيرةً وتعتمد على إحسان عائلتها. وتكره أن يكون للآخرين الكثير في حين لم تكن هي أو أولادها يمتلكون شيئاً. كان من الواجب أن يكون أبنائها مصدر عزاءٍ لها، لكنها كانت ضائعةً في استيائها وغضبها لدرجةٍ لم تسمح لدفءِ محبّتهم بالوصول لقلبها. وبدل هذا، كرّست نفسها للتأكُّد من ألاَّ تكون حياتهم بمثل صعوبة حياتها. وأرادتهم- خصوصاً بناتها فيرجينيا وإيزا- أن يحققوا الثروة والمكانة العالية. وكانت لوئيس على استعداد لأن تفعل أيَّ شيءٍ تقريبا للتأكُّد من تحقيقهم للنجاح المادي. أيٌّ شيءٍ تقريباً. ورفضت لوئيس أن تمنح حياتها لمن يستطيع شفاء قلبها،كما أنها لم تطلب ذلك. كما نبذَت نعمة الله المخلصة وسخِرت من احتمال وجود الحياة الأبدية. فقد كانت تعتبر الإيمان ضعف. ألمْ يسحقْ تماماً كلَّ ما تؤمِنُ به- زوجها ومنزلها وفرحها؟. ولأنها لاترى غير العالم المادي فقط، ومع مرور السنين، ازداد قلبها برودة وقسوة، ليصبح جليدي مثل جليد القطب الشمالي.

أرجوك لا تُسيء الفهم فإنَّ لوئيس لم تكن شخصاً سيئاً، فهي لم تكن تسلُب أو تسرِق لتحقُّق ما تريد. كما كان لديها إحساسٌ قويٌّ بالمسئولية من نحو أبنائها، ومنذ مرض والدها العجوز قامت بتمريضه وسهرت على راحته بمهارةٍ وتكريسٍ. فقد كان لا تزال في أعماقها فتيلةٌ داخنةٌ من المحبة لم يستطع أحد النَّفخ فيها ليحوِّلها للهب متوهِّج.

وبالتالي، جلست وحدها في صباح يونيو المشرق هذا في القطار محملقةً في النافذة. وجمال وروعة خليقة الله ينسابُ أمام عينيها من تلالٌ خضراء بها منازلٌ صغيرةٌ مليئة بأُناس يشكرون الله كل يوم على نعمته الوفيرة. وحقولٌ محروثة منبسطةٌ يمتدٌ بها المحصول لأعلى وكأنه يرفع يديه نحو الشمس في الصلاة. وبساتين سرعان ما ستمتلئ أشجارها بالثِّمار. وكنائس قرى صغيرة يجتمع بها الناس في عطلة نهاية الأسبوع ليحتفلوا بخلاصِ أبائهم السماوي ومحبته الأبدية.

لكن لوئيس لم ترَ أيَّ من هذا.

استدارت بعد فترةٍبعيداً عن النافذة وفتحت حقيبة سفر صغيرةٍ موضوعةٍ بجانبها وأخرجت منها خطاباًوبدأت تقرأُه، كما فعلت عدة مرات من قبل. كان الخطاب من ابنتها ڤيرجينيا التي تحيا في نيويورك وكان آخرأخبار سمعتها منها من أكثر من ستةِ أشهر.

كانت لوئيس تقول لنفسها أنه لا يوجد سببٌ للقلق، فالخطاب لم يُشِر لوجود أيِّ مشاكل، وكانت فرجينيا تعدِّد فيه لوالدتها كمٍّ المناسبات الاجتماعية التي تشغلها وزوجها- عشاء مع السيد والسيدة ريتش في منزلهما الأنيق، وزيارة للسيدة هايبورن في منزلها الأنيق- وعن أحدث نجاحات السيد نيوفيل (زوج فيرجينيا) المالية.

لماذا كان هذا آحرخطاب؟ لقد كتبت لوئيس لها عدّة مرات. وحدَّثهم عن خطتها بزيارة نيويورك الذي تعمَّدت أن تبدو كزيارة عملٍ، ودون أيِّ ذكرٍ فيها لقلقها البالغ. فهي ببساطةٍ لم ترَ فيرجينيا من ليلة حفل زفافها منذ ثلاث سنوات مضت تقريبا.وبدا الأمر مناسبا للقيام برحلتها،لأنَّ "ڤي" ترافيللا ستمكُث بالمدينة لمدة شهرٍ.

لكنها لم تتلَقَ أيَّ ردٍّ على خطابها، وبينما كانت تطوِي الخطاب بعنايةٍ وترجعه إلى حقيبتها كانت لوئيس ممزَّقةً من الغضب والقلق،إذا كان كل شيء على ما يرام (الأمر الذي كانت لوئيس تُطمئِن نفسها به دائما)، سيكون عدم رد فيرجينيا على الخطابات أمرٌ غير مراعٍ للشعور وقاسٍ. فقالت لوئيس لنفسها أنَّ فيرجينيا كانت دائماً فتاةً لا تراعي شعور أحد كما يمكن أن تكون مشغولة جدا لدرجة نست معها الكتابة. ثم مرة أخرى تعود لتقول،إن فيرجينيا لم تكن قاسيةً. فقد كانت أكثر أبناء كونللي حباً ومراعاةً لوالدتها. ثم هاجم لوئيس فكرٌ مريعٌ: هل تتجاهلني فرجينيا عن عمد؟ فبعد أن حصلت الآن على كلِّ ما أردتُه لها، هل أصبحت خجلةً من أمها الفقيرة؟ هل يمكن أن تكون بلا قلبٍ هكذا؟

كان القطار يتمايل برفقٍ ذهاباً وإياباً وهو يسرع على القضيب وبدأت لوئيس في اللّحاق بسرعته في الطريقة التي تذهب وتجيء بها أفكارها. قلق، غضب، قلق، غضب. ونظرت في ساعتها لترى أنها قد تجاوزت الظهيرة ولم يعُد أمامها سوى عدَّة ساعاتٍ قليلةٍ لتصل لنيويورك، لكن ما الذي ستجده حين تصِل لمقصدها؟

كانت زوي و"في" والسيدة أوفلاهرتي معسكرات في واحد من أفخر بيوت الأزياء في نيويورك، وزوي- مرتدية فقط ملابسها الداخلية- وواقفةً على منصةٍ صغيرةٍ في حجرة ملابسٍ كبيرةٍ، وسيدتان معهما شرائط قياس تُحيطان بها، واحدة تأخذ المقاييس المضبوطة والأخرى تدوِّنها في مفكِّرةٍ صغيرةٍ. وتكرِّران على زوي الطلب بالوقوف ثابتةٍ معتدلةٍ لأنها كانت تتمايل كثيراً من فرْط السعادة والإثارة.

كانت أكوام من الأقمشة والشرائط تغطِّي الحجرة، وبجوارها حقائبٍ وصناديقٍ تحتوي الإكسسوارات التي ابتاعوها يومها أيضا. كانت الخياطات تُمسِكن بقطعةٍ من القماش وتلفَّان بها زوي ويطويانه بطرقٍ عدةٍ ويَثنيان ويرفعان وتتحدَّثان بلغةٍ لم تفهمها "فَي" ثمَّ تدوِّنان ملاحظتهما في المفكِّرة الصغيرة.

وحين انتهوا أخيرا من عملهم وغادروا الحجرة، أحضرت السيدة أوفلاهرتي لزوي ثوبها، لكن زوي تراجعت قائلةً: أكره لبس هذا الثَّوب البغيض مرَّة أخرى.

فقالت السيدة أوفلاهرتي ضاحكةً: أنك بالتأكيد ستديرين كل الرؤوس إذا ذهبت للفندق بملابسك الداخلية. وفتحت ثوب زوي وزوي دخلت فيه.

فقالت السيدة أوفلاهرتي: أرجوك قِفي ثابتةً حتى أستطيع غلق أزراره أنت متململةمثل أرنب فى حقل كرنب

فقالت زوي في أنينٍ معذَّبٍ: ليس بيدي فأنا غير قادرةٍ على هذا، لقد كان أبي معتاداًعلى القول بأنه لا يستطيع فهم لماذا يجب على الناس لبس ثياب الحداد السوداء حين يموت عزيزٌ لديهم، في حين يجب أن نلبس الملابس البرَّاقة والزَّاهية الألوان لأنه حين يذهب شخصاً ما للسَّماء فهذا أسعد شيءٍ يمكن أن يحدث له.

فقالت "فَي": حسنا، سريعا ما ستصبحين برَّاقة مثل حديقةٍ غنَّاء في عزِّ الصيف. بالرَّغم من عدم فهمي لكيفية تحمُّلك لكلِّ هذا القياس والتجربة للأثواب.

فقالت السيدة أوفلاهرتي: إنَّ الفرنسيين يقولون " لكلِّ شخصٍ ذوْقه" فزوي تستمتع بالتسوُّق وشراء الملابس الجديدة، في حين لا يَروق هذا

ل"في".

انتهت السيدة أوفلاهرتي من غلق آخرزرٍ وعادت للخلف لتُلقي نظرةً على زوي وقالت: يجب أن أعترف أنَّ اللون الأسود لا يناسبك يا زوي.

قالت زوي: إنه لون محزنٌ حين تضطِّرين لارتدائه طول الوقت، فبعض القوانين السخيفة للإتيكيت تُخبرني بوجوب ارتداء الملابس السوداء لمدة ستة أشهرٍ كي أُظهر إكرامي لوالدي، لكن هذا لا يُكرمه على الإطلاق، فقد كان شخصاًسعيداًومرحاًويستمتع بكل لحظة في الحياة. وأضافت بتهدُّج في صوتها:وجعلني إنسانةً سعيدةً أيضا.

سألت "في" صديقتها لخوفها من أن تكون هذه المحادثة قد أحزنتها قائلةً: ما رأيك في الأمسية التي قضيناها مع آل ديسبارد؟

أجابت زوي ونبرتها قد ارتفعت مرةً أخرى: لقد كانت رائعةً، أليس كذلك؟ فالسيدة ديسبارد جميلةً جداً ولطيفةً للغاية أيضا، والسيد ديسبارد كان لطيفاً جدا معي، خصوصا حين حدث الحادث، لكن أمكنني ملاحظة استياءِ إد منه.أنا لم أقصد إحراجه أمام أصدقائه.

فقالت "في": لقد بدا على ما يرام أثناء تناول وجبة الإفطار.

فسألت زوي برجاء: هل تعتقدين هذا حقاً؟

قالت "في" وهي تبدأ في جمع حقائب المشتريات التي جمعوها: لن أقلق كثيرا على إد، فله مزاجٌ حادٌ، وكما يقول جدي أنها سِمةٌ من سمات آل دينسمور ويجب على جميعنا الحفاظ على أمزجتنا تحت السيطرة ومراقبتها جيدا، وإد يتخلَّص من مزاجه السيئ سريعاً. لا يجب أن تقلقي عليه.

فهتفت زوي قائلة: آه، لكنني قلقة بالفعل! فرأت "في" الاحمرار يتدفَّق في وجه صديقتها.

وأكملت زوي بسرعة: أقصد أنني أقلق عليكم جميعا. فأنا أودُّ أن أبذُل قصارى جهدي لأجلكم كلكم، وأحيانا حين أشعر بالإثارة والحماس، مثل تلك الليلة، لا أكون في أفضل أحوالي.

فقالت "في": زوي لاف إنَّ مجيئك للعيش معنا يعتبر واحداًمن أفضل الأشياء التي حدثت معنا منذ وقتٍ طويلٍ. ومنحتها حضناًسريعاًوأكملت

قائلة: والآن اسحبي صندوق القبّعات هذا ودعينا نذهب، فإد سيستقبل العمة لوئيس على المحطة ويجب أن نكون نحن في استقبالها في الفندق. لأنه قد يحتدُّ مزاجه إذا تركناه وحده معها لمدةٍ طويلةٍ.

وصلوا في الوقت المناسب الذي يمكّنهم من الانتعاش والترتيب لإرسال شاي لطيفٍ لجناحهم، لذا كان الجميع مستعدِّين عند وصول إد والعمة لوئيس بعد ذلك بساعة. كانت لوئيس أنيقة الملبس وسعدت لرؤية الشاي والسندوتشات لأنها لم تكن قد أكلت شيئاًطوال النهار وكان واضح للجميع أنها متعبةٌ، لكنها لم تكن متعبةٌ لدرجة تمنعها من أن تكون انتقاديه.فحين سئلت عن رحلتهااشتكت وتبرّمت من التأخير ومن الخدمة ومن الأتربة في القطار وفي شوارع نيويورك.

تطوّعت السيدة أوفلاهرتي بلطفٍ بمساعدة لوئيس في إفراغ حقائبها واقترحت أن تتناول لوئيس عشاءهافي حجرتها تلك الليلة، فكان من المُدهش أن لوئيس(التي نادراً ما توافق على قبول أيِّ اقتراحٍ بالمساعدة من أحد، كما لم تكن معجبةً بالسيدة أوفلاهرتي) وافقت. وحين انتهت من تناول الشاي استأذنت وذهبت مع السيدة أوفلاهرتي إلى الحجرة المقابلة المحجوزة لها في الفندق.

سأل إد "في" وهو يسكب لنفسه كوباًآخراًمن الشاى هل تبدوالعمة لوئيس أكثر كآبةٍ من المعتاد؟

أجابت "في": لا أدري، من الصعب الحكم، لقد بدت أكثر نكداً من المعتاد، لكن ربما يكون هذا مجرّد إرهاق، أنا متأكّدة من أنها تشتاق وتتُوق لرؤيةِ فيرجينيا جدا.

قال إد: هذا يبدو غريباً أيضا، فقد سألتها عن فيرجينيا أثناء عودتنا من المحطة لهُنا لكنها لم تقُل شيئاًتقريباً لا شيء من التّباهي عن غنى زوج فيرجينيا والمنزل الفخم. لقد سألت البارحة كريس ديسبارد إذا كان يعرف هنري نيوفيل فقال أنه لم يسمع عنه أبداً. وبدا هذا غريباً لأنّ كريس يعلم كلّ من لهم علاقة بعالم المال والأعمال تقريبا.

قالت "في": أمْ لا يستطيع أحد معرفة الجميع في مدينةٍ كبيرةٍ مثل هذه. فربما كان السيد نيوفيل في مجال أعمال مختلف عن السيد ديسبارد.

العمة لوئيس

سألت زوي: هل لم تُقابلوا زوج ابنة عمتكم من قبل؟

ففكَّرت "في" للحظة وقالت: أدركت الآن وأنت تسألين أن لا أحد من العائلة قابله أو رآهُ عدا العمة لوئيس بالطبع.

أوضحت "في" أنَّ فيرجينيا تزوَّجت من ثلاث سنواتٍ تقريباً في الصيف حين كانت باقي العائلة في فياميد بولاية لويزيانا. فقد ذهبت لوئيس وفيرجينيا لقضاء أجازة في وادي هدسون بناءاًعلى دعوة أخت زوج لوئيس الثرية، حيث كان السيد نيوفيل ضيفاًفي فندقهم. فأُعجب بفرجينيا وتمّت خطبتهم. ثم تم زواجهما قبل أن يعلم أحد أي شيء عنه. وانتقل العروسان للإقامة في مدينة نيويورك. ولم تخطر لوئيس العائلة بشيء إلا حين عادت لروزلاندز.

وقال إد ضاحكا: كانت الطريقة التي تتحدَّث بها العمة لوئيس عنه حينها تجعلك تشعرين أنَّ فرجينيا تزوَّجت من أمير ويلز. وأنا لم أتساءل أو أفكر أبدا من قبل في لماذا لم تحضر فيرجينيا لزيارة روزلاندز طوال هذه المدة. فقد كنت أظنُّ أنها تستمتع فقط بعدم وجودها تحت سيطرة العمة لوئيس لأولِ مرةٍ في حياتها.

فقالت "في": لكنها لم تأتِ أيضا لحضور حفل زفاف إيزا. ثم نظرت لزوي قائلةً: إنَّ إيزا هي أخت فيرجينيا، وواحدة من أفضل الناس الذين يمكن أن تتعرَّفي عليهم. لقد تزوَّجت من ابن العم جيمس كيث، أنه ابن عمومتنا نحن، لا هي،ويعيشان في فياميد. إنَّ جيمس هو قس فياميد وراعي الكنيسة المحلية أيضا. ستتمكَّنين من مقابلتهم حين نزور لويزيانا.

قهقهت زوي قائلةً: سأحتاج لدليلٍ حتى أستطيع فهم عائلتكم الكبيرة، أبناء عمومة وغير أبناء عمومة؟ الموضوع معقدٌ جداً.

فوافق إد: نعاني جميعنا من الحفاظ على كلٍّ واحدٍ في مكانه الصحيح. لكن السؤال أين يقع السيد نيوفيل هنا ، فأنا أتساءل من هو؟.

أخذت "في" سندوتش أخير وقالت: سنعرف المزيد غداً. آه، كم أودُّ أن تبقى يوم أو يومين آخرين يا إد. هل يجب عليك الرّحيل صباح غد بحق؟.

فقال إد: أودُّ أن أبقى لكن دراستي تبدأ يوم الاثنين القادم وعليّ القيام ببعض المذاكرة قبله. هذا بجانب، أنكم يا بنات مشغولات جدا

بتسوّقكم وارتباطاتكم الاجتماعية لدرجة لا تسمح لكم بافتقادي. فانتنّ ستزُرن مرجريت ديسبارد يوم الجمعة، أليس كذلك؟

هزّت زوي رأسها قائلة: إنها شخصية "ممتعةٌ بحقٍّ يا إد. أشكرك جدا على أنك عرفتني بها. لقد قالت أنه سيوجد هناك أيضا بعض ممَّن "هم في الفنون" فماذا كانت تعني بهذا؟هل تعني أنهم فنانين؟

قال إد: من الجائز أن يكونوا بعض من المهتمِّين بالمتحف. ربما بعض تجار التحف واللوحات الفنية. فالسيد والسيدة ديسبارد من جامعِي التُّحف واللوحات الفنية والسيدة ديسبارد شديدةِ الهوَى بالفنِّ الحديث الفرنسي. بصراحةٍ أنا لا أفهم ماذا يعجبها في هذا الهُراء.

قالت زوي ببعض الحدّة: الفنُّ ليس هُراء. لكنها أمسكت نفسها وابتسمت لإد قائلةً: أنا اعني فقط أنَّ للناس أمزجةً وأذواقاًمختلفة.

وقفت "في" وقالت لأخيها: حسنا، إذن، ستكون الليلة ليلة مغادرتك يا إد. فأين تحب أن نتناول عشاءنا؟

اِقترح ادمطعمًّاقريباًمن الفندق ثم اِستأذن وذهب ليرتِّب حقيبته ويقرأ قليلاً قبل العشاء، وقال وهو يغادر: تأكّدي من حضور السيدة أوفلاهرتي لتناوُل العشاء معنا. وبما أنّ العمة لوئيس ستتناول عشاءهافي حجرتها، فأربعتنا سنقيم حفلةً مرحةً.

كانت بحقٍّ أمسيةٍ مرحةٍ وعادوا جميعاِ للفندق بروح مرحٍ عاليةٍ. لكن إد اعتذر وانسحب من المحادثة لأنَّ قطاره سيرحل في الصباح الباكر جدا. وبما أنه لن يتمكّن من رؤية "في" قبل رحيله طلب منها أن تذهب معه لحجرة نومه. وحين أصبحا وحدهما قال: إذا احتجت شيء يمكنك إرسال تلغراف إلي.

فقالت "في" مبتسمةً: أعتقد أننا سنكون على ما يُرام. فالسيدة أوفلاهرتي ستجعلنا دائماً في الطريق الضيق المستقيم.

فقال إد: لو كان الأمر قاصراًعليك أنت والسيدة أوفلاهرتي، ما كنت قلقت، لكنني لم استطع التخلّص من الإحساس بأنَّ شيئاً غريباًسيحدث مع العمة لوئيس وفيرجينيا.كما توجد زوي الشابة التي يمكن أن تشغلك تماما، لذا كوني على حذرٍ يا "في". فأنا أتعجّب بحقٍّ من أنَّ ماما جعلتها مسئوليتك.



فأجابت "في" بعبوسةٍ: كنت أظنُّ أننا انتهينا من هذا الأمر بالأمس.

فقال إد وهو يربِّت على ذراع أخته: نعم، لقد فعلنا،إنَّ زوي طفلة صالحة على ما أعتقد، لكنها طائشةٌ. ومن الواضح يا "في" أنَّ والدها دلَّلها كثيراً وأنها لم تتعلم التفكير في عواقب تصرفاتها. وأنا دائماً أتساءل عمَّا ستفعله في المرة القادمة.

فقالت "في" بحزمٍ: لا أعتقد أنها مدلَّلة على الإطلاق. فأنا أعرفها أكثر منك بكثيرٍ يا إد، وأعلم كم هي جديرة بالثقة. ربما تكون في احتياجٍ لأن تسأل نفسك من أين يأتي تحاملك عليها.

تراجع إد خطوة ورأت "في" نظرة ألمٍ في عينيه وقال: إنه ليس تحامُل، إنني فقط قلق عليك وعلى زوي أيضا.

فقالت "في" بابتسامةٍ واثقةٍ: حسنا، توقَّف عن القلق، فزوي مسئوليتي وأعتقد أنني قادرة على أداء مهمة العناية بها. يا إلهي، إنك أحياناً تتصرَّف مثل جدي تمام. وأعتقد أنك كنت تجولُ الحجرة ذهابا وإيابا مفكِّرا في كلِّ المتاعب التي يمكن أن نقع فيها أنا وزوي. فقط صلِّ لأجلنا باستمرارٍ يا أخي الكبير وسيكون كلُّ شيءٍ على ما يُرام. سنرى فرجينيا، وزوي ستحصُل على ملابسها الجديدة، وسنذهب للمتحف والأماكن الأثرية والسياحية. لكن كل هذا لن يكون مبهجاً إذا كنت على علم بأنك تجول غرفتك ذهاباً وإياباً فارِكاً يديْك.

فضحك قائلاً: أعترف بالتَّجوُّل لكنني لم أفرك يديَّ أبداً . حسناً. يا أختي الصغرى، أوافق على عدم القلق إذا وعدت بأن تكتبي لي كلَّ ما تفعلينه.

عانقتهُ "في" قائلةً: سأفتقدك يا إد. فالأيام القليلة الماضية كانت بهجةً ومفرحةً جدا.

فأجاب إد: وأنا أيضا سأفتقدك. ثم أمسكها على طول ذراعه وعينيْه لمعتا وهو يقول: لكنِّي أعتقد أني كنت في قفص الدَّجاج لمدةٍ طويلةٍ. وسيكون من الجيد أن أعود لكتُبي وأبتعدُ عن كلِّ أحاديث الحثِّ والتخبُّط التي عرضتُّموني لها أيتها السيدات.

فقالت "في" مغيظةً: آه، يا حرام! حسنا، قبِلني قبلة الوداع وسأتركك لأعود لقفص الدَّجاج.

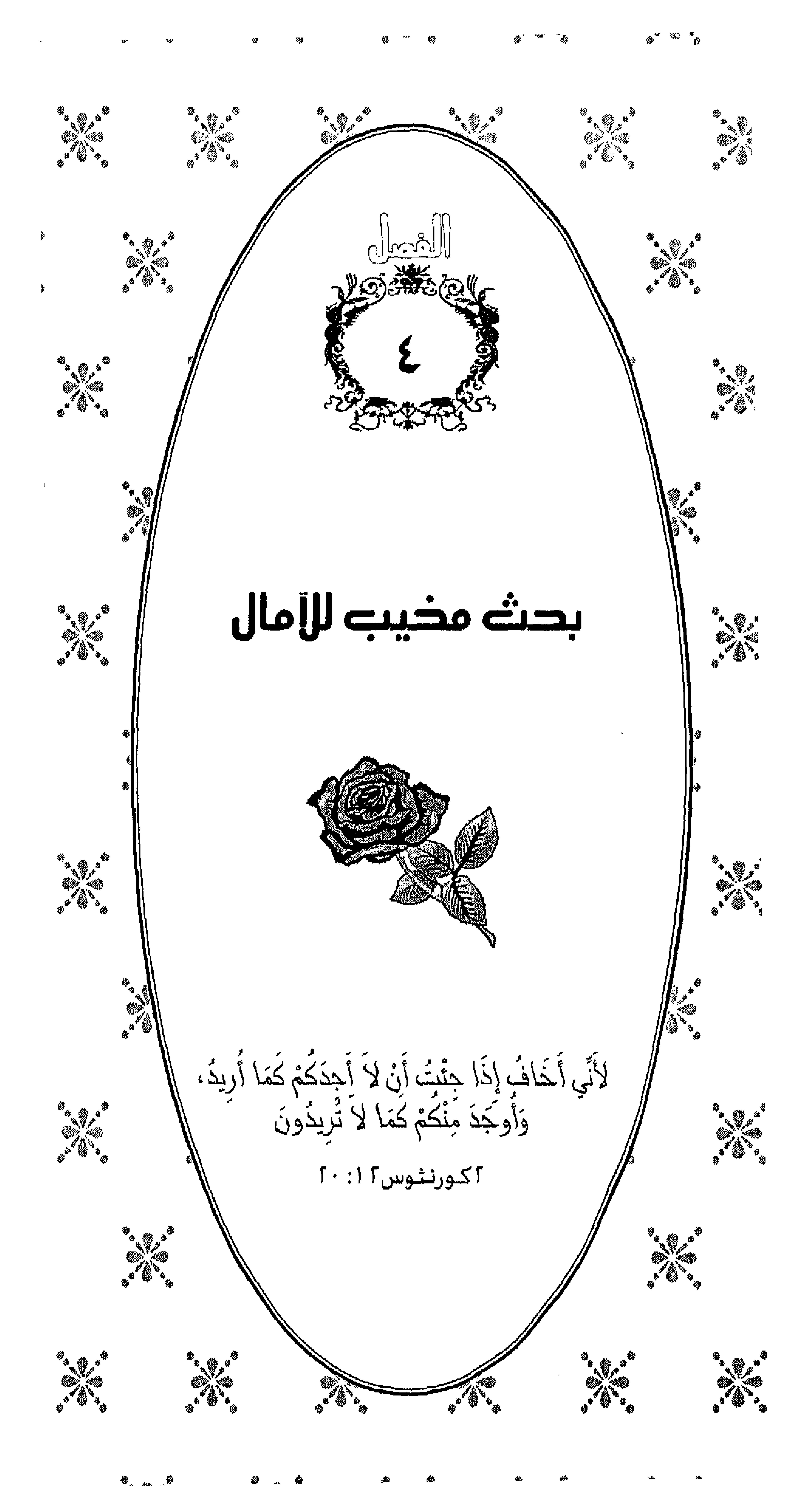
ففعل كما قالت، قبَّلها على خديها ثم قال: سأفتقدك بحقٍّ يا "في"،

فقد أصبحت ناضجةً الآن وأفضل رفيقٍ أيضا. وأظن أنك قادرة على التعامل مع زوي والعمة لوئيس. لكن كما قلت: إذا احتجتني، يمكنني أن أكون هنا في غُضون عدَّة ساعاتٍ قليلةٍ.

حين ذهبت "فِي" لحجرة نومها، فتحت كتابها المقدَّس على الإصحاح الأول من رسالة يعقوب باحثة عن الآية الأخيرة القائلة:" اَلدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللّهِ الآبِ هِيَ هَذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ".

وفكَّرت في المسئوليات المُلقاة على عاتِقها فقد أصبحت بالغةً الآن وكان هذا يعني قدرتها على تحمُّل مسئولية الآخرين. واليتامى والأرامل الذين يقصدهم الكتاب المقدس هم صديقتها زوي والعمة لوئيس بالنسبة لها. فصلَّت قائلةً:من فضلك يا رب، ساعدني على أن أكون حارساًيقظاًلزوي وساعدني لأساعد العمة لوئيس إذا كان ممكن. فأنا أعلم كم كانت حياة العمة لوئيس صعبةً وأودُّ أن أوْصِل إليها محبة وفهم، فمن السهل محبة الناس الجديرين بالمحبة لكن محبة الغير جديرين بالمحبة يعتبر تحدٍّ، لذا من فضلك ساعدني على تحمُّل مسئوليتي وإرشدني للقيام بما هو صواب من نحو الجميع. وأشكرك يا رب، لأنك دائماً بجانبي وستظلُّ دائما بجانبي مهما حدث.

وأنهت صلاتها بعد أن طلبت بركة الرب على إد والسيدة أوفلاهرتي وكل العائلة. ووضعت كتابها المقدس على الطاولة الصغيرة التي بجانبها وأطفأت النور. لكن قبل أن تنام خطر سؤالٌ على بالها مثلما يرى المرء طائراًمسرعاًمن زاوية عينه. أين فيرجينيا؟ أومض السؤال لثوانٍ ثم اختفى.



الفصل

٤

بحث مخيب للآمال

لأَنِّي أَخَافُ إِذَا جِئْتُ أَنْ لاَ أَجِدَكُمْ كَمَا أُرِيدُ،
وَأُوجَدَ مِنْكُمْ كَمَا لاَ تُرِيدُونَ

٢ كورنثوس ١٢: ٢٠

تركَ إد الفندق قبل أن تستيقظ "في" بساعة، وكان قطاره قد ابتعد عن المدينة الكبيرة حين انضمّت "في" لزوي والسيدة أوفلاهرتي لتناول وجبة الإفطار في غرفة طعام الفندق. فسألت "في" حين كان النادل يسحب لها الكرسي لتجلس: هل العمة لوئيس ستأتي؟ هل يجب أن ننتظر حتى تجيء ثم نطلب إفطارنا؟.

فهمست زوي: لا داعي. وأشارت برأسها قليلاً باتّجاه مدخل قاعة الطعام، فاستدارت "في" لترى عمتها لوئيس تمشي بخفةٍ نحو طاولتهم- رأسها مرفوع وعيناها للأمام وكأنه لا يوجد أحد غيرها في القاعة.

ظهر نادل شابّاسريعاً وأمسك لها بالكرسي فجلست لكنها لم تتعِب نفسها بقول أشكرك له.

فقالت "في" بلطف: يبدو أنك استرحتِ يا عمة لوئيس.

أجابت لوئيس: وهذا ما يُدهشني بناء على كلّ الضوضاء المزعجة التي في الشوارع. فالعربات والخيول كانت تقعقِع قبل الفجر، ولم أستطع العودة للنوم. وكان الفراش صلباً مثل لوح الخشب.

فقالت زوي مساعدة: ستعتادين على ضوضاء المدينة مع الوقت يا سيدة كونللي. فهي دائماً صعبةٌ في البداية حين تكوني معتادة على هدوء الريف. فقد كان الأمر معكوساً بالنسبة لي. فحين أتيت من روما للعيش في أوكس لم أستطع النوم بسبب هدوء المكان.

نظرت لوئيس من تحت أنفها في الفتاة وقالت:تتحدثين وكأنني سيدةٌ قرويةٌ غبيةٌ لم تحضر للمدينة من قبل. أؤكد لك يا آنسة لاف، أنني لا أحتاج لنصيحةٍ من أحد عن حياة المدينة. ثم أمسكت لوئيس بقائمة الطعام وبدأت في قراءتها.

نظرت "في" لزوي لترى الدموع في عيني صديقتها. فغضبت بشدة وأحمراخديْها من سخونة الغضب. فعدّت ببُطء في نفسها لعشرة قبل أن تقول: أن زوي لم تقصد تقديم النصيحة يا عمة لوئيس، لكنها فقط كانت تحاول أن تكون متعاطفة.

فأجابت لوئيس بفتورٍ وبرودٍ: ربما. ثم وضعت قائمة الطعام جانبا وقالت: سآخذ بيضاًمسلوقاًلمدةِ ثلاثِ دقائقٍ، وخبزٍ محمصٍ مدهون بالزبد، ومربى وشاي باللبن.

بسبب هذا،أسرعت "في" وزوي والسيدة أوفلاهرتي في الانتهاء من تناول إفطارهن والاستئذان للمغادرةبينماكانت لوئيس لاتزال تتناول إفطارها.

فقالت "في" لعمتها ببعض الاقتضاب: أنا آسفة لاضطرارنا للمغادرة لأنَّ لدينا موعد مع الخياطة.

فنظرت لوئيس لأعلى، فرأت "في" نظرةً غريبة في عيني عمتها، وإذا كانت لشخصٍ آخر لفسَّرتها "في" على أنها نظرة ذعرٍ وهلع. لكن سرعان ما اختفت هذه النظرة وقالت لوئيس: آلا تبقين للحظة يا فيوليت؟ فأنا أودُّ مناقشة شيء خاصٍ معك. يستطيع مرافقيك الذهاب.

من حسن الحظ أنَّ لوئيس لم ترَ الغمزة التي غَمزتها السيدة أوفلاهرتي لزوي ولا ابتسامة زوي الشيطانية.

فقالت السيدة أوفلاهرتي ل"في": سنكون في انتظارك في الجناح. وذهبت مع زوي إليه.

فسألت "في" وهي تُحاول أن تحافظ على نبرةِ صوتها معتدلةٍ: ما الأمر يا عمة لوئيس؟

وضعت لوئيس فنجان الشاي على طبقه وقالت: أودُّ أن ترافقيني اليوم فسأذهب لمنزل فيرجينيا وأنا غير متأكِّدة من طريقي في المدينة.

أجابت "في": سيحضر لك الفندق عربة، وسائقها سيعرف العنوان ويأخذك إليه.

فقالت لوئيس بخفةٍ: أنا أعلمِ هذا يا "في". لكني لا أعتقد أنه من اللائق أن تكون سيدة بمفردها في المدينة. ثم نظرت لأسفل نحو الطاولة وكأنها تبحث عن بقايا طعام لتنظِّفها وأضافت بنبرةٍ ناعمةٍ غريبةٍ عليها: سأكون ممتنةً جداً إذا استطعت مرافقتي.

هناك شيءٌغريبٌ في الطلب- فلم يكن هذا من طبيعة العمة لوئيس- مما جعل "في" تُجيب دون تفكيرٍ قائلةً: سيسعدني الذهاب معك.

فعادت نبرة صوت العمة لوئيس لطبيعته الباردةِ الآمرةِ وقالت: إذاً، اَسرعي للجناح واخبري الآخرين. وأنا سأرتِّب أمر العربة وأقابلك في حجرة انتظار الفندق في غُضون عشرين دقيقة.

سألت "في": هل لديك عنوان فيرجينيا؟

أجابت لوئيس: بالطبع.

لم تستطع "في" رُؤية مدّى قبضة لوئيس المُحكمة على حقيبة يدها الموضوعة على حجرها. كما لم تستطع رؤية الخطاب البالي داخلها.

كانت "في" ولوئيس بعد عشرين دقيقة بالضبط يساعدهما بوّاب الفندق على ركوب العربة. وأعطت لوئيس سائق العربة العنوان في منطقة مُنتزه جرامرسي. ومضَوا في طريقهم.

حاولت "في" أن تفتح أحاديثاًشيقةً مع عمتها. فسألت عن فيرجينيا والسيد نيوفيل، لكنها لم تحصل سوى على أكثر الإجابات اقتضاباً. فعلّقت على جمال المنتزه، ومباني المدينة المبهرة والمنازل التي مرّوا عليها أثناء اتِّجاه العربة جنوباً في الشارع الخامس، وبيوت الأزياء الراقية والسيدات والرجال الذين يتجوَّلون ويجوبون الأرصفة والجو الجميل. لكن لم تتجاوب معها لوئيس سوى بالتّنهيد الثّقيل.لذا قرّرت "في" أخيراً التخلّي عن محاولة أن تكون مهذبةً، وأن تستمتع بالمناظر التي حولها في صمتٍ.

أخيراً، دارت العربة شمال الطريق العام ودخلت شوارع المنطقة السكنية للمنازل الحجرية. حيث وجدت بعض المنازل المتفرِّدة بحدائقٍ ومداخلٍ كبيرةٍ. لكن معظم المنازل كانت مبنية في صفوف ومن ثلاث لأربع طوابق ملتصقة بأحدها الأخر. بعضها ذِى حدائقٍ أماميةٍ ضحلةٍ، لكنَّ معظمها يدخل إليه مباشرة من الرصيف. وكانت ممتلئة بالنشاط. خدم يمسحون السلالم والأرصفة وعمال يحملون صناديق الخضروات والفاكهة الطازجة للمنازل من العربات والحافلات ومربيات يدفعْن عربات الأطفال يتوقّفن تحت ظلال الأشجار التي تصطفُّ على الرصيف ليتباذَلن الأحاديث. كان صباحُ صيفٍ نموذجي في شوارع مساكن ميسوري الحاليٍّ فى نيويورك؛

وقفت العربة أمام منزلٍ أنيقٍ في صفٍ رائعٍ، وأعلمهما السائق بأن هذا هو العنوان الذي تطلُبانه. وساعدهما على النزول من العربة،

فدفعت له "في" أُجرته ومنحته المزيد من العملاتِ النقديةِ شريطةِ أن ينتظر ليعيدهما إلى الفندق. فرحَّب السائق بهذا.

وقفت "في" ولوئيس عدَّة لحظاتٍ تتطلّعان في المنزل الذي كان أكبر من المنازل المحيطة به في الشارع. وكان منفصلاً عن الرصيف بسياجٍ حديدي وبوابةٍ، وكانت حديقته الأمامية صغيرةٍ ومزدهرةٍ بالزهور الفوَّاحة وطريق داخلي من الطوب قادهم إلى سلالمٍ واسعةٍ صخريةٍ مُحاطة بدرابزين حديد محكم الصنع، أما المنزل فكان مبنياًمن الحجر البني الذي ذكَّر "في" بالشوكولاتة لكن كانت نوافذه مزركشةً بالأبيض وكانت أشعة الشمس تضيءُ زجاجه. ففكَّرت "في" بأنَّ واجهته مهيبةٌ لكنها مرحبةٌ.

أغلقت لوئيس مظلّتها الصغيرة وتقدَّمتا من خلال البوابة عبر الطريق القصير وتسلّقا السلالم للباب الرئيسي للمنزل. وقرعت لوئيس الجرس ففُتح الباب بعدها بعدَّة لحظاتٍ وظهر أمامهما رجل متوسط العمر في بذلةٍ رئيس الخدم السوداء المألوفة وحياهما.

وقال بأدب: هل من خدمة؟

فقالت لوئيس: نودُّ مقابلة السيدة نيوفيل. فلم يظهر وجه رئيس الخدم أيٍّ علامة على معرفته بها، وقال: من ترغبان في رؤيتها يا سيدتي؟

فأجابت لوئيس بعدم صبرٍ: السيدة نيوفيل- السيدة هنري نيوفيل.

فأجاب رئيس الخدم: آسف للقول بأنه لا يوجد هنا أحد بهذا الاسم، ربما كان العنوان خطأ.

فقالت لوئيس بقوة: ليس العنوان خطأ، فالسيدة نيوفيل ابنتي وهذا منزلها.

لم تتغيَّر نبرة صوت رئيس الخدم وهو يقول: أنا آسفٌ جدا، لكن هذا منزل السيد والسيدة فانجلت.

فهتفت لوئيس قائلة: لكن هذا ليس ممكن!

فأجاب رئيس الخدم، وصوته كما هو على هدوئه وأدبه مثلما كان في أولِ لحظة حياهما فيها، لكن استطاعت "في" رؤية ومضةٍ من القلق تعبرُ على وجهه، قائلاً: سيدتي أنني أعمل لدى آل فانجلت منذ عشرة أعوام

وأؤكِّد لك أن هذا كان دائما منزلهم.

بدأت لوئيس في البحث في حقيبتها عن الخطاب، في حين سألته "في" قائلة: ربما يسكن آل نيوفيل في أحد المنازل المجاورة. وكان رئيس الخدم يشرح لها أنه لم يسمع أبدا عن السيد والسيدة نيوفيل حين أخرجت لوئيس الخطاب من حقيبتها ولوَّحت به في وجهه قائلةً وصوتها يرتعشُ: هذا الخطاب جاءني من ابنتي، انُظر. يمكنك رؤية عنوان المرسل.

فأخذ رئيس الخدم الخطاب وقراء العنوان وقال بهدوء: نعم . أن العنوان صحيح. لكني أؤكد لك يا سيدتي أن هذا منزل آل فانجلت. ولا يسكن أو يعمل هنا أحد باسم نيوفيل.

فانفجرت فيه لوئيس غاضبة: تعمل! بالطبع ابنتي لا تعمل. ثم استدارت بسرعة وهُرعت عائدةً إلى الشارع.

فنظر رئيس الخدم ل"في" متسائلاً. فقالت: أعتذر بالنيابة عن عمتي، فقد سافرت مسافةً طويلةً ويُعتبر هذا خيبةُ أملٍ شديدةٍ لها.

ابتسم رئيس الخدم وناول "في" الخطاب وقال: أنا متفهِّمٌ للوضع. من الواضح أنه يوجد خطأ. أنا متأكِّد من أنها ستجد ابنتها.

فقالت "في" بصعوبةٍ قليلةٍ: نعم، أنا متأكِّدة من أنها ستفعل. أشكرك.

ثم بدأت في المغادرة لكنها عادت قبل أن يغلق رئيس الخدم الباب وسألته: هل السيدة فانجلت بالمنزل؟

فقال: لا يا سيدتي، إنها ستمضي اليوم بالخارج.

فقالت "في": إذن، أرجوك اِعطها هذا. وأخرجت كارت دعوةٍ من حقيبتها وقلم وكتبت بسرعة عليه عنوان الفندق الذي يقيمون به تحت اسمها المنقوش. وكتبت على ظهره: هل تعرفين السيدة هنري نيوفيل؟ السيدة فيرجينيا كونللي نيوفيل؟. وسلَّمت الكارت لرئيس الخدم وقالت:من المحتمل أن تكون السيدة نيوفيل قد قامت بزيارة السيدة فانجلت في وقت ما وربما تتعرف سيدتك على الاسم.

فقال رئيس الخدم بلُطف: ربما. ونظر للكارت وأضاف: سأحرص على أن تحصل السيدة فانجلت عليه الليلة حالما تعود للمنزل يا آنسة ترافيللا.

شكرتْه "في" مرةً أخرى وغادرت. وحدَّق الرجل فيها حتى ركبت هي وعمَّتها العربة مرة أخرى. وبمزيجٍ من الشفقة والاهتمام أغلق الباب ببُطء. ثم وضع كارت "في" في وعاءٍ فضيٍّ صغيرٍ على الطاولة الجانبية بالمدخل وذهب لاستكمال باقي أعماله.

طلبت "في" من سائق العربة أن يعود بهما إلى الفندق وأخذت مكانها بجوار لوئيس. وأمكنها رؤية شُحوب عمتها الشديد وارتعاش يديها. لكن كان صوت لوئيس صلباًصلابةَ الجليد حين قالت: هذا الرجل الغبي. هذا الرجل الشديد الغباء.

فقالت "في": سنجد فيرجينيا. فمن الواضح وجود خطأ في الأمر. فقد تكون فيرجينيا قد قضت بعض الوقت في زيارة هذا المنزل حين كتبت الخطاب. ربما كانت ضيفة على آل فانجلت. وهذا يوضِّح كتابة العنوان على غلاف الخطاب.

فقالت لوئيس وكأنها تتحدَّث لنفسها أكثر منها ل"في": نعم، ربما يكون هذا ما قد حدث بالفعل. وهذا الرجل شديد الغباء لدرجة لا يستطيع معها تذكُّر اسمها. سيكون من السهل تصحيح الخطأ. فربما تحيا فيرجينيا في مكانٍ قريبٍ. ونحن نمرُّ عليها في هذه اللحظة.

قالت "في": سيكون كل شيء على ما يرام يا عمة لوئيس. وسنعثُر عليها. وهي تأمل أن يكون صوتها مطمئناً لعمتها التي عادت إلى جلستهاللخلف لتكون أكثر راحةٍ في كرسيِّها.

لم تقُل شيئاًآخرحتى وصلتا للفندق، في حين كان فكر "في" يموج بالكثير من الأفكار وتتساءل في حيرة حول كيفية تصحيح هذا الخطأ وسألت نفسها: كيف يستطيع المرء العُثور على شخص ما في مدينة كبيرة مثل نيويورك؟. وهي تشعر بعدم قدرتها الكاملة على معرفة كيفيَّة البدء في البحث أو كيفية القيام به، فصلَّت قائلةً: يا رب من فضلك ساعدنا في العثور على فيرجينيا. وساعدني على معرفة ما يجب عليَّ عمله.

ما إن وصلت "في" و العمة لوئيس للفندق حتى ذهبت العمة لوئيس لغرفتها مباشرة. لعدم رغبتها في مناقشة المشكلة مع أحد. وبإصرارٍ أكَّدت على أنها تفتقد الشهيَّة للأكل وأنها ستأخذ قيلولتها ثم ستتناول عشاءهامبكِّراًفي حجرتها وأوضحت جلياً أنها لا تودُّ رؤية أحدٍ هذه الليلة.

أخبرت "في" السيدة أوفلاهرتي وزوي بما حدث حين عودتهما من التَّسوق، وبدأ ثلاثتهم في مناقشة ما يجب عليهم عمله، فاقترحت زوي وهنَّ يجلسْن في حجرة جلوس الجناح الخاص بهم في الفندق بعد تناولهم لوجبة العشاء قائلةً: يمكنكم استئجار مُخبرٍ خاصٍ. فقد قرأت في العديد من القصص أنهم يحلون الكثير من الألغاز.

فقالت السيدة أوفلاهرتي: لا أعتقد أننا نحتاج للقيام بهذا بعد.

فسألت "في": هل يجب أن نُخطر البوليس؟

فأجابت السيدة أوفلاهرتي قائلةً: أعتقد أننا يجب أن نُحاول مع سبُلٍ أخرى أولا. فعلينا الآن يا فتيات أن نكون مَنطقيين. فيجب أن نسأل أنفسنا من يمكن أن يعرف مكان السيد والسيدة نيوفيل. هل تعرفون أيّامن أصدقائهم؟

فتنهَّدت "في" قائلةً: لا. لكن السؤال حفَّز ذاكرتها ففكَّرت في نفسها قائلةً: لقد أعاد رئيس الخدم خطاب فيرجينيا الذي عليه العنوان لها. وهو مازال في حقيبة يدها. وقد يوجد بالخطاب شيء يدلُّهم- فقد تكون فيرجينيا قد ذكرت اسم صديقةٍ يمكنهم معرفة عنوانها. لكن هل من الصواب قراءة خطابٍ مرسلٍ لشخصٍ آخر؟ فهي لم تفكِّر أبداً من قبل في قراءة خطاب مرسل لشخص آخر.

فقالت "في" ببُطءٍ: إنَّ خطاب فيرجينيا للعمة لوئيس معي.

فهتفت زوي: إذاً اقرئيه!. فربما يوجد به مفتاح اللغز. فاستدارت "في" نحو السيدة أوفلاهرتي وسألتها: هل يجب علينا هذا؟ فكان تعبير السيدة أوفلاهرتي شديد الاهتمام والمراعاة وقالت: ليس في الحالات العادية. وحتى في هذه الحالة، فأنا لا أميل لقراءة خطابِ شخصٍ آخر. وقد يكون هذا ضرورياً إذا لم نتوصَّل لفكرةٍ أفضل. ومع هذا، أعتقد أنَّ هذا قرار السيدة كونللي: أن تخبرنا بما كتبته ابنتها في خطابها أم لا. ويمكنك أن تسأليها غداً يا عزيزتي "في".

سقطت زوي على وسادة وهي تتنهَّد تنهيدةَ خيبةِ أملٍ، فبالرَّغم من عدم اهتمامها بما قد تكون فرجينيا قد كتبته لوالدتها إلا أنها كانت شديدة الفضول من نحو حل لغز مكان فيرجينيا. ففي القصص البوليسية التي قرأتها كان المُخبر الخاص دائما يعثُر على مفاتيح هامة لحلِّ اللُّغز في الخطابات.

سألت السيدة أوفلاهرتي "في" قائلةً: ماذا يعمل السيد نيوفيل؟

قالت "في": يعمل ببعض الأعمال المالية، لا أعرف ماهيَّتها.

فقالت السيدة أوفلاهرتي بنبرةٍ مشجِّعةٍ: إذاً، ربما يوجد في هذا مكان بداية بحثنا. فأنت تعرفين محامي والدك ووكيل أعمالها في نيويورك.

فهتفت "في" بحماس: بالطبع! يمكننا طلب مساعدته.كما يُمكننا الذهاب لرؤية السيد فيليبس محامي ماما هنا غداً. وهو بالتأكيد سيقول لنا عن أفضلِ شيءٍ يمكننا القيام به.


قالت زوي: لا تنسيْ آل ديسبارد. فالسيد ديسبارد يعمل بالبنوك أو شيءٍ مثل هذا. وقد يستطيع مساعدتنا. ونحن سنذهب إليهم غداً للشاي.

تذكَّرت "في" ما قاله لها إد فقالت: أن السيد ديسبارد لا يعرف السيد نيوفيل. فقد سأله إد عنه أثناء تناولنا العشاء معهم.

لم تقتنع زوي بما قيل فقالت: لكنه قد يعرف شخصاً آخر يعرف السيد نيوفيل. فهذا ما يحدث في القصص البوليسية. يجب أن تستمرِّي في سؤال العديد والعديد من الأسئلة لكلِّ شخصٍ حتى تحصلي على كلِّ الإجابات التي تحتاجين إليها. ثم تضعين الإجابات معا وتوفِّقيها حتى تحصلي على الصورة كاملة كما يحدث مع الألغاز.

فقالت السيدة أوفلاهرتي بابتسامةٍ رقيقةٍ: هذه ليست قصة بوليسية يا زوي، لكنها لغزٌ يمكننا حلُّه لو استخدمنا عقولنا التي باركنا الله بها ونطلُب منه المعونة. فقط ضعي في اعتبارك دائما أنَّ هذا اللغز يتضمَّن أُناس حقيقيين بمشاعرٍ حقيقيةٍ. ويجب ألاَّ ننسى أبداً أنَّ السيدة كونللي تحب ابنتها. وأياً كان تظاهرها بعدم احتياجها لمساعدتنا إلا أنها تستحق تفهُّمنا وتعضيدنا.

فقالت "في" فجأة: دعونا نصلِّي. فرسالة يعقوب تقول لنا: أَعَلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ مَشَقَّاتٌ؟ فَلْيُصَلِّ. أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرَتِّلْ.فدعونا نطلب من أبينا السماوي أن يُخرجنا وينقذنا من هذه المشكلة ويرشدنا لفيرجينيا. فأمسكوا بأيْدي إحداهن الأخرى وأَحنَوْا رؤوسهن وبدأت "في" الصلاة ثم السيدة أوفلاهرتي وأضافت زوي شاكرة الله على سماعه لصلواتهن وتضرُّعاتهن. وحين انتهوا ذهبت كلٌّ منهن لسريرها بقلبٍ أخفٍ مليء برجاءٍ وإصرارٍ متجدِّد



الفصل

٥

رحلة أخرى

يَكْشِفُ الْعَمَائِقَ مِنَ الظَّلاَمِ وَيُخْرِجُ
ظِلَّ الْمَوْتِ إِلَى النُّورِ.

أيوب١٢: ٢٢



كتبت "في" خطاباً للسيد فيليب المحامي صباح اليوم التالي بعد أن ارتدت ملابسها وتلَت صلاتها، تطلب منه مقابلتها في نفس اليوم حتى ما يبدءوا عملية البحث عن فيرجينيا في الحال.

كان الإفطار جاهز حين دخلت "في" حجرة الجلوس وكانت لوئيس وزوي جالستين بالفعل على طاولة الطعام الصغيرة الموجودة بها ، ولاحظت "في" أنَّ عمتها تبدو مُتعبة جداً وعينيْها مُحمرّتان جداً،كما كانت زوي هادئةً بشكلٍ غير عاديٍّ.

فسألت العمة لوئيس "في" بنبرتها الحادّة: هل استغرقت في النوم أكثر من اللازم يا فيوليت؟

أجابت "في" بعذوبة وهي تجلس: لا يا عمة، فقد كان علي كتابة خطاب مهمٍّ.

وبدءوا جميعاً في تناول وجبة الإفطار بعدها بعدَّة دقائق، وسألت "في" عن السيدة أوفلاهرتي لملاحظتها لعدم وجودها.

فقالت زوي: لقد ذهبت إلى حجرة الاستقبال لشراء الجريدة.

فقالت "في": يجب أن نُبقي لها بعضاً من شرائح اللحم والبيض فمن المؤكّد أنها ستكون جائعةً حين تأتي.

وفجأةً، خبَطت لوئيس بيدها على الطاولة ورمَت بشوْكتها على الطبق وانفجرت غاضبةً تقول: أنا ببساطة لا أفهم كيف يمكن أن يُتوقَّع منِّي أن أتناول طعامي مع خادمة! فسيدة أيرلندية كوخيَّة مثل سيدتك أوفلاهرتي يجب أن تعرف مقامها! ويجب أن تفهم ألاَّ تتوقَّع أن تتعامل معاملةً مساويةً لمن هم أفضل منها. فنظرت "في" لعمتها بدهشةٍ فرأتْ أنَّ وجه عمتها شديد الاحمرار من الغيْظ والسَّخط، وفمها قاسٍ ورفيع والدموع تترقْرَق من عينيها.

فاعترضت زوي دون تفكيرٍ قائلةً: أنَّ السيدة أوفلاهرتي ليست-

قَطعت لوئيس كلامها بالقفزِ واقفةً من على كرسيِّها هاتفةً: أنا لا

يهمّني ما هي أو ما هي ليست! أنا لا يهمّني شيء سوى- سوى...

ثم هَرعت خارجة من الحجرة وبعدها بثوان سمعوا صوت الباب يُصفع.

فبدأت زوي قائلةً: أنا لم أقصد أن...

فقالت "في": أنت لم تقُلي شيئاً خطأً، فلابد أن تكون العمة لوئيس شديدة القلق والانزعاج على فيرجينيا، لكنها لا تظهر مشاعرها أبداً، وتُخبئهم داخلها، وما تفعله هو مجرد إخراج غضبها في الآخرين الذين لا ذنب لهم، فقد كانت دائما على هذه الحال منذ أمدٍ بعيدٍ فأنا لا أتذكّرها على غير هذا الحال. لكن يجب أن نكون صبورين معها.

فسألت زوي: أهذا ما كانت تعنيه السيدة أوفلاهرتي عن احتياج عمتك لتفهمُنا؟

تنهّدت "في" قائلةً: نعم، بالرّغم من أنه يبدو مستحيلا أحيانا. فهي شخصيةٌ صعب أن تفهميها.وأنا بالتأكيد لا أفهمها، لكنّي سأتكلّم معها، بعد أن تأخذ بعض الوقت لتهدأ. يجب أن نُنهي إفطارنا. لكن ما الذي أخّر السيدة أوفلاهرتي هكذا؟

ظهرت السيدة أوفلاهرتي في تلك اللحظة أمام الباب وكأنها تجيب على سؤال "في". فأدْخَل رؤية وجهها المبتسم وجسدها الطويل القوي الراحة والاطمئنان لقلب الفتاتين. فجلست وسكّبت لنفسها كوباً من القهوة بينما أخبرتها "في" بما حدث منذ عدّة لحظاتٍ سابقةٍ.

فضحكت السيدة أوفلاهرتي من قلبها حين أخبرتها "في" أنَّ لوئيس دعتها ب"السيدة الايرلندية الكوخية" فسألت زوي: هل هذا سيئٌ؟. فهي لم تكن تستطيع تحمّل أن يقول أيُّ شخصٍ شيءٍ سيئٍ عن السيدة أوفلاهرتي.

أجابت السيدة أوفلاهرتي: ربما تعتقد السيدة كونللي أنه كذلك. لكن كوخيّة تعني تسكن في منزل فقراء مثل كوخٍ أو سَقيفة. لكن في الحقيقة، أنَّ السيدة كونللي لم تكن مستاءة من مشاركة طعامها مع سيدة أيرلندية عاملةٍ فقيرةٍ، بل تعاني من ألمٍ شديدٍ نتيجة لعدم معرفتها مكان فيرجينيا. وهي تستخدم البرودة لتقِي نفسها من الألم، لكن المشكلة تقع في أنَّ القلب البارد ترسٌ ضعيفٌ ولا يحمي، فما أسرع

انهيار الجليد تحت الضغط.

فقالت زوي باستياءٍ: يا ليتها تسمح لله بتدفئة قلبها، حينها ستتوقَّف عن كرهها للآخرين وتعاستها.

قالت السيدة أوفلاهرتي برقَّةٍ: أن الله يعمل بطرقٍ عجيبةٍ وغامضةٍ. وبالتأكيد هذا وقتٌ صعبٌ عليها جدا. لكن ربما يرقِّق الله قلبهاالأن.

قالت "في": سيكون شيءٌ رائعٌ أن نرى العمة لوئيس سعيدة. ووضعت فوطتها على الطاولة وأكملت: أعتقد أنني يجب أن أذهب إليها الآن.

فسألت السيدة أوفلاهرتي: هل تودِّين أن أتحدَّث أنا معها؟

كادت "في" أن توافق، لكنها علِمت أنَّ لوئيس مسئوليتها هي، وذكَّرت نفسها بالآية الكتابية القائلة:"افتقاد الأيتام والأرامل". فقالت: لا سأقوم أنا بهذا، يمكنني أن أقول لها أنني كتبت للسيد فيليب وأنه بالتأكيد سيساعدنا في العُثور على فيرجينيا. ووضعت غلاف خطابها الأبيض الأنيق على الطاولة وقالت: قبل أن أتحدَّث للعمة لوئيس سأنزل وأُعطي خطابي لمدير الفندق حتى يمكنه توصيله في أسرع وقتٍ ممكنٍ.

انتهوا من تناول إفطارهم، وذهبت زوي والسيدة أوفلاهرتي لحجراتهن، وكانت "في" ترتدي سُترتها لتذهب لحجرة استقبال الفندق حين سمعت نقراً على باب حجرتها فقالت: أُدخل، وهي تعتقد أنه ربما يكون شخصٌ من المطبخ جاء ليأخذ صواني الإفطار، لكن حين فتح الباب رأت أمامها مدير الفندق نفسه مُمسكاً بيده خطاب شديد الشَّبه بالخطاب الذي كانت تمسك به وقال بطريقةٍ دمثةٍ: لقد تم إحضار هذا الخطاب لك يا آنسة ترافيللا في التوِّ واللحظة، فظننت أنه قد يكون مهماً. يمكنني الانتظار إذا أردت إرسال ردٍّ عليه.

لم يكن المدير معتاد على توصيل الخطابات لنُزلاء الفندق. لكنه لاحظ اسم "فانجلت" مكتوب على ظهر الخطاب ليعاد إليه إذا لم يسلِّم الخطاب لصاحبته، وكان "فانجلت" من الأسماء المشهورة والمهمَّة في المدينة.

أخذت "في" الخطاب وطلبت منه الجلوس، وفتحت الخطاب بسرعة وقرأت فيه:

عزيزتي الآنسة ترافيللا:

أعلمني رئيس خدمي بأنك حضرت لزيارتي، وأنا آسفةٌ لعدم وجودي في المنزل حينها لاستقبالك. فأنا أعرف والدتك المحبوبة وأحب كثيراً أن أقابل ابنتها

لقد فهمت من رئيس الخدم ومن بطاقتك أنك كنت تأملين في العُثور على السيدة"فيرجينيا كونللي نيوفيل" في منزلي. لكني لا أعرف أحد باسم نيوفيل، لكن وأنا أفكِّر في الأمر تذكَّرت الآنسة فيرجينيا نيومان التي كانت تعمل لديَّ كسكرتيرة خاصة لكنها تركت العمل منذ ما يقرب من ستة أشهر مضت. وهي شابة شديدة الكفاءة، وشعُرت بالتَّعاسة لفقدها قبل عيد الميلاد بقليل، فقد كان عليها العودة للجنوب لرعاية والدتها المريضة. كان رحيلها مفاجئٌ ولم أسمع عنها من حينها. ومع هذا، سأكتب لك عنوانها الذي أرسلت إليها فيه آخر مرتَّبٍ لها في نيويورك. ربما لن تكون الشخص الذي تبحثين عنه، لكني سأضعه بالخطاب ربما يكون مساعداً أو مفيداً لك.

استمرَّ الخطاب في دعوة "في" على الشاي في أيِّ وقتٍ تراه مناسب لها وتمَّ توقيع الخطاب بالسيدة موريس فانجلت، ووجدت "في" داخل الخطاب كارتاً صغيراً به العنوان.

كان مدير الفندق يتأمَّل "في" بإمعانٍ وفضوليةٍ لكن ما إن رفعت "في" وجهها من على الخطاب حتى كان وجهُه لطيفَ التعبيرِ ودون إظهارٍ لأيِّ مشاعرٍ أخرى، فسألته "في": هل يمكن أن تنتظر بضع دقائق أخرى حتى أتمكَّن من كتابة الردِّ بسرعةٍ.

فأجاب المدير بابتسامةٍ متمرِّسةٍ: بكلِّ سرور. فقد كان رجلاً طموحاً ويؤمن بأنَّ تقديم خدمةٍ متميزةٍ لنزلاءِ الفندق الأثرياء دائماً ما تأتي بثمارٍ رائعةٍ ورواجٍ لعمله. ولم يكن على استعداد لإضاعة فرصةٍ تقديم مساعدة لآل ترافيللا وآل فانجلت في نفس الوقت.

أسرعت "في" لغرفتها وكتبت خطاباً أعربت فيه عن شكرها وامتِنانها للسيدة فانجلت وقبولها لدعوتها على الشاي وشكرها لها على المعلومة. ثم عادت لغرفة الجلوس وأعطت الخطاب للمدير، وفكَّرت للحظة في إعطائه الخطاب الخاص بالسيد فيليب أيضا لكنها قرَّرت أنه لن يكون ضرورياً الآن - إذا كانت المعلومة التي قدَّمتها السيدة فانجلت صحيحةً

أم لا .

وعد المدير بإرسال شُكر "في" حالاً. وانحنى وهو لا يزال مبتسماً وغادر لإتمام مهمته.

قرأت "في" الخطاب مرةً أخرى ونظرت للعنوان المكتوب على الكارت الصغير وقالت في نفسها: عمري ما سمعت عن هذا الشارع، لكن هذا لا يعني شيئاً. فقد كانت معتادة على المدينة لكنها بالطبع لا تعلم كل أحيائها وشوارعها.

شعرت "في" أنه قد حان وقت حديثها مع عمتها. وبصلاةٍ قصيرةٍ طالبةً فيها الصبر،ذهبت إلى حجرة لوئيس بعد أن عدّلت من كتفيها وأمسكت بخطاب السيدة فانجلت في يدها.

كانت لوئيس و"في" بعدها بساعةٍ تقفان أمام الفندق منتظرتان لإحضار البوّاب لمركبةٍ لهما. كانت لوئيس عصبيةً ومشاكسةً، وكعادتها الدائمة كانت تتبرّم من كلِّ شيءٍ، فقد قالت البوّاب شديد البُطء واليوم ملبّد بالغيوم جدا. والشوارع شديدة الازدحام ومغامرتهم في المدينة بلا فائدةٍ.

فسألت"في": هل تودِّين ألاّ نذهب؟

فأجابت وكأنَّ سؤالاً "في" سؤالٌ سخيفٌ قائلةً: بالطبع يجب أن نذهب، أنا فقط أقول أن هذه الإنسانة- فيرجينيا نيومان- لا يمكن أن تكون ابنتي فيرجينيا- لكن يجب أن نتفحّص الأمر كردٍّ لطيفٍ على لُطف السيدة فانجلت، فهي واحدةٌ من أهم الشخصيات الاجتماعية في مدينة نيويورك.

كان تفكير لوئيس بلا معنى ل"في"، لكنها كانت تفهم أن عمتها تختلقُ الأعذار لنفسها. وأكملت لوئيس بأكبر قدرٍ من الغَطرسة قائلةً: من المستحيل أن تعمل فيرجينيا كسكرتيرةٍ لأحد، لكن سيكون من الوقاحة تجاهُل رسالة السيدة فانجلت. وهذا هو السبب الوحيد لهذه المهمّة الحمقاء، لكنه سببٌ كافٍ. فالسيدة فانجلت ليست من الأشخاص الذين يجب إزعاجهم.

وقفت مركبة مفتوحة أمام الفندق وساعد البوّاب السيدات على ركوبها وسألهم السائق عن العنوان الذي يودُّون الذهاب إليه. وحين

قالت له "في" العنوان نظر إليها نظرةً غريبةً، فاعتقدت أنه لم يفهمه فأعادته عليه، لكنه أجاب بكلمةٍ واحدةٍ: كما تريدين يا سيدتي، لكن "في" رأت الطريقة الغير مُباليةِوالتي هزَّ بها كتفيه، وكذلك رأسه وهو ينظر للأمام ويقود الحصان للسَّير في الطريق.

كانت لوئيس الجالسة بجانب "في" تتبرَّم من شيء لكن "في" لم تكن مصغيةً لها. فقد كانت قد بدأت تقلق على المكان الذي سيذهبون إليه وما الذي سيجدونه هناك.

بدأت المركبة في البداية وكأنها تأخُذ نفس المسار الذي اتَّخذوه في اليوم السابق لبيت السيدة فانجلت لكن بعد مجمَّعيْن تركت الشارع الأنيق، ولم يمضِ وقتٌ حتى أدركت "في" أنهم في أحياء لم ترَها في حياتها من قبل أبداً. فقد أُستبدلت المنازل الأنيقة الراقية بصفوفٍ من المساكن الأبسط ووجد بها محلات في العراء وبائعين على عربات وأناس أكثر يتسوَّقون. كان الإحساس مريح وعائلي.

وبالتدريج تغيَّر المنظر مرةً أخرى وضاقت الشوارع وأصبحت مهدَّمة وكثيرة الحفر، لكن بالرَّغم من فقر حالهم إلا أن سائق المركبة ضرب بالسوط في الهواء مسرعا من خطى الحصان. وبدلا من المنازل والمتاجر النظيفة المتوسطة الحال، بدا كلُّ شيءٍ قديمٍ وقذرٍ ومتَّسخٍ. وبعض الشوارع التي مروا بها لم تكن سوى طرقٍ ترابيةٍ جافةٍ محاطة بشققٍ وأكواخ مهدَّمةٍ. ورجال لابسين ملابس رثَّةٍ بعيونٍ حزينةٍ جالسين على الطرقات ومتسكعين على زوايا الشوارع. يحملقون في المركبة أثناء عبورها وبعضهم يضحكون بطريقةٍ كريهةٍ. والأطفال في ملابس رثَّةٍ يلعبون في الشوارع دون أن يُراقبهم أو يرعاهم أحد. وكانت رائحة الجو عفنةٍ وراكدةٍ.

قالت لوئيس عدَّة مراتٍ أنهم بالتأكيد يسيرون في طريقٍ خطأ، وأعلنت أنهم يجب أن يذهبوا في اتجاه غرب النهر لا شرقه. لكن بطريقة ما كانت "في" تعلمُ أنهم في الطريق الصحيح. وكانت تتذكَّر ما قالته د.فرايزر عن المدينة- أنها تشبه حلقات البصلة وأنَّ الفقراء يحيَوْن في الحلقات الخارجية لها.

كانت لوئيس تهدِّد بإيقاف المركبة وأمرِ السائق بإعادتهم للفندق

حين دارت المركبة ودخلت شارع ذا مبانٍ أفضل في الشكل، لم تكن مثل مباني الأثرياء أو أحياء الطبقة المتوسطة لكنها مختلفة عن تلك التي مرُّوا بها لتوِّهم. لأن بها أشجاراً خشِنةً هنا وهناك وبدا الناس الذين يسيرون على الأرصفة ذى أهدافٍ أكثر من غيرهم فى أماكنٍ أخرى. واستدارت المركبة ببُطءٍ عند زاوية الشارع وسمعت "في" بعض السيِّدات تتحدَّثن وهن يبْتعن بعض الثياب القديمة وأدوات منزلية أخرى مكوَّمةٍ على عربةٍ. والتقطت بعض اللغات الأجنبية ولكنَّها انجليزيةٌ غليظةٌ. فتذكَّرت الشارع الذي كانت عائلة آل كونستانزا يحيون به في روما- حيث أخذهم ألبرتو هي وزوي لمنزل والدته الأرملة وأخته. وعاد ذهنها لذلك اليوم ورأت مرةً أخرى الحجرات الفقيرة التي تُماثل تلك التي كانت تحيا بها عائلة كونستانزا. وحاولت تخيُّل حجرات ابنة عمتها فيرجينيا في مثل هؤلاء، لكن كان هذا مستحيل عليها وفكَّرت في نفسها قائلةً: بالتأكيد العمة لوئيس على حقٍ وهذا طريقٌ خطأ.يجب أن نقول للسائق أن يعود بنا للفندق. لكن شيء ما داخلها قال لها ألاَّ تشكَّ وذكَّرت نفسها بالثِّقة في الطريق الذي وضعه الرب أمامها، فأياً كان مقصدهم فهو سيقودهم للطريق الصحيح.

وقفت المركبة بعدها بدقائق أمام منزل بدا مهدَّم أكثر من جميعهم ودهانه أكثر تقشيراً وعدد من نوافذه مكسَّر ومغطًّى بأوراق الجرائد المصفرَّة الألوان. وفي طابقه العلوي مصراع باب مكسور معلَّق بجانب لوح نافذةٍ علويٍّ يبدو وكأنه سيقع في أيِّ لحظةٍ على الأرض. كانت المساحة المفتوحة التي تقود لأسفل لمستوى البدروم ممتلئةً بالنفايات والزجاجات الفارغة وبعض قطع أثاث مكسَّرةٍ.

دفعت "في" للسائق أُجرته كما فعلت في اليوم السابق ومنحته المزيد من قطع العملات النَّقدية وطلبت منه الانتظار، لكنه لم يوافق إلا بعد أن دفعت له "في" بسخاءٍ لينتظر ثم يعيدهم للفندق. وحين سأل عن المدَّة التي سيقضينها أخبرته أنها عدَّة دقائق وبالتأكيد لن تزيد عن ساعة. لم يبدو عليه السعادة لسماع هذا، لكن الوعد بأجرٍ سخيٍّ غلب كلَّ مخاوفه.

تسلَّقت "في" ولوئيس السلالم المهدَّمة القذرةِ المدخل، ولاحظت "في" صندوق خطاباتٍ قد صدأ وعليه لوحة أسماء كبيرة يمكن وضع عدَّة

كروت بها بأسماء الناس المقيمين بالمنزل. كان معظمها فارغاً وقلّةٍ منها تحمل كروتاً باليةً قذرةً بأسماءٍ مخربشةٍ، كان أحدهم مكتوباً عليه "نيوفيل-2ب"

فقالت لوئيس وهي تفتح باب الرُّواق المظلم العفِن: هذا لا يعني شيء، فلابد أن يوجد العديد من الأسماء يحملون اسم نيوفيل. لكنها لم تعُد أدراجها. كانت أمامهم مباشرة سلالم فبدءوا يتسلّقونها ولوئيس على استمرارها في التبرّم من بحثهم عن "الإوزة البريّة التائهة".

كان على "في" أن تُصارع شكوكها مرةً أخرى فلا يمكن أن تحيا فيرجينيا في هذا المكان. فقدكانت السلالم متهالكةً ومفروشة ببقايا الأوراق وقطع زجاجٍ مكسورٍ وبقايا خيوطٍ باليةٍ لما كان يطلق عليه فيما مضى بسجادةٍ، تحوّلت السلالم في بعض الأماكن لكسر كما كانت تتهالك بشدةٍ مع كلّ خطوةٍ.

ما إن وصلوا لأولّ طابق نظروا في الأربع أبواب المغلقة المنتشرة في الرُّواق الضيِّق وكان كلّ منهم عليه رقم باهِت فوجدوا -2ب . لكن لوئيس بدل أن تقرعَ على الباب حملقت في ورق الحائط الممزَّق البالي والجصّ المقشّر والنفايات الملقاةِ على الأرض - علب وزجاجات فارغة وقطع من بقايا الأقمشة البالية وخشب مكسور وكومةٍ من الأتربة والقاذورات التي حاول أحدهم أن يجمعها لتكوِّن كوْمةً ومقشةٍ قديمةٍ في الجانب ورأسها لأعلى وشعرها مخلوع وممتلئة بالأتربة فبدَت ل"في" مثل خيالِ الظِّلِ الذي نزعت زينته حديثاً.

كانت النافذة الوحيدة الموجودة بالرُّواق مهشَّمةٍ وسُمِّر نصفها السفلي بقطعة من الخشب وغطاءٍ قماشي بالٍ مما حجز معظم الضوء. لم يوجد شعاع للمبة غاز كما في الفندق وبدَت الحوائط وكأنها تنغلق نتيجة لبصيص الضوء الداخل، وقد ذكَّر "في" هذا بالحادث الذي حدث لها حين كانت صغيرة وحبست نفسها في دولاب والدها وظلّت تصرخ وهي مرعوبة حتى أتى إد وأنقذها.

وسمعوا أصواتاً متضاربةً من الدور الذي يعلوهم، لكن كان الدور الذي هم فيه هادئ بشكلٍ غريبٍ وبدا وكأنه لا يوجد به هواءٌ كافٍ للتَّنفس. فقد كان الرُّواق أسخن بكثيرٍ من الخارج وكانت تخرُج منه

رائحة الطعام العفنِ والعفونة.

سمعت "فِي" خشخشةً بجوار المكنسة في الركن ومن جانب عينيها رأت شيئاً يتحرك بسرعةٍ فاعتقدت أنه فأرٌ؟ أو شيءٌ أسوء ؟

وفجأة لم تُرِد "فِي" أن تبقى في هذا المكان لحظة أكثر من الضروري، لذا دقَّت بقوةٍ وعدم صبر على باب -2ب، فلم توجد استجابة. ثم دقَّت لوئيس. ولم يسمعوا شيئاً أيضا. فدقَّت بأكثر قوةٍ وشراسةٍ مستخدمة قبضتا يديها.

كانت على وشك الاستسلام حين سمعوا صوتاً خفيفاً بالداخل- خشخشة معدن مثل سلسلةٍ- وفتح الباب. لتقف أمامهما سيدة شابة شديدة النَّحافة وجهُها شاحبٌ شحوب الموت وحول عينيها دوائر سوداء وفي خدَّيها دائرتان محمرَّتان ملتهبتين وترتدي ثوباً ممزَّقاً كان في يوم ما جميل وكان شعرها الطويل المُعقد مترهِّل على كتفيها. فنظرت إليهما وكأنهما لم تكونا هناك، لكن حين ركَّزت انتباهها على لوئيس قالت في همسةٍ مخنوقةٍ: ماما؟ هل هذا أنت؟

كادت فيرجينيا أن تسقُط في ذراعي لوئيس التي بالرَّغم من صدمتها أمسكت بابنتها ورفعتها عاليا، وأخيراً تمكَّنت من القول: ماذا حدث لك؟

أدركت "فِي" على الفور بأنَّ فيرجينيا غير قادرة على الكلام من هول المفاجأة. فقالت للوئيس بأن تُمسك بأحد ذراعي فيرجينيا وأمسكت هي بالآخر وحين فعلت هذا أدركت كم أصبحت ابنة عمتها هشَّةً. استطاعت فيرجينيا أن تساعدهم قليلا حتى أدخلاها للشقة وأجلساها على الأريكة البالية، فقالت لوئيس: أنت مريضة، أين زوجك؟ أين السيد نيوفيل؟ هل تركك هكذا؟ ولماذا تركك؟ وكيف وصلت لهذا المكان؟

بدَت أسئلة لوئيس قاسيةً، لكنها كانت في كلِّ الوقت حاضنة بقوة لفرجينيا وتدلِّلها كما لو كانت طفلةً صغيرةً وكانت أيضا تمسح شعر فيرجينيا وجبهتها بيدها، ثم قالت بصوتٍ مصدوم: إنك محمومة. ونظرت لأعلى ل"فِي" التي رأت عينيها الرماديَّتن ممتلئتين بالخوف والقلق.

تفحَّصت "فِي" الغرفة بعينيها بسرعة التي كانت تقريبا بلا أثاثٍ سوى الأريكة وطاولةٍ صغيرةٍ وستائرٍ معلقةٍ فوق النوافذ لكنها ممزقةٌ وباليةٌ لدرجة أدخلت كلَّ الضوء من خلالها ليكشف دناءةِ الحجرة. ورأت

باباً لغرفةٍ جانبيةٍ بجانبه ركن منعزل يمكن أن يكون المطبخ. فاتَّجهت "في" بسرعةٍ للركن الذي لم يكن أكبر من دولابٍ ووجدت به قليلاً من الماء وقطعة من القماش بدت نظيفة. فسكبت الماء في الوعاء المكسور وغمست فيه قطعة القماش وأخذتها للوئيس التي بدأت برفقٍ في مسح جبين فيرجينيا بها.

رأت "في" موقداً صغيراً في المطبخ فترجَّت أن تصنع القليل من الشاي لفرجينيا لكنها لم تجد شيئاً على الأرفف، لا شاي و لا سكر أو أيَّ طعامٍ من أيِّ نوعٍ. فقط زجاجةٍ فارغةٍ كان بها لبنٌ.

كم تمنَّت "في" حينها أن تكون السيدة أوفلاهرتي أو والدتها معهم، فبالتأكيد كانوا سيعرفون ماذا يعملون. فصلَّت في نفسها قائلةً يا رب أرجوك ساعدني على التفكير الصحيح، واخْبرني ما يجب علي عمله.

ثم تذكَّرت السائق الذي كان ينتظرهم بالخارج فقالت: يجب أن نأخذ فيرجينيا للطبيب يا عمتي لوئيس. سأذهب لإحضار سائق المركبة ليساعدنا وسأعود في الحال.

فهرُعت خارجةً من الحجرة ومنها إلى الرّدهة الخانقة ونزلت السلالم جري ثم خرجت من المنزل، وأخبرت السائق لاهثةً بوجود سيدة بالداخل يجب حملها وإنزالها السلالم حتى المركبة.

فسأل السائق: ماذا بها؟ فقد كان يعلم جيداً عن الأمراض المتفشّية بالمناطق الفقيرة للمدينة والتي تحصُد مئات الأرواح.

فقالت "في": أعتقد أنه التهابٌ رئويٌ، غير معديٍّ، ويجب أن نأخذها للطبيب.

فقال السائق: أن المستشفى بعيدةٌ جداً عن هنا، كما لا يوجد طبيبٌ بالمنطقة.

فقالت "في" شبه صارخةً: بل يوجد، وهذا هو العنوان!. كانت حقيبة يدها الصغيرة معلقة بيدها فأخرجت منها كارت د.فرايزر الذي كانت قد منحتها إياه ليلة تناولوا عشاءهم مع آل ديسبارد في دومينشي. فأرته إياه وقالت: أترى؟ د. أماليا فرايزر! وهذا عنوان عيادتها، ويجب أن تكون قريبةً من هنا.

قرأ السائق الكارت وقال: أنها أقرب من المستشفى. حسنا، سأساعدكم

إذا كنت متأكِّدة من أن مرضها غير معديٍّ. فأنا لا أستطيع أخذ أي مرض معي للمنزل لزوجتي وأبنائي.

فقالت "فِي": أنني متأكِّدة تقريباً، أعدك. اِتبعني لأعلى من فضلك.

كان السائقُ رجلاً قوياً فبسهولة رفع فيرجينيا من على الأريكة وكانت لوئيس قد لفَّتها ببطانية وتبِعت الرجل أثناء مغادرتهم للشقة. بدَت فيرجينيا وكأنها تُهذي فقد ظلَّت تقول نفس الكلمة مرة تلو الأخرى. ظنت "في" أنها تقول بيت أو بيتي

فقالت في نفسها لن يأخذ الأمر سوى ثوانٍ لفحص الأمر فهرُعت عائدةً للشقة وفتحت الباب الجانبي الذي كانت قد رأته، لكن كانت الغرفة مظلمةً وغير منظَّمة ولاحظت "في" وجود صندوقٍ فوق السرير فاعتقدت أنَّ هذا ما قصدته فيرجينيا،فاقتربت أكثر لتجده صندوق ملابس مفتوح لكن ما إن اقتربت أكثر حتى رأت -كومةً صغيرةً. وللحظات شعرت بالضيق لأن فرجينيا تريد ملابساً في هذا الوقت. لكنها سمعت صوتاً ناعماً مثل مُواء قطة صغيرة فنظرت داخله ورأت كومة من المناشف. وعاد الصوت مرة أخرى وتحرَّكت الكومة، فنظرت بأكثر قرباً فرأت يد شديدة الصغر تظهر. فبمنتهى الرِّقة أبعدت بعض الأقمشة بعيداً لتجد عينين صغيرتين جدا تتلألآن أمامها. وبعنايةٍ رفعت كومة الأقمشة وحملت الرضيع وهدْهدْته بين ذراعيها. ووضعت يدها على جبهته لتطمئنَّ على حرارته فوجدتها عالية جداً.



الفصل

٦

تشخيص حذر

الَّذِي أنقذنا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا
إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ،

كولوسي ١: ١٣



نسيت "في" تماماً كلَّ شيءٍ عن تناول الشاي مع آل ديسبارد، لكن حين وصلوا العيادة كتبت مذكِّرة صغيرةً للسيدة أوفلاهرتي تشرح لها فيها ما حدث وأين هم الآن، وأكَّدت للسيدة أوفلاهرتي أنها والعمة لوئيس بخيرٍ وأنهم سيعودون في أقرب وقت ممكن.

انتظر سائق المركبة بالعيادة وشعر بأنه في غير مكانه وسط كل هذا العديد الكبير من الأمهات والأطفال الذين يملئون حجرة الانتظار، لكنه كان رجلاً طيب القلب وصالح لذا لم يستطع تركهم حتى أطمأنَّ على أن السيدة المريضة والرضيع بخير. اِنتظر ما يقرب من نصف ساعة حتى أتت إليه "في" لتخبره بأنَّ فيرجينيا مريضة بالحمى بحقٍّ لكنه مرضٌ غير معديٍّ.

فسأل السائق: والرضيع؟

أخفضت "في" رأسها وقالت: إنَّ الطبيبة معه الآن، وأنا لا أعلم أيَّ شيءٍ بعد.

فقال السائق: يا له من صغيرٍ مسكينٍ، فأنا لديَّ صغارٌ، وأعلم الإحساس بالعجز حين يمرض أحدهم.

فسألته "في": ما اسمك؟

فقال: مريوثر يا سيدتي، كيفن مريوثر.

فقالت: يا سيد مريوثر أنا لا أعلم كيف كنا سنتصرَّف بدونك، وكنت أسأل هل يمكن أن تؤدِّي لي معروفاً آخراً. فلدي خطاب صغيرٌ أودُّ توصيله لصديقة لي في الفندق. هل من الممكن أن تأخذه لها؟

فقال: طبعا، فلا يوجد مشكلة في هذا يا سيدتي.سأفعل هذا بأقصى سرعة.

ففتحت "في" حقيبة يدها وقالت: أخاف من أنني لم يعُد معي ما يكفي من المال لأدفع لك نظير الوقت الذي تقضيه معنا، لكن....

رفع السيد مريوثر يده وقال: يمكننا التحدُّث عن هذا لاحقاً. فأنا أمرُّ

دائما على فندقك لأقِلّ بعض الناس من هناك، ويمكنني رؤيتك في وقت ما- حين تُشفى السيدة المسكينة والرضيع.

فقالت "في" بابتسامةٍ رائعةٍ: كم هذا شيء مراعي للشعور منك، لكني أُصرّ على أن تأخذ هذا- فأمسكت ببعض الأوراق المالية- كعربون.

فأخذ المال وقال: ستحتاجون لوسيلة للنقل لاحقا، فما رأيك في أن أعود إليكم في حوالي الرابعة عصراً؟ ويمكنني انتظاركم حتى تكونوا مستعدين للرحيل.

فقالت"في": لكن قد تنتظر كثيرا، وعائلتك ستكون في انتظارك.

فقال السائق: لا توجد مشكلة يا سيدتي، فزوجتي يُباركها الرب معتادةٌ على تأخُّري، كما أنها ستقطع رأسي إذا لم أقُم بكلِّ ما أستطيع لهذه الأم المسكينة ورضيعها. إعطني فقط من فضلك الخطاب وسأذهب في الحال.

راقبته "في" وهو يذهب وهي تقول لنفسها: يوجد الكثير من الخير في هذا العالم. أشكرك يا رب على الناس الذين مثل السيد مريوثر وعلى تذكيري بأنَّ نور روح محبتك يضيء كلَّ ما حولنا. وأنه يضيء في أماكنٍ غير متوقَّعة.

لمست يد ذراعها فاستدارت لتجد د.فرايزر تقفُ بجوارها وتقول:من الجيد أنك أحضرت ابنة عمتك لهنا سريعاً، فيوم آخر مع الالتهاب الرئوي كان بالتأكيد قد يُصبح مزمناً، إنها ضعيفةٌ جداً لكن ليس بالدرجة التي كنت أظنُّها عليها حين أتت، فقد كنت خائفةً من أن أجدها مريضةً بالسِّل، لكن رئتيها نظيفتان وشفَّافتان وحرارتها تنخفض بالفعل. وبفرض أنَّ كلَّ شيءٍ سيمرُّ على خيرٍ فإنها ستحتاج للكثير من العناية لتتعافى، من الواضح أنها لم تأكل منذ فترة وأنها مصابة بسوء التَّغذية الشديدة.

فسألت "في" بخوف: والرضيع؟

فقالت د.فرايزر بثباتٍ: أنها ليست في حالةٍ جيدةٍ، فأنا أؤمن بالصراحة ولن أمنحك رجاءاً كاذباً. فالرضيعة مريضة جداً وحرارتها عالية ورئتاها محتقنتين. وقد أرسلت أستدعي طبيباًأكثر خبرةٍ مني في علاج صغار السن هكذا، فأنا أريد الحصول على رأيه قبل أن أقوم بتشخيصي النهائي. لكن الخبر السار هو أنها طفلةٌ قويةٌ- أقوى من أمها. لأنه يبدو أن ابنة

عمتك كانت تبذل كلَّ جهدها في التأكُّد من تغذية طفلتها جيداً عن طريق التَّضحية بصحَّتها هي الشخصية.

فسألت "في": إذاً هي طفلة فيرجينيا؟

فأجابت د.فرايزر وهي تخفي مفاجأتها من سؤال "في": بالطبع هي كذلك. طفلة صغيرة أعتقد أنها في شهرها الثالث.

ابتسمت د.فرايزر الآن وقالت: كم كنت أتمنَّى أن تكون ابنة عمتك قد علمت عنَّا وأتت إلينا، لكنها بذلت كلَّ ما في وسعها لأجل طفلتها. فهي شابةٌ عنيدةٌ على ما أعتقد.

فقالت "في": نعم، إنهاكذلك.

فسألت د.فرايزر: ووالدتها، السيدة كونللي، مثل عنادها؟

فقالت "في": آه، نعم.

فقالت د.فرايزر: هذا حسنا، لأنهم سيحتاجون لروحٍ قتاليةٍ للخروج من هذا الوضع. لقد أدركتُ أن عمتك ممرِّضة ماهرة ٌبالفعل.وإذا مضت الأمور على خير وهبطت الحرارة فربما تستطيعون أخذفيرجينيا للفندق غداً أو بعد غد، لكن يجب أن نرى كيف ستتقدَّم صحة الطفلة قبل نقلها من هنا.

فسألت "في": ما الذي يمكنني عمله لهما لمساعدتهما؟

فقالت د.فرايزر: لقد فعلت بالفعل أهمَّ شيءٍ، فقد أخرجتِهم من تلك الشقة وأحضرتهم لهنا. لقد أخبرتني السيدة كونللي جزء مما حدث وقالت أنك اتَّخذت كلَّ القرارات الصحيحة، وأنها ممتنةٌ جداً لك.

ازدادت عينا "في" الواسعتان اتِّساعاً من الدهشة وقالت: العمة لوئيس قالت هذا؟

فأجابت د.فرايزر بابتسامةٍ خبيرةٍ: لقد فعلت، لقد لاحظت أن التعبير عن الامتنان لا يأتي سهلا من السيدة كونللي. يمكنها أن تبقى هنا الليلة مع ابنتها، فأنا أسكن بالشقة التي أعلى العيادة ولدى غرفة نوم أضافية يمكن أن ترتاح بها عمتك. والآن، هل تودِّين رؤية ابنة عمتك؟

فسألت "في": هل هي بحالةٍ تسمح بذلك؟ كنت أظن أنها تهذي؟

فقالت الطبيبة بنظرة حيرة: تُهذي؟ إن حرارتها مرتفعة لكنها لا

تهذي. فحين علمت أنك أحضرتها لهنا طلبت أن تراك. وأنا سأمنحها دواءاًمنوِّماً لذا تعالي لتريها الآن وهي لا تزال مستيقظة.

شعرت "في" بالعصبية وهي تتبعُ الطبيبة لغرفة النوم الصغيرة الموجودة بمؤخِّرة المنزلِ الكبيرِ، فلم تكن تعلم ماذا تتوقَّع، وكلُّ ما استطاعت التفكير فيه هو منظر فيرجينيا بجسدها النحيل ووجهها الشديد النَّحافة والهالات السوداء التي تحت عينيها حين فتحت لهم باب الشقة الحقيرة.

كانت الستائر مُسدلة في غرفة النوم الصغيرة الموجودة في المكان الخلفي للعيادة، لكن "في" شعرت بنسمة هواءٍ خفيفةٍ حين دخلت الحجرة التي كانت حوائطها مطليَّة باللَّون الأصفر الفاتح المشرق، ومعلَّق عليها بعض الرسومات الجميلة، ففكَّرت "في" أنها بالتأكيد لا تبدو كغرفة مرضى وبعيدة كلَّ البعد عن الشقة الكئيبة بُعد النهار عن الليل.

كانت فرجينيا مستلقيةً على السرير ومرتديةً ثوبَ نومٍ أبيضٍ أنيقٍ ومغطاة بملاءةٍ بيضاء ناعمةٍ، وتقف لوئيس بجوارها تضع برفق قطعة من القماش المبلَّل على رأسها وعنقها.

لم تتعرَّف فيرجينيا على "في" في البداية لكن ما إن عرفتها حتى أضاء وجهها وقالت بصوت متهدِّج: أشكرك يا "في"، أشكرك على إنقاذ ابنتي.

اقتربت "في" منها وقالت: أنت من قام بهذا يا فيرجينيا. فالطبيبة تقول أنك ضحيت بنفسك للحفاظ على صحة طفلتك وتغذيتها جيداً.

قالت فيرجينيا والدموع تنساب من عينيها: كنت أظنُّ أنَّ صحتنا ستتحسَّن.

فقالت لوئيس: وستكونان يا عزيزتي. قالتها بنبرةٍ دافئة ورقيقةٍ جداً لدرجة أذهلت "في" التي أضافت مؤكدةً: بالطبع ستكونان، فد. فرايزر تقول أنَّ حرارتك ستنخفض سريعا، ويمكنك العودة معنا للفندق حتى نعتني بك هناك.

فسألت فرجينيا: وابنتي؟

لم تردّ"في" وقالت: د. فرايزر تقول أنها طفلة قوية وأنك اعتنيتِ بها جيداً. آخبريني عنها.



فارتسمت ابتسامةٌ صغيرةٌ على وجه فيرجينيا وفجأة بدت سليمة وبصحة عكس ما هي عليه بحق وقالت: إنها أجمل طفلة في العالم. وهي سهلة الإرضاء وغير مشاكسةٍ على الإطلاق. آه، أنني... وانكسر صوتها وخافت "في" من أن تكون قد سبَّبت لابنة عمها المزيد من الحزن.

لكن لوئيس ربّتت على خدِّ ابنتها وقالت: كنت طفلة جميلة جداً أنت أيضاً. فقد كان والدك يدعوك ساحرته الصغيرة العذبة. وكان سيكون فخور بك جداً وبشجاعتك في رعاية طفلتك. والآن، اِخبري "في" كم تبلغ من العمر.

عادت الابتسامة لوجه فرجينيا وقالت: إنها ثلاث أشهر وخمس أيام، لقد ولدت في منتصف شهر مارس- الخامس عشر من شهر مارس، يقول الناس أنه يوم نحس لكنه كان أحسن يوم في حياتي بسبب وصولها. ورفعت فرجينيا يدها فأمسكت "في" بها. وقالت فرجينيا بما يشبه الهمس: لم أعرف ما هو الحب حتى حضنتها. فكلُّ الأشياء السيئة اختفت.

دخلت د. فرايزر الحجرة في هذه اللحظة وهي تحمل مقياس الحرارة والسماعة وزجاجة دواءٍ بنيّة اللون صغيرة وقالت برقّة: كفى حديث الآن، فأنا أريد أن أفحص مريضتي قبل أن تنام.

فقالت "في" وهي تنظر للطبيبة: هل يمكن أن أسأل ابنة عمتي سؤالاً

فأجابت الطبيبة وهي تضع سماعتها حول عنقها: إذا كان سريع.

فاستدارت "في" لفرجينيا وسألتها: حين كنا نغادر الشقة كنت تكرِّرين قول كلمة واحدة كثيراً، فهل تذكرين ما هي؟

أجابت فيرجينيا : نعم بالطبع. كان اسمها، اسم ابنتي، فقد سميتها إليزابيث، وأناديها دائما ببتسي.فكنت أقول "بتسي"

فقالت "في": انه اسم جميل.

استندت "في" على حائط الرَّدهة ، كانت ركبتاها ترتعشان وتشعر بالدُّوخة. والاسم يدور ويدور في رأسها- بتسي، بتسي.

وقالت لنفسها: لقد سمعته خطأ. كنت أظنُّ أن فرجينيا تقول بيت أو بيتي، بينما كانت تنادي على ابنتها بتسي.

فصلّت في همسٍ ضعيفٍ قائلةً: آه، أشكرك يا أبي السماوي العزيز. أشكرك، أشكرك! لقد سمعت بيت وعدت لأجد الطفلة، فلو لم أفهم خطأ لما عدتُ، فربما ظننتُ أنَّ فرجينيا تُهذي بحقٍ وكنا قد تركنا الطفلة لمصيرها المحتوم، لكنك أخذتني لها! حتى حين كنت مخطئةً قُدتَّني في الطريق الصحيح! من الواضح أنك تريد أن تحيا طفلة فرجينيا. من فضلك يا ربي العزيز حافظ عليها وردَّ لها صحتها. أنا أعلم أنني متأخِّرة جداً في أن أسألك هذا لكن هذا مهمٌّ جداً. ومن فضلك بارك فيرجينيا والصغيرة بتسي بنعمتك الشافية، أنا أعلم أنك معهم الآن. ومن فضلك، إذا كانت هذه مشيئتك، اِمنح فرجينيا والعمة لوئيس وبتسي فرصة محبة أحدهم الآخر حتى يتمكّنوا من استقبال عطيّة محبتك ورجائك قوِّهم لأجل بعض. ومن فضلك اِمنحهم الحياة حتى يعرفوك يا رب ويحيْون معك دائمًا.



الفصل

٧

أكاذيب وحقائق

لأَنَّهُ لَيْسَ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ وَلاَ مَكْتُومٌ لاَ يُعْلَمُ وَيُعْلَنُ.

لوقا٨: ١٧

مرّ أكثر قليلاً من أسبوع على إنقاذ "في" والعمة لوئيس لفرجينيا وطفلتها، كانت فرجينيا تُحرز تقدُّماً مذهلاً، بالرغم من أنها لا تزال ضعيفة، أما تعافي بتسي الصغيرة فكان أبطأ لكن بعد عدَّة أيامٍ من التوتُّر انحسرت حرارتها أخيراً وأعلن كلٌّ من د.فرايزر والطبيب الاستشاري أنَّ حالتها الصحية أصبحت تسمح بعودتها لتكون مع والدتها في الفندق.

تمَّ حجز حجرة مجاورة لحجرة لوئيس في الفندق لفرجينيا وطفلتها. واستمر د.جرافس الاستشاري على التردُّد عليهم لمتابعة حالتهما الصحية والاطمئنان على سلامتهما، كما تمَّ تعيين ممرِّضة لرعايتهما، كانت الممرضة ماهرةً وكُفئاًلغاية وذات روحٍ مرحة ٍومزاجٍ معتدل- وكثيراً ما كانت تُنكِّت على أنَّ أجرها عالٍ جداً مقارنة بقلة العمل الذي تقوم به، كما كانت تقول أنَّ السيدة كونللي والسيدة أوفلاهرتي جيدتان جداً ومدرَّبتان جيداً في التمريض مثلهما مثل أيِّ ممرضةٍ محترفةٍ. لكن وجود الممرضة منح لوئيس الوقت الذي تحتاجه للنوم و، كما ظهر مؤخراً، للتأمُّل.

طلبت فيرجينيا من والدتها و"في" في صباح أحد الأيام حين شعرت بأنها أكثر قوةٍ الحضور إلى حجرتها. فقد أرادت أن تخبرهما عما حدث لها في نيويورك ولماذا وجداها في تلك الحالة المُزرية. ظنَّت "في" بدايةً أنها لا يجب أن تستمع لهذا لأنه موضوعٌ خاصٌ، لكن فرجينيا أرادتها أن تعلم، فقالت:

لقد تعلَّمت العواقب الوخيمة لتخبئةِ الأمور ووجود أسرار. لقد تمَّت خديعتي، ولأخفي خجلي خدعتُ الآخرين. فإذا أردت أن أكون أماًصالحةً لابنتي علي أن أكون صريحةً وصادقةً مع أمي وكلِّ العائلة. وعلي أن أبدأ حياتي مرةً أخرى بقول الحقيقة.

اتَّخذت بعض الوقت في سرد قصتها وزَرفِ الكثير من الدموع أثناء قولها.

نقطة تحول فيوليت

بدأت فيرجينيا بوصولها لنيويورك. بدَت الأمور على ما يرام حين وصلت أولاً بعد زواجها. فقد عاشا في شقةٍ جميلةٍ في حيٍّ راقٍ، وقدَّمها السيد نيوفيل لأصدقائه الذين بدَوْا أكثر من مقبولين لكن لم يمضِ الكثير من الوقت حتى أدركت فيرجينيا أنه لا زوجها ولا أصدقائه حقيقة ما يبدون عليه.

فظهر أنّ أعمال زوجها المالية ما هي إلا المُقامرة، ولاحقاً أدركت فيرجينيا أساليبه في الاحتِيال والنّصب أيضا. وفي النهاية، كان عليها أن تعترف بأنه لا يكِنُّ لها أيّة محبةٍ وأنه تزوَّجها لأنه اعتقد أنها ثريةٌ. لكنها كانت تحبه وأرادت أن تساعده على تغيير طرُقه المُلتوية والغير سويّة.

تغيَّرت حياتهما، بالرَّغم من أنه ليس التغيير التي كانت فيرجينيا تتمنَّاه. فقد وعدها السيد نيوفيل عدَّة مرَّات بالتوقُّف عن المقامرة والابتعاد عن أصدقاء السُّوء، لكن دون علم زوجته، كان يُقامر بأكثر تهوُّرٍ ويقع أكثر وأكثر في الديون، فأُجْبِروا على ترك شقَّتهم الجميلة والانتقال لشقةٍ أصغر في حيٍّ أقل في المستوى وكان هذا أوَّل انتقالٍ من عدَّةٍ حدثوا بعدَه.

لم يوجد أبداً منزلٌ فخمٌ أو أصدقاءُ أثرياءٌ أو أيُّ حياةٍ اجتماعيةٍ مرحةٍ، فقد اختلقَت فيرجينيا كلَّ هذا في خطاباتها لوالدتها، واعترفت فيرجينيا بندمٍ شديدٍ أنَّ جميعهم أكاذيبٌ يائسةٌ. لكنها فعلت هذا حتى لا تُصاب والدتها بخيبة الأمل فيها.

استمرَّ السيد نيوفيل في العيش في ظروفٍ تزداد سوءاً وكآبة، فالمال الذي كان يكسبه من أساليبه المتدنِّيةِ كان يخسره على طاولات القمار. وفي النهاية وجدت فيرجينيا نفسها مضطَّرة للعمل حتى يتمكَّنوا من دفع إيجار شقَّتهم وثمن طعامهم، فعملت كسكرتيرة خاصة للسيدة فانجلت مستخدمة اسم فيرجينيا نيومان. وعملت في المنزل القريب من مُنتزه جرامسي لمدَّة عامٍ تقريباً حين كتبت آخر خطاب لوالدتها، لكنها على هذا الوقت كانت قد اكتشفت أنها حامل، وحين علم السيد نيوفيل بأمر حملها، أخذ كلَّ شيء له قيمة تقريباً واختفى.

استمرَّت فيرجينيا في العمل حتى لم تعُد تستطِع تخبئَةِ حملها، ثم

عاشت وحدها حتى تمَّت ولادة ابنتها وتدبَّرت حالها على قدر استطاعتها من مدَّخراتها من عملها وباعت القليل الذي كانت تمتلكه - آخر أجمل ملابس ثياب زواجها والقليل من المجوهرات التي أهمل زوجها أخذها معه حين هجرها. لكن المال تسرَّب سريعاً. وكانت قد صرفت في اليوم الذي وجدتها فيه "في" ولوئيس آخر بنسٍ معها في شراء اللبن لابنتها، ولم يعُد لديها شيئاًتدفعه لإيجار الشقة أو أي مكان لتذهب إليه.

كان الاعتراف بكلِّ هذا صعب جداً على فيرجينيا، لكنها أعلنت مسئوليتها كاملة عمَّا يخصُّها من نحو تعاستها وطلبت الغفران من والدتها على كذبها عليها. ولدهشة "في"، قالت لوئيس أنَّ الخطأ خطؤها فلم يكن من الواجب أن تدفع بفيرجينيا لمثل هذه الزِّيجة لمجرد أنه رجلٌ غنيٌّ، فقد كانت منبهرةً تماما بمظهر السيد نيوفيل الخلاَّب وسلوكياته الراقية وإدِّعائه الثَّراء. لذا لم تكلِّف نفسها مشقَّة السؤال والتحرِّي عنه وعن خلفيّته. ولم تقلق إلا حين لم تردّ فيرجينيا على خطاباتها، حتى حينها لم تسمح لوئيس لنفسها أبداً بتخيُّل إمكانية أن تكون فيرجينيا واقعةً في مشاكلٍ.

وأقرّت لوئيس حين سمعت قصة فيرجينيا كاملةً قائلةً: لم أكن أماًصالحةً لك. واختنق صوتها من المشاعر الجيَّاشة وأكملت: لقد خدعتُ نفسي بالتَّفكير في أنك قاسيةٌ وغير مراعيةٌ. كيف كنت عمياء لهذه الدرجة؟ لقد كان عمى الغطرسة. فقد كان كلُّ همِّي أن أكون على صوابٍ. لكني كنت مخطئةً للعديد من السنين. إنه أنت من يجب أن يغفر لي يا حبيبتي- إذا استطعت. وسأقضي ما بقَي لي من عمر في محاولة تعويضكم وتحسين الأمور معك ومع حفيدتي.

أجابت فيرجينيا من خلال دموعها قائلةً: على جميعنا القيام بالتَّحسين والتَّعويض، آه يا ماما، إنني أحتاج إليك بحقٍّ! وبتسي تحتاج إليك أيضاً! هل من الممكن أن نأتي ونحيا معك؟ نعود مرة أخرى لروزلاندز؟

فتحت لوئيس ذراعيها واحتضنت فيرجينيا وبكتا معاً وبعد عدَّة لحظات، بدأت لوئيس في الضَّحك بطريقةٍ خجولةٍ. وكان الضحك شيئاًلم تكن تسمح لنفسها به كثيراً، لذا نظرت كلٌّ من فيرجينيا و"في" إليها بدهشةٍ شديدةٍ. وسألت فيرجينيا: لماذا تضحكين يا ماما؟

فقالت لوئيس: لأني أشعر بأنني ممتلئة من الفرح لأولّ مرة منذ سنين طويلة. ولأن الله باركني رغم عدم استحقاقي. سنعود للمنزل معاً، وسنمنح بتسي كلّ المحبة والرعاية التي يحتاجها الأطفال. فقد اعتقدتُ منذ سنين طويلة أنّ الله هجرني، لكني أرى الآن أنني من هجرَه، لكنه لم ييْأس منّي أويتخلّى عني، وأعادك ثانية لي ومنحني هذه الفرصة لأفتدي نفسي. وأنا أضحك لأنني كنت حمقاء ومتغطرسةٌ وعمياء، وطوال الوقت لم يتوقّف الله لحظة عن حبي. إن لديَّ الكثير من الخطايا التي يجب أن أكفِّر عنها، لكن بمعونته ونعمته سأتمكّن من هذا. وأعدُك يا ابنتي الحبيبة أنني سأكون أماً حقيقةً لك وجدّةً حقيقيةً لبتسي.

لم تستطِع "في" أخذ أنفاسها تقريباً أمام كلمات لوئيس وبدأت دموع الفرح في الجريان من عينيها كنهرٍ واضطرت لفتح فمها لاستنشاق الهواء من كثرة الانفعال.

فاستدارت لوئيس ناحيتها وأمسكت بيدها وسألتها: هل يمكن أن تغفري لي يا فيوليت، ألا تغفرين لي كلماتي الصعبة وأحكامي القاسية؟.

ذهبت "في" لعمتها وأمسكت بيدها قائلةً: لقد أصدرت أنا أيضا أحكاماً يا عمتي لوئيس، فقد كنت غير صبورة معك وغير مقدّمةٍ للاحترام اللائق كما يجب.

فقالت لوئيس: على المرء اكتساب الاحترام يا عزيزتي. كانت لا تزال مبتسمةً وبدا وجههاأصغر بكثيرٍ ممّا هى عليه الآن،كان عليَّ أن أكتسب احترامك يا فيوليت وبمعونة الله أرجو أن أتمكّن من هذا.

فقالت "في" وهي تمسح الدموع من عينيها: لقد دعوْتُ الله ليدخل قلبك، وهذا هو كلُّ ما يهمُّ.

فقالت لوئيس بهدوءٍ: كنت أصلّي، وكان الله يتحدَّث إليَّ طول الوقت ومع هذا ولمدّة عشرين عاماً رفضت أن أُصغي إليه. لقد كان معي في كلِّ لحظةٍ من لحظات حياتي مانحاً أن يكون صديقي ومعزِّيي. كنت أذهب للكنيسة حين كنتُ طفلةً وشابةً، ولم أنتبه إليه أبداً. لكن لابد أنَّ شيئاً ما اخترق قلبي الأناني. فحين صليت لأجل فرجينيا والطفلة شعرت كأنني أعود لمنزلي. وتذكَّرت جزءاً من آية- فَإِذَا طَلَبْتَهُ يُوجَدُ مِنْكَ.. وهذه حقيقة يا فيوليت! كلُّ ما كان عليَّ عمله هو فتح قلبي فوجدته!

قالت "في": آه، إنها الحقيقة يا عمتي لوئيس، وهو لن يتركك أبداً، إن الآية التي تذكَّرتها موجودةٌ في أخبار الأيام الأولى حيث ينصح الملك داود ابنه سليمان قائلا:اعْرِفْ إِلَهَ أَبِيكَ وَاعْبُدْهُ بِقَلْبٍ كَامِلٍ وَنَفْسٍ رَاغِبَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ يَفْحَصُ جَمِيعَ الْقُلُوبِ وَيَفْهَمُ كُلَّ تَصَوُّرَاتِ الأَفْكَارِ. فَإِذَا طَلَبْتَهُ يُوجَدُ مِنْكَ، وَإِذَا تَرَكْتَهُ يَرْفُضُكَ إِلَى الأَبَدِ".

تحرّكت فيرجينيا قليلا وساعدتها لوئيس على الجلوس، وقالت: لابد أنَّ الله هو الذي أحضركما إليَّ، كم أتمنَّى أن أعرف الكتاب المقدس مثلك يا "في". لكنني سأتعلّم وأعلِّم بتسي. فكلُّ الإجابات موجودة به. أليس كذلك؟

قالت لوئيس وهي تحتضنها برقةٍ: سنتعلَّم معاً، وسنعلِّم حبيبتنا بتسي كما علم الملك داود ابنه سليمان.

استأذنت "في" وذهبت لحجرتها، وأخذت كتابها المقدس الصغير من على الطاولة الصغيرة المجاورة لسريرها. وعادت مسرعة لحجرة فيرجينيا وأعطت الكتاب لعمتها قائلة: كلُّ شيءٍ هنا. إنه كلمة الله وهي لا تسقط أبداً.

فسألت فيرجينيا: لكن من أين نبدأ؟

فأجابت "في": يمكنك البَدء من أيِّ مكانٍ، فالكتاب المقدَّس ليس مثل أيِّ كتابٍ آخر كُتب أو سيكتَب. لأنَّ الله في كلِّ كلمةٍ من كلِّ صفحةٍ. وكلُّ كلمة بداية جديدة.

فتحت لوئيس الكتاب عشوائياً على الإصحاح الأول لإنجيل يوحنا ونظرت لأعلى ل"في" بنظرةِ تعجُّب ودهشةٍ ثم قرأت: فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.فوضعت فرجينيا يدها النحيلة على الصفحة وقالت: لقد أرانا الله من أين نبدأ يا ماما. من فضلك اِبقي معي واِقرئي لي المزيد لبعض الوقت.

كانت "في" وزوي تتمشّيان معاً في المنتزه في ظهيرة اليوم التالي حين سألت زوي: هل لاحظت التغيير الذي طرأ على العمة لوئيس مؤخَّراً، فقد رأيتها تبتسم كثيراً في الأيام القليلة الماضية، كما لم تعُد تُبدي أيَّ استياءٍ من السيدة أوفلاهرتي، بل تتحدَّثان كثيراً وسمعتهما تضحكان معاً أيضاً.إن السيدة كونللي صالحة جداً مع الطفلة، هذا بجانب أنها لم

تصرخ فيَّ طوال الأسبوع.

أجابت "في": إنها تتغيَّر، وهذا التغيُّر يحدث في العمق وليس باستطاعةِ أحدٍ رؤيته، فقد أعطت حزنها وتعاستها للرب. أتذكرين ما قالته السيدة أوفلاهرتي عن ذوبان الجليد تحت الضغط؟ حسناً، إن جليد قلب العمة لوئيس يتشقَّق ويذوب. فقد سمحت لله بدخول قلبها ومحبته تُدفِئها وهي تبتسم نتيجة لفرحها الداخلي، كما أنها تتخلَّى عن كلِّ ألمها واستيائها وسخطها.

فكَّرت زوي في هذا طوال فترة تمشيتهما ثم سألت أخيراً: هل تعتقدين أنه تغيير حقيقي؟

أجابت "في": نعم، لقد خافت العمة لوئيس أن فيرجينيا والطفلة قد تموتان. وبعد كل هذه السنين من محاولة جعل الجميع يفعلون ما ترغب- ما كانت تقرِّر أنه صواب- وجدت العمة لوئيس نفسها عاجزةً. كنا جميعا على درايةٍ بأنها خائفة، لكنها لم تكُن تُدرك مدى عُزلتها ووحدَتها. فاستدارت لله في يأس]وهو ضمَّها وغلَّفها بمحبته.

قالت زوي بنعومةٍ: إنها مثل معجزة، أليس كذلك؟

قالت "في": محبة الله الشافية هي أعظم معجزة.

أكملتا تمشيتهما لبعض الوقت في صمتٍ حلوٍ ثم حوّلت "في" أفكارها لأمورٍ عملية فقالت: متى يتوقَّع آل ديسبارد وصولنا إليهم اليوم؟

قالت زوي: في الرابعة مساءاً ستكون حفلة شاي، مثل انجلترا، لذا سيكون هناك الكثير من المأكولات الشهية. كم أنا سعيدة لتمكُّنك من الحضور يا "في. فلو كنت على علم بما فعلت في الأسبوع الماضي من عثُورك على فيرجينيا وذهابك بها والطفلة للعيادة لما ذهبت أبداً لتناول الشاي مع السيدة ديسبارد وحدي. لكني لم أكن أعلم وأنا مسرورة لأنني سأراها ثانيةً فهي لطيفةٌ جداً معي وأعتبرها أكثر الناس تشويقاً وإثارةً.

قالت"في": أنا أيضاً مسرورةٌ لأنك رأيتها، وأعتقد أن السيدة ديسبارد معجبةٌ بك وتحترمُك كثيراً.

قالت زوي: حقاً؟ لقد كنت أعتقد أنها لطيفة معي فقط لاحترامها وزوجها لإد.

توقّفت "في" على طريق من الحصا ونظرت بصرامة ٍقليلةٍ لصديقتها وقالت: إنهم معجبون بك يا زوي، إنهم معجبون بك لأنك مُشرقة وساحرةٌ ومرحةٌ وذكيةٌ وإياك أن تفكّري في أيِّ شيءٍ آخر.

إِحمرَّ وجه زوي من الابتهاج وقالت: من اللطيف جداً سماع هذا.

قالت "في" وهي تُعاود المشي مرةً أخرى: إنه لطيفٌ لأنه حقيقي.

أكملت الفتاتان كلامهما أثناء عودتهما للفندق عن ما ستَرتدِيان عند ذهابهما لزيارة آل ديسبارد. فقد حصلت زوي على العديد من الملابس الجديدة التي كانت قد طلبتها وكانت هذه أول مناسبة تستطيع فيها الخروج بملابسٍ غير ملابس الحداد السوداء. وتناقشتا في كيفية تمضيةِ الأيام الباقية في الأجازة، فقد انتهت زوي تقريباً من شراء كلّ ما تريد، وأصبحت متشوِّقة لزيارة المتاحف، واقترحت "في" زيارة بعض الأماكن الإضافية التي يجب عليهم زيارتها، فقد دّعتهم السيدة فانجلت على الشاي، كما ستذهبان للأوبرا في ضيافة السيد والسيدة فيليبس (كانت "في" مسرورة لعدم طلبها من السيد فيليبس المساعدة في العُثور على فيرجينيا)

قالت زوي: لازال أمامي بعض الأشياء القليلة التي أودُّ شراءها، لكني سأذهب مع السيدة أوفلاهرتي فأنا أعلم كم تكرهين التّسوق.

فضحكت "في" قائلةً: ما الذي يمكن أن تحتاجين إليه بعد؟ فبإمكاني القول من عدد الصناديق والحقائب التي تملأ حجرتك وتلك التي شحنَّاها لأيون أنه لم يعُد يوجد في محلات نيويورك شيء سوى الرفوف الفارغة.

قالت زوي بابتسامةٍ صغيرةٍ أنيقةٍ: آه، يوجد بعض الأشياء القليلة التي لم اشترِها بعد، ألا تهتمين بما هي؟

فقالت "في": إنك تجعلينه يبدو كلغزٍ.

فقالت زوي: حسنا، أنت تعرفين كم أحب الألغاز، فقد كنت متطلعة ومتشوقة لحل لغز فيرجينيا، لكنك فعلتيه قبلي، ومع هذا، فلازلت اعتقد أنني سأكون مخبر خاص رائع لو وجدت لدي قضية لأحلها. فربما أجد بعض المهام السرية.

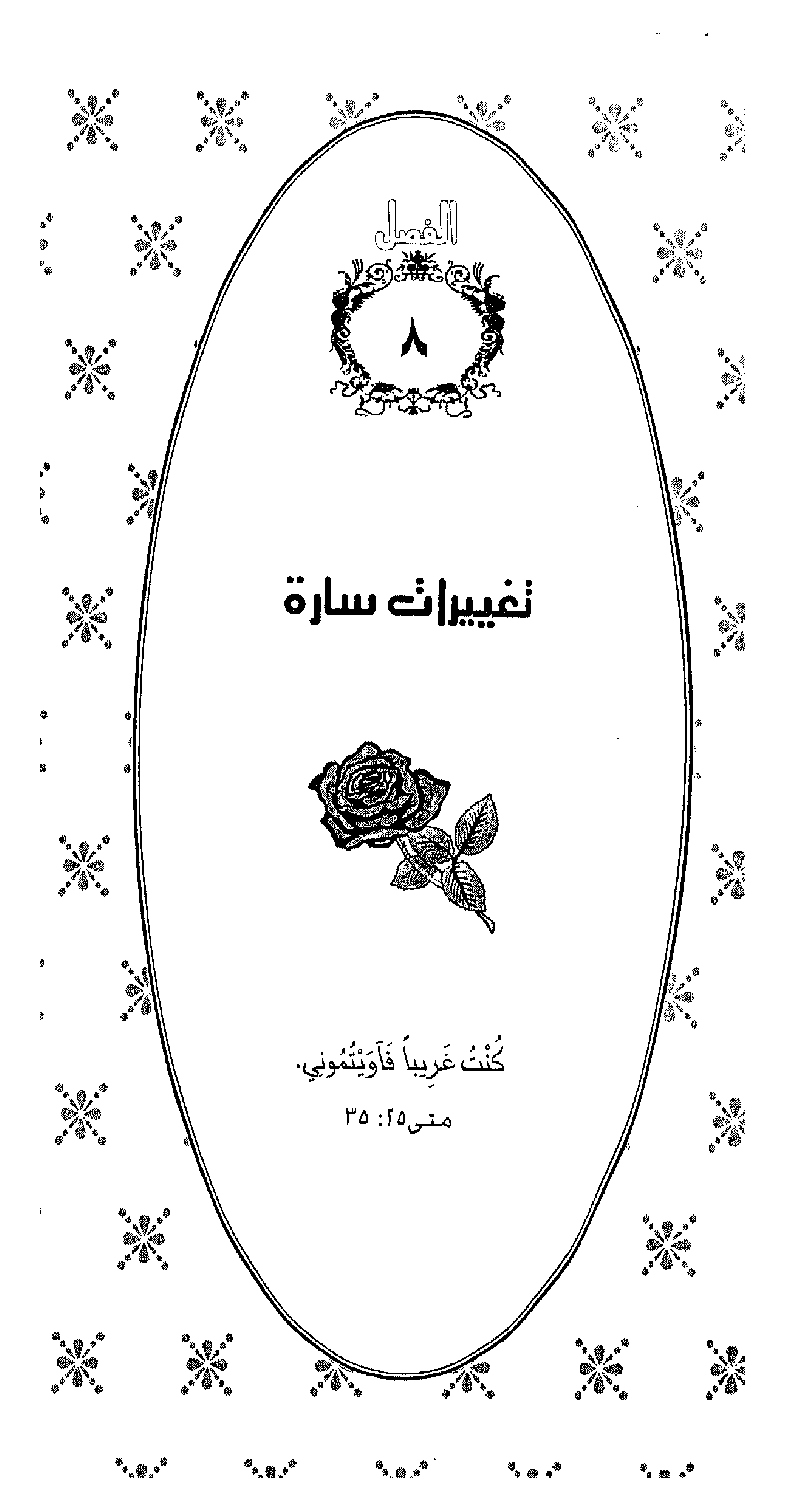
لم تستطع "في" كبت جلجلتها وقالت: لن تستطيعي الحفاظ عليه كسرٌ أبداً، فأنت واحدة من أكثر الناس الذين اعرفهم انفتاًحا وصدقاً يا

زوي. وعلى الجانب الأخر، هل يمكن أن تكوني في مهمةٍ سريةٍ وأنت لا تستطيعين الحفاظ على سرٍّ؟

غيَّرت زوي من ملامح وجهها وكأنها ممتعضةٌ وقالت: قد أُدهشك يا "في"، وربما أكون في مهمةٍ عميقة سريةٍ في هذه الدقيقة.

نظرت "في" لساعتها المعلقة بسترتها وقالت: يجب أن نسرع بما أننا نتحدَّث عن الدقائق، فالسيدة أوفلاهرتي ستقابلنا لتناول وجبة الغذاء معاً. فهل يمكن أن تؤجِّلي مهمتك السرية بعض الوقت حتى نتناول غذاءنا؟

فضحكت زوي وقالت وهي تسبق "في" بعدَّةِ خطوات: إن المخبر الخاص الجيد لا يفوِّت وجبة الغذاء أبداً.



الفصل

٨

تغييرات سارة

كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي.

متى٢٥: ٣٥

علَّقتْ لوئيس على الفتيات قبل أن يُغادِرن لتلبية دعوة مرجريت ديسبارد على الشاي. كانت زوي تلبس فستانًا جديدًا حريرًا ورديًا متدرِّج مع شريط رقيق مزركش على عنقها وذراعها، وقبعة صغيرة قُرنفلية ملصق بها على الجانب ريش أبيض بمْرح. أما "في" فقد اختارت ثوبًا من الحرير الأزرق الفاتح النَّضر وقبعة قشٍّ مزيَّنةٍ بزهورٍ حريرٍ، فقبَّلتهن وقالت لكليهما: أنَّكنَّ تبدون مثل زهور الصيف الجميلة، وأشكُّ أن توجد فتيات بجمالكن في نيويورك اليوم. كانت قبلاتها وإطرائها متيبِّسة بعض الشيء، لكنها كانت تتعلَّم، وشعرت "في" بأنها بوركت من خلال إظهار عمتها لمشاعرها ومحبتها لها.

كان السيد مريوثر، الذي أصبح يهتم بعائلة السيدات اللاتي من الجنوب، ينتظر لأخذ الشابات لمنزل آل ديسبارد. وأدركت "في" حين اقتربا منه أنه لا يبعُد سوى قليلاً عن منزل آل فانجلت- حيٌّ شديد الرُّقيِّ. ولم تستطع منع نفسها من المقارنة بين هذه المنازل وتلك التي أجبرت فيرجينيا على السكن بأحدها. وفكَّرت مرة أخرى في الحجرات الحقيرة التي كانت عائلة كونستانزا تحيا بها في روما. وأفزعتها جداً المقارنة بين القصور التي يحيا بها الذين لديهم الكثير والمنازل التي يحيا بها من ليس لديهم شيء- كما كان يحدث دائمًا- وفكَّرت في د.فرايزر وعيادتها.

وقفت المركبة أمام منزل حجارته بُنيَّة اللون على الناصية. كان للمنزل حديقة تدور أمامه وحتى جانبيه، مع وجود سياجٍ حديدي عالٍ يفصلها عن الشارع وشجيرات عاليةٍ بطول السِّياج وداخله مباشرة لتمنح المنزل خصوصيته. ساعد السيد مريورث الفتيات على النزول من المركبة وقال أنه سيعود بعد ساعتين وعاد لكرسيِّه واِنتظر حتى دخلت الفتيات المنزل ثم غادر. وابتسم لنفسه مفكِّراً في أن الآنسة زوي تذكِّره كثيراً بابنته الكبرى.

أرشدَهم رئيس الخدم إلى الرَّدهة حيث استقبلتهم السيدة مرجريت ديسبارد بفرح. وجدوا بالرَّدهة العديد من الرجال والنساء الذين

يرتدون الملابس الأنيقة وفي أبهى الحلل واقفين وجالسين في الحجرة الرائعة ذات السقف العالي. عرفتهم السيدة ديسبارد ببعض،وبذلت "في" كلَّ جهدها لتذكُّر كلِّ الأسماء. كما كانت تأملُ في مقابلة د.فرايزر هناك لكنها لم ترَها.

قالت السيدة مرجريت ديسبارد: تعالوا يا بنات للفِناء الآن، لأنه يوجد العديد من الضيوف هناك الذين يودُّون التَّعرف على أصدقائنا الذين من الجنوب.

وقادتهم خلال مجموعةٍ واسعةٍ من الأبواب الجانبية الزجاجية التي فتحت على فناءٍ صغيرٍ حجري مُحاط بشُجيراتٍ مزهرةٍ ونباتاتٍ عطريةٍ.

كانت د.أماليا فرايزر تجلس على أريكةٍ طويلةٍ حديديةٍ ورجلان يتحدَّثان معها. كان أحدهم طويلاًفي الأربعين من عمره تقريباً. وثيابه نظيفةٌ وعصريةٌ وحديثةٌ بطريقةٍ جعلت "في" تعتقد أنه أوروبي، أما الثاني فكان قصيراًوعريضاً ووجهه مدوَّر ومرتدياًثياباًبنيّة اللون من قامة رأسه حتى اِصبع قدمه وبدا غير مرتاح مع فنجان الشاي السَّهل الكسر الممسك به.

قالت مرجريت: أنكم تعرفون أختي، وأودُّ أن أقدِّم لكم السيد ألفونس الذي وصل لتوِّه من فرنسا وسيكون ضيفنا لعدَّة أسابيعٍ، وهذا السيد بيجز شريك السيد ألفونس في العمل. ويا سادة هذه الآنسة فيوليت ترافيللا وتلك الآنسة زوي لاف.

ابتسم السيد ألفونس بدفءٍ وقال: من دواعي سروري التعرُّف على فتيات بمثل هذا السحر. كانت لغته الانجليزية سليمةً وفي منتهى الإتقان بالرَّغم من غرابة لهجته. أما السيد بيجز فتمتم: سُررتُ بمعرفتكم. في نبرةٍ أمريكيةٍ مسطَّحةٍ، وكان هذا هو كلُّ ما قاله، وما إن بدأت المجموعة الصغيرة في الانخراط في الحديث حتى اِنزَّوى في الخلفية.

أحضر نادل الشاي لزوي و"في" وأخبر السيدة ديسبارد بحضور ضيفٍ آخر، فاستأذنت للذهاب لتحيَّته.

تحدَّث السيد ألفونس لزوي قائلا: أنَّ مضيفتنا قالت لي أنك أتيت حديثاً من روما، وأتمنَّى أن تكوني مستمتعةً بوقتك هنا مثل تمتُّعي بزيارتي للولايات المتحدة.

فأجابت زوي قائلةً: إنني مُستمتعة جداً يا سيدي، لكني لستُ زائرةً، فأنا أحيا مع الآنسة ترافيللا وعائلتها في الجنوب.

فشرحت د.فرايزر قائلة: والد الآنسة لاف كان دبلوماسيٌّ وقد تربَّت وترعرعت في أوروبا.

أضافت زوي: لقد كبرت في باريس، ثم انتقلنا للعيش في روما حتى توفي والدي.

ارتفع حاجبي السيد ألفونس، وظنَّت "في" أنها رأت ما يُشبه دهشة الاهتمام في وجهه. لكنها اختفت في ثوانٍ.

فقال: أنا آسف جداً لسماع هذا، لكن يجب أن تخبريني المزيد عن حياتك في أوروبا.

فبدأت زوي تحكي بإشراق عن سنوات حياتها في باريس وروما، والسيد ألفونس يستمع ويُنصت باهتمامٍ لكلِّ ما تقول وسأل أسئلةً أبدى اهتماماًأصيلاًبكلِّ أجوبتها.

في نفس الوقت كانت "في" قد انضمَّت لد.فرايزر على الأريكة الحديدية وتجيبها عن أسئلة تخصُّ صحَّة فرجينيا والرضيعة. وقالت د.فرايزر بعد أن اطمأنَّت على أنَّ كلَّ شيءٍ على ما يرام: لقد كنت بالتأكيد آخر شخصٍ أتوقَّع رؤيته في العيادة، لكني مسرورة لأنك تذكَّرتي العنوان. فمستشفانا تبذُل أقصى ما في وُسعها، لكني أخشى من أنَّ ابنة عمتك وطفلتها ما كانتا تحسَّنتا هناك.

فسألت "في" باهتمامٍ: ولماذا؟

فقالت الطبيبة: بعيداً عن الأماكن الخاصة التي تخدُم الأثرياء، فإنَّ المستشفيات شديدة الازدحام والعاملين بها يعملون فوق طاقتهم، وقد لا يمكنك رُؤية طبيب لعدَّةِ ساعات. لكن بالنسبة لحالتنا فقد كان الوقت في صالحنا واستطعنا معالجة ابنة عمتك وابنتها قبل أن تُصابا بالالتهاب الرئويِّ.

فقالت "في": كنت آمُل أن أراك هنا اليوم حتى أستطيع شكرك مرةً ثانيةً، لكني لم أتوقَّع رؤيتك.

ابتسمت د.فرايزر وعندها أدركت "في" مرَّة أخرى كم هي جميلة، ثم

خفَّضت د.فرايزر من صوتها وقالت: لأكون صادقةً معك، أنا لا أُطيق حفلات الشاي هذه، لكني أظهر بها بين الحين والآخر لأسَرِ أختي، فأنا هنا بمثابة سمكة خارج الماء. ومع هذا، فإن هذه التجمُّعات ضرورية لأجل عمل مرجريت في المتحف.

ففسَّرت الطبيبة أمام نظرة "في" المحتارة قائلةً: يعتمد المتحف على تعضيد الناس بالمال والوقت للاهتمام بالفنون. فيجب أن يتسلُّوا ويتدلَّلوا إذا أردْناهم أن يكونوا كُرماء في العطاء. ومرجريت تقدِّم أثرياء نيويورك لرجالٍ مثل السيد ألفونس الذين يعلمون كثيراً عن الفنون، فيُدرك الأثرياء احتياج المدينة للمؤسَّسات الثقافية. وأنا ومرجريت لسنا مختلقين كثيراً في الحقيقة، فأنا أودُّ تحسين صحة المدينة وهي تُجاهد لرفع وتحسين روحها.

فقالت "في": أودُّ أن أعلم المزيد عن عملك. فأنا- لديَّ فكرة عما أودُّ أن أفعله بحياتي. ثم أخفضت من عينيها بخجلٍ وأكملت: أودُّ أن أساعد المحتاجين لكن عليَّ أن أتعلَّم الكثير عن الطريقة الصحيحة لخدمتهم.

تفحَّصت د.فرايزر وجه "في" للحظاتٍ ثم قالت: إذا كنت بحقٍّ مُهتمة، أودُّك أن تزوريني مرةً أخرى في العيادة، متى تودِّين المجيء؟

قالت "في": أوه، أي وقت. وهي تنظر لأعلى بابتسامةٍ واسعةٍ وأكملت: أيِّ وقتٍ يُناسبك، فأنا لا أريد أن أعطِّلك.

فقالت الطبيبة بضحكةٍ خفيفةٍ: سأجعلك تعملين، هل لديك خبرة في التعامل مع الأطفال؟

أجابت "في": لدي أربع أخوة وأخوات أصغر مني. وأعلِّم في مدرسة الأحد، وقضيت عدَّة أيامٍ أساعد في خدمة الأطفال في إرسالية وعيادة في نيو أورلينز. فهل هذا يحتسب خبرة.

فقالت الطبيبة: بالتأكيد يحسب، حسنا، هل يمكنك الحضور غداً في حوالي الثالثة بعد الظهر؟

أجابت "في": نعم، أشكرك يا د.فرايزر، غداً في الثالثة سيكون رائعٌ.

وهناكانت مرجريت قد عادت لتوِّها لتسمع دعوة أختها فقالت: إذاً، لقد وجدت مجنَّداً جديداً يا أماليا.

فصحَّحت د.فرايزر قائلةً:بل مراقبٌ مهتم، فالآنسة ترافيلا تشاهد عملك اليوم وعملي غداً.

فهمست السيدة ديسبارد: يجب أن أعُود لعملي، فاستدارت لزوي والسيد ألفونس قائلةً: عليَّ أن آخذك بعيداً يا فرانسوا فالسيدة لونجلي قد حضرت وهي شغوفةٌ جدا بمناقشة المكسب الجديد لمعرض نهضة الفنون.

ابتسم السيد ألفونس ابتسامةً خبيرةً وقال: آه، السيدة التي بنى زوجها السكك الحديدية، أرجو المعذرة يا آنسة لاف. ربما نستطيع استكمال حديثنا في وقتٍ آخر.

فقالت زوي بقليلٍ من الحياء: سيكون هذا حسنا جدا، يا سيدي.

فانحنى محيِّياً للسيدات وتبع السيدة ديسبارد إلى المنزل، وأسرع وراءه السيد بيجز.

قالت زوي وهي تجلس على الأريكة بجانب "في" والطبيبة: أليس السيد ألفونس رجلٌ لطيفٌ بحق، كان يعرف والدي في باريس، لا أعرف بالضبط كيف، ربما من خلال بعض الأعمال الدبلوماسية، هل تعرفين السيد ألفونس يا د.فرايزر؟

فقالت الطبيبة: لقد قابلته اليوم لأولِ مرةٍ، وأنا أعلم أنه تاجر تحفٍ ولوحاتٍ فنيةٍ وأنه لطيف جداً، لكنني لا أستطيع منع نفسي من التساؤل حوْل مُساعده،هذا الرجل القصير ذى الملابس البُنية. فهو لا يبدو أبداً كتاجر تحفٍ، إنه يذكِّرني في الحقيقة برجل البوليس.

فسألت زوي: لكن رجال البوليس يلبسون زيّاً خاصاً، أليس كذلك؟

فقالت د.فرايزر: ليس كلُّهم، يوجد المُخبرين الذين يلبسون مثل رجال الأعمال.

لم يكن أمام "في" إلا أن تضحك قائلةً: ها يا زوي، ربما تكوني قد عثُرت على مخبرٍ، يمكنه إخبارُك كيف تُحلُّ الألغاز.

فجلجلت زوي قائلةً:و قديكون في مهمَّةٍ سريَّة.

فقالت د.فرايزر وهي تستمتع بالحديث مع الفتاتين: أعتقد أنه سيكون جيِّدا لحفظ الأسرار فهو لم يَفتح فمه تقريباً، لذا لن يُخبر بما

يَعلم.

قاطعهم صوت السيد ديسبارد المألوف حين دخل من الباب قائلا ًبطريقته العفويَّة: مرحباً بصديقاتنا الفتيات مرةً أخرى، والآن هيَّا للداخل لتذوُّق الطعام، فمرجريت والطباخ قد تفوَّقوا على أنفسهم. وتقدَّمهم إلى غرفة الطعام، حيث كان الضيوف واقفين حول الطاولة، وسيدة أكبر سنّاً تسكب شاياً من الوعاء الفضِّي الضَّخم. وكانت ترتدي ثوباً أسوداً ضيِّقاً والكثير من المجوهرات حول عنُقها وفي أذنيها لدرجة أنَّ "في" تساءلت حول كيفيَّة حملها لرأْسها.

همست د.فرايزر: هذه السيدة لونجلي، إنها معجبةٌ جدا بالملكة فيكتوريا وتلبس دائما ثياباً سوداء ، بالرَّغم من أن زوجها لا يزال على قيد الحياة عكس الملكة فيكتوريا، وهي تحب أن ترأَسَ مثل هذه المناسبات،وفى اعتقادى أنَّه يُمكننى إطعام مئةُ عائلةٍ لمدَّةِ مئةِ عامٍ بثمن المجوهرات التي ترتديها.

كتمت زوي ضحكتها القويَّة ، لكن "في" أدركت أن د.فرايزر كانت نصف ضاحكةٍ، فأخذوا طعامهم وأكواب الشاي- ثمَّ تأمَّلوا المكان الذي كان كلُّه رائع-فالمنزل كان جميلاً وممتلئاً بالأعمال الفنية الرَّائعة. كما كان السيد والسيدة ديسبارد يتركون ضيوفهم ليطمئنوا على راحة "في" وزوي.

ورافقتهم السيدة ديسبارد حتى الباب الخارجي حين حان موعد رحيلهم. وقالت ل"في": اضطُّرت أختي للرَّحيل مبكِّراً، وقد جعلتني أعِدها بأن أذكُّرك بموعدكما في العيادة في الثالثة غداً، وبما أنك ستكونين مع أماليا، فربما تزورُني زوي غداً بعد الظهر. ثم قالت لزوي: سأذهب للمتحف وأحب أن تأتي معي.كما يمكنني أن أحضر إليك في الفندق ونذهب سوياً لرؤية المعروضات ثم نعود لمنزلي لتتناولي معنا العشاء، ليست عندنا حفلة، فقط مجرَّد بعض من الأصدقاء.

نظرت زوي ل"في" التي أوْمَأت إليها موافقة. قبَّلت السيدة ديسبارد الفتاتين من خدَّيهما ولوَّحت لهما مودِّعةً أثناء مساعدة السيد مريوثر لهما على ركوب المركبة واطمئنانه على سلامتهما بها ورحلوا.

بعد أن رجعت زوى قصَّت بحماسٍ للسيدة أوفلاهرتي عن كلِّ الناس



المتعبين الذين قابلوهم حين عادتا للفندق.أمّا "في" فاستأذنت وذهبت لحجرتها، لأنها أرادت أن تكتُب خطاباً لوالدتها، فقد كانت تكتب لوالدتها كل يوم تقريبا- وبنفس القدر تقريبا لإد- كما حصلت منهما في المقابل على الكثير من الخطابات المساعدة والمشجِّعة.

كانت على وشك الانتهاء من كتابته حين دقّت زوي على الباب ودخلت قائلةً: إنَّ السيدة أوفلاهرتي ستكون مستعدة لتناول وجبة العشاء بعد نصف ساعة، وأنا مسرورةٌ لأننا سنتناول عشاءنا متأخِّرا الليلة فقد أكلت الكثير عند آل ديسبارد وأحتاج لبعض الوقت لتنشيط شهيّتي ثانيةً.

ابتسمت "في" لصديقتها وقالت: إنَّ لديك دوماً تلك الشَّهية ياعزيزتي ، فأنا لم أتعرَّف أبداً على فتاةٍ تستمتعُ جداً بالأكل مثلك.

ارتمت زوي على سرير "في" وقالت: كان بابا يقول دائما أنَّ الأكل مثل الفن يجب أن يقدَّر. وقال إنه ليس فقط الطعم الذي يجب أن نقدِّره بل أيضاً العمل الجاد والدَّءوب الذي تمَّ لإعداده،وكذلك عنده الطعام مثل الموسيقى يحتاج للعديد من الأيدي الموهوبة التي تعمل معاً لخلقِ وجبةٍ فخمةٍ.

وخبّطت على معدّتها وسندّت ذقنها بيدها وسألت: هل تعلمين أن زوج السيدة أوفلاهرتي كان موسيقياً.

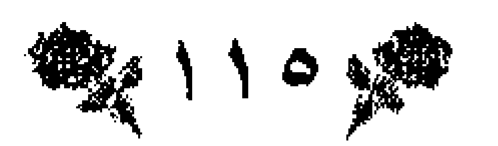
أجابت "في" وهي تُغلق خطابها وتختمه: نعم، لقد كان يعلم كيفية عزف البيانو ويؤلِّف الموسيقى، لكن عمله لم يُعزف أبداً على المسارح، وكانت السيدة أوفلاهرتي تعلمُ عزف البيانو أيضاً.

فقالت زوي بحزنٍ: هذاالأمر محزنٌ جداً، أن تعملي بجدٍ شديدٍ في إبداع موسيقى ولا تحصلي أبدا على فرصة أن يسمعها الآخرين، إنه مثل طبخِ وليمةٍ فخمةٍ دون أن يأكل منها أحد.

قالت "في": لابد من وجود سببٍ وراء عدم عرض أعمال السيد أوفلاهرتي في المسارح.

أجابت زوي: إنَّ السيدة أوفلاهرتي تقول إنَّ أعماله سابقةٌ لعصرها. وتدحرجت ودلدّلت قدميها من على جانب السرير وقالت:هل تعلمين أنها محتفظةٌ بمؤلفاته دائماً معها؟

فقالت"في" لم أعرف ذلك من قبل؛



فسرّت زوي لكوْنها أخبرتها بذلك ثمّ قالت:إنها تحتفظ بكلِّ مؤلفاته في حقيبة ثيابها القديمة، فقد سألتها حين كنا نتسوّق في أحد الأيام إذا كانت تودُّ شراء حقيبةٍ جديدةٍ بدلاً منها بما أنَّ علاقّة الحقيبة القديمة مقطوع وهي تربطها بالخيوط، فأخبرتني حينها عن موسيقاه وكيف أحضرتها معها حين أتت للولايات المتحدة، فقد عاشت في نيويورك لمدَّة سنتين تقريبا وعملت كمدبِّرة منزلٍ لأنَّ أجرتها أفضل من تعليم عزف البيانو، لكنها كانت في كلِّ الوقت تحاول عرض موسيقى زوجها على الناس الذين يمكن أن يساعدوها. وقالت أنَّ العديد من الموسيقيين أبدوا اهتمامهم بها، لكنَّها لم تستطعِ مقابلة أحد في موقع يمكنه اتِّخاذ قرار بشأنه، لأنه لابد من وجود راعٍ وكفيلٍ للموسيقى حتى يتمَّ عرضها- مثل قائد أوركسترا أو عازف مشهور. ولأنَّها مجرَّد مدبِّرة منزل، فكيف يمكن أن تقابل شخصاً مشهوراً مثل هذا؟

كانت معظم هذه المعلومات جديدة على "في".

فتساءلت: هل لازالت تأمَل في هذا؟

قالت زوي بهزةٍ حزينةٍ من رأسها: أعتقد أنها يئِست من المحاولة، و لكنَّها دوْماً تكرِّرأنَّ أعمال زوجها لم تزلْ سابقةً لعصرها. وستحتفظ بها دائماً وتُحاول منحها لشخصٍ آخر يحاول من جديدٍ بعد أن تَذهب.

قالت "في": تذهب؟

قالت زوي: هى تقصِد بعد وفاتها،لأنها واثقةٌ من أنَّ موسيقاه رائعةٌ وتُؤمن بأنه في يومٍ ما ومكانٍ ما سيكتشفه أحدهم ويقدِّمه للعالم ليسمعه. آلا تعتقدين أنَّ هذا رومانسياً؟

فقالت "في" برقةٍ: إنه تصرُّفٌ نابعٌ من محبةٍ صادقةٍ حقيقيةٍ، وأتساءل إن كانت أمي تستطيع المساعدة، فربما يمكنها عرض الموسيقى على شخصٍ مهمٍ.

هتفت زوي: آوه، هذه فكرةٌ جيدةٌ جداً. وأعتقد أنَّ السيدة أوفلاهرتي لم تُرد التطفُّل على والدتك أما أنت فيمكنك أن تسأليها والتحدُّث بالنيابة عنها! فأنت لا تتطفَّلين على والدتك.

فقالت "في": لكن دعينا لا نقُل شيئاً للسيدة أوفلاهرتي، لأنني لا أريد أن تُصاب بخيبة أملٍ مرةً أخرى إذا لم تستطع ماما مساعدتها، وإذا

استطاعت مساعدتها فماما هي الشخص الذي يجب أن يتحدَّث إليها.

وافقت زوي في الحال، ثم سألت: هل تعتقدين أنَّ الموسيقى ستكون جيدة بحق؟

فكَّرت "في" لثوانٍ ثم قالت: إنَّ السيدة أوفلاهرتي تعتبرها جيدة، وأنا أثِقُ في صواب حكمها. كما أني متأكِّدة من أنَّ ماما ستعرف ذلك إذا تمكَّنت من رُؤية الموسيقى.

سألت زوي: هل والدتك موسيقية؟

فقالت "في" بفخرٍ: جيدةٌ جداً، لقد درست البيانو للعديد من السنين مع معلمين ممتازين. وتعزِف ببراعة، لكن ليس كثيرا الآن. وقد ورِثتها ميسي في هذا.

فقالت زوي: أنا أعلم كم أختك موهوبة في العزف، فميسي قد عزفت لنا في روما، وقال بابا أن بإمكانها أن تكون محترفةً. هل أنت موسيقية أيضاً؟.

ضحكت "في" قائلة: كم كنت أتمنَّى، لقد أخذت دروساً في الموسيقى لكن بابا قال إنني مثله. موهبتنا الحقيقة هي تقدير الموسيقى المعزوفة من آخرين.

قالت زوي دون أيِّ ندمٍ: أنني لست موسيقيةً على الإطلاق. لكني أحبها- خصوصاً الغناء. كان بابا يأخذني دائماً للأوبرا. بالمناسبة ما الذي يجب أن نرتديه في الأوبرا في نيويورك؟

وبدأتا تتحدَّثان عن الملابس، و تناقشان خطَّتهما للأسبوعين الآخرين لزيارتها وفجأةًفتحت السيدة أوفلاهرتي الباب وسألت: هل أقاطعكما؟

قالت زوي: لا على الإطلاق. هل أنت مستعدةٌ لتناوُل العشاء؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي: إنني جائعةٌ بحقٍّ، لكنِّي متأكِّدة من أنكما ستكتفيان بقطعة خبز وربما شايٌّ خفيفٍ بعد تناولكما للشاي عند آل ديسبارد.

ضحكت زوي قائلة: في الحقيقة، كنت أفكِّر في تناول دجاجٍ محمَّر وبعض الخضروات اللذيذة وكعكة شوكولاته. أو كعكة كستارد بفراولة طازجة. أو...

فظلوا يتضاحكون حول شهيّة زوي حتّى دخلوا قاعة طعام الفندق بعدها بعدّة دقائقٍ.



الفصل

٩

العيادة

مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ.

أمثال ١٩: ١٧



وصلتْ "في" للعيادة في الموعد المتَّفق عليه تماماً بعد ظهر اليوم التالي، حيث كانت د.فرايزر في استقبالها عند الباب، لم تستطع "في" سماع صوت الطبيبة إلا بالكاد بسبب أصوات وصراخ وضحكات الأطفال التي كانت تملأ المكان.

قالت الطبيبة وسط الضَّجيج:كنت أعني ما أقول حين قلت أنني سأجعلك تعملين، لأنَّ السيدة جيانلي أحضرت العائلة كلّها، فابنها الصغير ماركو مريضٌ، لكن كما تسمعين يوجد سبع أخوة آخرين أصحاء تماماً لماركو. ففكَّرت أنه إذا أمكنك أن تقرئي لهم، فهذا سيبقيهم مشغولين ويخفِض من الضَّوضاء حتى أستطيع سماع صوت أفكاري. يوجد دولاب في حجرة الانتظار برفٍّ العُلويٍّ كتبٍ.

وسُرعان ما تمَّ تقديم "في" لأطفال عائلة جيانلي وقالت لهم والدتهم بأن يصطفُّوا، من الصغير للكبير، فكوَّنوا شكلاً ممتازاً، فسلَّمت "في" على كلٍّ منهم وهي تتعرَّف على اسمه/اسمها. ثم سألتهم إذا كانوا يستمتعون بسماع القصص، وفي نفسٍ واحد أجابوا بالموافقة. فأشارت إليهم بأن يذهبوا للجلوس تحت مظلَّة اختارتها لهم حتى تأتى بكتاب القصص من الدولاب، وقالت: يمكنكم الجلوس على الأرض في دائرة مع ترك مكان لي.

فوجئ الأطفال بالشابة الجميلة تجلس معهم، لكنهم فعلوا بالضبط ما طلبت منهم. وبسرعةٍ فحصت "في" القصص التي في الدولاب واختارت منهم واحدة ظنَّت أنها ستكون جذابةً للجميع.

وذهبت وجلست معهم وقرأت لهم الكتاب وسألتهم: هل سمعتم قصة "ثياب الإمبراطور الجديدة" من قبل؟

هزَّ بعض الأطفال رؤوسهم، فرفعت "في" الكتاب حتى يتمكَّنوا من رؤية صورة الإمبراطور وهو مُحاطٌ بالعديد من الناس في البلاِط الإمبراطوري. ثم بدأت القراءة، وحين انتهت كان كلُّ الأطفال يضحكون. وقال طفل في السادسة من عمره وهو يُقهْقه: لابدَّ وأنَّ الإمبراطورقد

بدا منظره سخيفاً وهو يمشي بملابسه الداخلية. فجلبَ تعليقه المزيد من الضحكات.

وقالت طفلة ظنّتها "في" في التاسعة من عمرها: أعجبتني هذه القصة لأنها مرحةٌ وبها درس أيضاً.فهي تعلّمنا وجوبَ أن تكون لدينا الشجاعة في قول الصِّدق حتى حين يأبَى الجميع فعل هذا. لقد قال الولد الحقيقة.

فعلّقت واحدة من أخواتها الأكبر قائلةً: كان يسوع يحكي قصصاً مثل هذه، ففي الكتاب المقدس تعلّمنا أمثاله كيف نحيا ونفعل الصواب.

سألت "في": هل يدرس جميعكم الكتاب المقدس؟

ابتسمت الفتاة بخجلٍ وأجابت قائلةً: نعم يا سيدتي، إنه الكتاب الوحيد الموجود في منزلنا، وماما تقرأ لنا فيه كلَّ ليلةٍ، وتقول أنه أهم كتابٍ كتِب على الإطلاق.

قالت "في" بابتسامة دافئةٍ: إنَّ والدتك على حق. ثم سألت: هل لدى جميعكم قصصٌ كتابيةٌ مفضَّلة؟

وفي الحال انفجر الأطفال في هديرٍ من الإجابات بصوتٍ واحدٍ قائلين: "يوسف في قميصه الملوّن!". "داود وجليات"!. "الطفل يسوع"!.

رفعت "في" يديها لتُسكتهم وهي تضحك وقالت: انتظروا! لا يمكنني الفهم وجميعكم تتكلّمون في نَفسٍ واحدٍ. دَعونا نلفُّ على الدائرة ليُخبرني كلّ واحدٍ منكم قصته المفضَّلة. لكن دعونا لا نصرخ أو نرفع صوتنا لأنَّ هذا سيجعل من الصعب على د.فرايزر تأدِيةِ عملها.

فهدأ الأطفال في الحال، وتحدَّث كلٌّ منهم في دوْره. وحاولت "في" إظهار اهتمامها بهم بأن تسأل كلاً منهم سؤالاً أو اثنين، وكان سرور الأطفال واضحٌ بهذا الاهتمام.

كانوا يتحدَّثون بهدوءٍ حتى قاطعهم حدوث اهتياجٍ شديدٍ عند الباب الأمامي.فهناك رجلٌ يصرخ في الممرضة قائلاً: احضري الطبيبة بسرعة، فهذا الطفل مُصابٌ جداً وبشكلٍ خطيرٍ!.

استدارت "في" لترى رجلاً في زيٍّ رجال البوليس يحمل صبياً قابعاً برخاوةٍ على ذراعيه ووجهه شديدِ الشُّحوب لدرجةٍ قريبةٍ من الموت يبدو أنه فاقدُ الوعيِّ. كما رأت قطعتين من القماش تلفَّان كلاً من ذراع

الولد وصدره وغارقتين في الدم.

اصطدم الأطفال لدرجة أنَّ جميعهم قد فتح فاه من الدهشة والرعب ، فقالت لهم "في" أن يبقوا في أماكنهم. زحفَ صغيرهم إليها فرفعته ووضعته على حِجرها، كما تحرَّك باقي الأطفال ليَكونوا أكثر قُرباً منها، كاسِرين الدائرة ليصبحوا حشداً يضيق حولها. فقد ارْتعبوا مما رءُوا لدرجة أنَّ صغيرهم بَكى.

فقالت لهم مطمئنةً: يجب أن نكون كلنا الآن في مُنتهى الهدوء ، فهذه هي الطريقة التي يُمكننا بها تقديم المساعدة.

جاءت د.فرايزر مهرولةً للحجرة وقادت رجل البوليس من الباب المغلق بالستائر الكائن بقرب مُؤخَّرة العيادة. استطاعت "في" تمييز بعض الأصوات المُلحَّةِ والمتعجِّلةِ من خلف الستائر لكنها لم تستطع تمييز ما قيل. ثم رأت العديد من الرجال يقفون عند المدخل، وأتت الممرضة لتتحدَّث إليهم، وبعد عدَّة دقائقٍ ذهب الرجال للخارج مرة أخرى.

لم يكن يوجد سوى القليل من الناس الآخرين في انتظار الطبيبة، فتحدَّثت إليهم الممرضة، شارحةً لهم بأنَّ الطبيبة ستتمكَّن من رؤيتهم لاحقاً، ثم أتت ل"في" والأطفال المرعوبين.

فقالت الممرضة بطريقةٍ حادةٍ لكنها لطيفةٌ:لقد حدثت حادثةٌ في المغْسلة، والطبيبة تقوم بعلاجها، وأمّكم ستحضرُ إليكم حالاً يا أطفال، كما أنَّ أخاكم الصغير سيصبحُ على ما يرام، فانتظروا هنا حتى تحضر أمكم إليكم. ثم أسرعت مبتعدةً واختبأت خلف السِّتارة.

همست الطفلة التي تحدَّثت عن أمثال يسوع ل"في" قائلةً: إنه مايكل، الولد الذي جُرح اسمه مايكل. لقد كان معتاداً على الذهاب للمدرسة معي، لكنه تركها. ويعمل الآن في المغسلة،وكثيراً ما يُصاب الناس هناك.

فسألت "في": كم يبلغ من العمر؟

قالت الفتاة: حوالي اِثني عشر سنة، ويعيش مع جدَّته، على ما أعتقد، في شارع بيكر.

ظهرت السيدة جيانلي بعدها بعدَّة دقائقٍ حاملةً ماركو الصغير على ذراعيها، فهرُع إليها الأطفال. وقالت ل"في" وهي تحثُّ أبناءها على

الخروج بسرعة من العيادة: أشكرك يا آنسة على رعايتك لأبنائي.

لم تعلم "في" ما يجب عليها القيام به بعد ذلك، لذا قامت من على الأرض ونظرت حولها، فرأت أنه لم يتبقَ في حجرة الانتظار سوى سيدة عجوز تنتظر رؤية الطبيبة حين مغادرة السيدة جيانلي.

ذهبت "في" للأريكة الخشبية الطويلة التي كانت تجلس عليها السيدة العجوز.

فسألت العجوز: هل تودِّين الجلوس؟

أجابت "في":لا، أشكرك، فأنا أحتاج لفرد قدمّي بعد الجلوس لمدةٍ طويلةٍ.

فعلّقت العجوز قائلةً:بصوتٍ مضطرب أظهر بعض المشاعر لقد لاحظت أنك جيدةٌ وماهرةٌ في التعامل مع الأطفال.ثمَّ أكملت قائلةً: كان لديَّ أطفالٌ في وقت ما، لكنني فقدت ولدين منهم في حوادث عمل، كان هذا منذ عشرين عاماً مضَت. لم تتحسّن الأحوال من وقتها، أليس كذلك؟ فالفقراء يعملون ويموتون حتى يَسعَد الأغنياء.

صَدمت هذه العبارة "في" جداً وكسَرت قلبها وقالت في عدم تصديقٍ: لكن بالتأكيد لن يموت الصبي.

فقالت العجوز: ربما نعم وربما لا، لكن من المرجَّح أنه سيَفقد ذراعه، ثم لن يستطيع العمل، وهذا حين تكوني فقيرةً بمثابة الموت، فأنا على درايةٍ بهذا فقد رأيته عدَّة مراتٍ. إنه أسوء من الحرب، فكم طفل يفقدُ حياته لمجرد محاولة كسب عدَّة بنساتٍ قليلةٍ لعائلاته. لكن يمكننا الصلاة لأجله، اغلقي عينيك يا فتاة وصلّي لله طالبةً رحمته على هذا الصبي.

أغلقت "في" عينيها بصمتٍ و بلجاجةٍ صلّت سائلة أباها السّماوي أن يساعد الصبي ويُرشد د.فرايزر قائلةً: من فضلك يا رب المس حياة كلِّ الأطفال. حتى يتمكَّنوا من وضع رجائهم فيك ويعرفوا محبَّتك، ثم أضافت: ساعدني أيضا، على معرفة ما يمكنني عمله لخدمتهم. ساعدني في العثور على الطريق التي تريدني أن أتّبعه وأمشي فيه. آمين. وحين رفعت عينيها كانت الممرِّضة تُناول السيدة العجوز زجاجةً بنيّة وتقول: إنَّ الطبيبة تُريدك أن تأخُذي معلقتين من هذه في المساء والصباح فسيهدِّئ

من ألم أمعائك. أما إذا استمرَّيت على عدم القدرة على الأكل، فتعالي غداً، وستراك أولاً.

تمتمت السيدة العجوز بشيء ثم وقفت، فأخذت الممرضة بيدها وساعدتهافى الوصول للباب.

قالت الممرضة بعد ذهاب السيدة العجوز: ستعود غداً،بالرغم من أنه ليس بها شيءٌ عدا الإحساس بالوحدة. لدينا الكثير مثلها- سيدات عِشن أكثر من أزواجهن وأبنائهن و أصدقائهن.و د.فرايزر طيبة جداً معهُن، لكن حين توجد طوارئ حقيقة، يتوجَّب عليها وضع الأمور في نِصابها والأهم فالمهم.

سألت "في": كيف حال الصبي؟

قالت الممرضة: ليس جيداً، سُحقت ذراعه وكتفه مكسور، فقد أمسك بأحد المعاصر العملاقة، ويجب أن يذهب للمستشفى، وأرسلت د.فرايزر في طلب عربة الإسعاف.

سألت "في": هل تعتقدين أنه سيَحيا؟

فقالت الممرضة بهزَّة رأسٍ حزينةٍ: ربما، لكن أحياناً لا يكون الموت أسوء شيءٍ يمكن أن يحدُث. ثم عادت لنبرة صوتها المهنِيَّة وقالت: إن د.فرايزر تسأل هل تودِّين انتظارها. فقد ظنَّت أنك قد تفضلِّين العودة في وقتٍ لاحقٍ.

أجابت "في": أودُّ أن أبقى، لكنِّي متأكِّدة من أنَّ الطبيبة ستكون متعبةٌ.

ابتسمت الممرِّضة وقالت: أعتقد أنها ستحبُّ أن يكون معها أحد ، فأنا سأغلق العيادة وأذهب لمنزلي بعد حضور عربة الإسعاف. وسيذهب رجل البوليس للمستشفى مع الصبي، وبالتالي ستبقى د.فرايزر وحدها.

فقالت "في": إذاً سأبقى بالطبع، لكن هل تحدث هذه الحوادث كثيراً؟

أجابت الممرِّضة قائلةً: كثيراً جداً. فقد يكون رجلاً أو امرأةً لكنه يكون أصعب كثيراً حين يكون طفلاً- بالرَّغم من اعتقادي أنَّ هذا الطفل لم تكُن له طفولةٌ على الإطلاق. كم كنت أتمنَّى أن نعرف من هو.

فقالت "في": إنَّ إحدى بنات السيدة جينالي تقول أنَّ اسمه مايكل

وأنه يحيا مع جدّته ... وجاهدت "في" حتى تتذّكر ما قالته له الفتاة أيضا ثم قالت: آه، وأنه يسكن في شارع باكر- لا بيكر.

ابتسمت الممرضة مرة أخرى وقالت:آه، إن هذا مفيد! سأُخبر الضابط وهو سيعثُر على عائلته. والآن، ما عليك سوى الجلوس هنا والانتظار. ولا أعتقد أنه سيكون انتظارٌ طويلٌ.

بعدها بساعةٍ كانت د. فرايزر و"في" تجلسان في الشرفة الصغيرة بشقة الطبيبة في الطابق الثالث لمبنى العيادة. وقد ذهبت عربة الإسعاف حاملةً الصبي الفاقد للوعي معها للمستشفى. وحين حضر السيد مريوثر لإرجاع "في" للفندق، أخبرته بأنها ستعود في مركبةِ د.فرايزر الخاصة وأعطته مذكّرة صغيرةً ليمنحها للسيدة أوفلاهرتي.

صنعت د.فرايزر شاياً،ثمّ جلست ترتاح رافعةً قدميْها على الأريكة الصغيرة. و"في" جلست قُبالتها على أريكةٍ أكبر. وهي تنظُر عبر الشرفة التي كانت بسيطة الأثاث لكن كل ما فيها من نوعٍ ممتازٍ. كما وجدت العديد من اللوحات الفنية المصوِّرة للبيئة على الحوائط، وأرادت "في" أن تراهم عن قرب أكثر. لأنها رأت لوحةً لسيدةٍ شابةٍ في ثوبٍ حريريٍّ خاصٍ بالحفلات الراقصة معلّقة فوق المِدفأة. ظنّت "في" أنها قد تكون والدة الطبيبة بسبب التّشابه الكبير بينهما.وفي أثناء ذلك

استطاعت "في" رؤية مدى تعب الطبيبة وإرهاقها، لكن بدَت الطبيبة ترتاح أكثر مع كلِّ رشفةٍ من الشاي الساخن.

سألت "في": لتذكُّرها ما قالته د.فرايزر من قبل عن الازدحام الشديد للمستشفى التي تخدُم الفقراء.هل سيكون الصبى على ما يُرام؟

قالت د.فرايزر: لقد فقد الكثير من دمِه، وذراعه تقريباً قُطعت بهذه الماكينة الرهيبة،وأخاف من أنَّ الجراح لن يتمكّن من إنقاذه، لكني استطعت إيقاف نزيف الدم، وإذا لم يكن ضعيفاً جداً فبإمكانه أن يعيش، بالرّغم من أن هذا لا يعني على الإطلاق أنه سيكون على ما يُرام.

أخفضت "في" عينيها وقالت: أنا آسفة، لكن من سيعتني به؟

قالت د.فرايزر: ربما جدّته. إذا كانت قويةً بما يكفي. وقد تتمكّن بعض الكنائس من تقديم المساعدة. وإذا كنت محظوظةً فإنه سيعود إلى هنا ثانيةً حيث يمكننا أن نساعده.



فقالت "في": لكن ماذا عن مُستخدميه- أصحاب المغسلة؟ أليسوا مسئولين عنه؟ فقد تسبَّبت ماكينتهم في الحادث.

ابتسمت د.فرايزر بطريقةٍ تُظهر عدم سعادتها: في هذه البلد،الذى لا يتحمَّل أصحاب العمل مسئولية صحة عُمالهم أو سلامتهم. فالمغسلة مكانٌ فظيعٌ لكنها لا تختلف كثيراً عن أيِّ مكان عملٍ آخر. فهم يُعينون غالباً المهاجرين الجدُد والصبية الصغار ويشغِّلونهم مثل الحمير بأجورٍ لا يمكن أن تُطعم أو تَكسي شخصاً واحداً فما بالك بعائلة. وكلُّ الماكينات التي يستعملونها غير آمنةٍ، ومع هذا، حين يُجرح أو يُصاب عامل أو حتى يُقتل فإن أصحاب العمل يقولون إنه خطأ العامل. لذا سيقولون إن الصبي كان مهملاً وهذا ما سبَّب الحادث.

سألت "في": آلا يوجد قانونٌ ما بخصوص هذا؟

أجابت د.فرايزر بتنهيدةٍ عميقةٍ: نعم يوجد قوانين، لكن جميعهم في مصلحة أصحاب العمل، وهذا الصبي ليس من حقِّه بنسٍّ مساعدةً.

فقالت "في" باتِّقاد: لكن يجب أن يتغيَّر هذا، فلا يمكن أن يوجد عمل دون عمال: وأصحاب الأعمال يعتمدون على عمالهم لذا يجب أن يكونوا مسئولين عن سلامتهم.

شرحت د.فرايزر المشكلة قائلةً: تقع المشكلة في أنه يوجد دائماً من هو مستعد للقيام بالعمل في أسوء الظروف، فالمهاجرين الجدُد لأمريكا يصِلون نيويورك والمدن الكبرى الأخرى كل يوم. ومعظمهم لا يتحدَّث الانجليزية، و هاربون من الفقر الذي تركوه في بلادهم الأصلية ويأمَلون في حياةٍ أفضل هنا. والبعض منهم يتمكَّن من تحقيق أمله لكن معظمهم يبقون في فقرٍ وتعاسة أكبر مما تركوا في وطنهم الأصلي. ويُجبروا على العيش في شققٍ صغيرةٍ ويعملون في أقلِّ الأعمال أجراً. وحين يُجرح أحدهم أو يموت، يوجد ربما مئات على استعدادٍ لأخذ مكانه. فهذا الصبي المسكين لن يفتقده أحد لأنه في الغد سيكون صبياً آخر قد أخذ مكانه ويعمل العمل الذي كان هو يقوم به اليوم.

قالت "في": أنا لا أفهم، ففي منزلي، نقوم برعاية وعناية عمالنا حتى وهم يستطيعون العمل.كذلك يوجد أناسٌ يحيوْن في أيون كانوا عبيداً قبل أن يولد والدي ووالدتي. وسنمنحهم أيضاً منزلاً هناك، إذا اختاروا

أن يحيَوا بأيون.كما كان أبي يقول أنَّ عماله هم أثمنُ ما لديه وأن عملهم يجب أن يقدَّر أكثر من أيِّ شيءٍ آخر. وكان يعمل جنباً إلى جنبٍ مع عمال المزرعة حينما كان يستطيع. وهذه هي الطريقة التي مات بها- يعمل مع عماله.

حملقت د.فرايزر في "في" وتساءلت: حقاً؟

أجابت"في" قائلةً: آه، نعم. لقد كان يقول دائما أنَّ الله لم يصنع فواصل بين الناس، وأنَّ العامل لا يختلف عن صاحب العمل في عيني الله.

فقالت د.فرايزر مقتبسةً من الإصحاح الخامس لسفر عاموس: "لْيَجْرِ الْحَقُّ كَالْمِيَاهِ وَالْبِرُّ كَنَهْرٍ دَائِمٍ.

وأكملت الطبيبة قائلةً: هل تعلمين أنَّ بعض الناس يعتقدون أن الفقر نوع من أنواع القضاء الحق. وأنَّ الفقراء يتسبَّبون في تعاستهم ومُعاناتهم لأنهم كسولين أو أغبياء أو بالطبيعة مجرمين؟ كيف أمكنهم نسيان كلمات ربنا في إنجيل متى؟ بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ. قالتها د.فرايزر بتنهيدةٍ وسمعت "في" الحزن في نبرةِ صوتها.

قالت "في" متسائلةً: مؤكَّدٌ أنَّ الجميع ليسوا يؤمنون بهذا. ولكن ماذا عن الكنائس؟

أجابت د.فرايزر قائلةً: إنهم يبذُلون كلَّ ما يستطيعون. لقد كان أعضاء كنيسة هذا الحي رائعين لكن يجب أن تتذكَّري أنهم فقراء جداً وأنهم يقضون كلَّ وقتهم تقريباً في محاولة كسب المال الكافي لتوفير مأوى وطعام لعائلاتهم. والناس يساعدون جيرانهم حين يكون هذا في استطاعتهم، وقد رأيت العديد من التصرُّفات النبيلة والتضحية بالذات عبر الفقراء، لكنهم لا يستطيعون سنَّ قوانينٍ و تغيير أوضاعٍ.

جلست د.فرايزر فجأة ووضعت كوب الشاي على الطاولة الصغيرة وسألت: هل أنت مهتمةٌ بحقٍّ بالعدالة؟

أجابت"في" قائلة: نعم يا د.فرايزر، حين تَعني فعل الصواب. لكني أعلم أن العدالة يمكن طيُّها وتأويلُها لمصلحة بعض الناس والإضرار بآخرين. وهذا ما حدث مع العبودية، فقد كان القانون يقول أنها صحيح، لكنها كانت خطأ-غير عادلة، فكان علينا الدخول في حرب مريرةٍ

لتصحيح الأوضاع وإنهائها.

ابتسمت د.فرايزر لتعليق "في" وقالت: تتحلِّين بالكثير من الحكمة كشابةٍ يانعةٍ في بدء حياتها. فإذا كنت تودِّين بحقٍّ خدمة الفقراء، يجب أن تكوني مستعدةً للتعرُّف على الظلم ومحاربته. فقد ترغبين في تغيير كلِّ شيء لكن يجب أن تكوني مستعدةً لأخذ خُطوات صغيرة وكسب انتصارات صغيرة. ستفشلين أحياناً حتى في الأمور الصغيرة، وأحذِّرك من أنه قد يكون مُحبط للغاية. فستمرُّ عليك أوقاتٌ ستعانين فيها، لأنه بالرَّغم حتى من ثروتك الشخصية وامتيازاتك الكبيرة إلا أنك لن تستطيعي تحقيق العدالة للآخرين.

أدركت "في" حينها أن الطبيبة تتحدَّث عن نفسها، لأن د.فرايزر كانت تعاني من المصير المتوقَّع للصبي المُصاب التي كانت قد عالجته لتوِّها.

أجابت "في" بعد تفكير: أعتقد أنني مستعدةٌ لمواجهة الإحباطات يا د.فرايزر، فلديَّ أعظم مثال لأتَّبعه - ربنا يسوع الذي ترك غنى السماء ليأتي أرضنا ويعيش كإنسانٍ فقيرٍ، حتى نتمكَّن من خلال حياته أن نشاركه ملكوته. فلديَّ حياته لتقودُني وتُرشدني في هذا العالم ووعده بانتهاء كلِّ معاناة حين تنتهي هذه الحياة. فقد وعد الله في كلمته بأنه هو شخصياً سيساعدنا.

ابتسمت د.فرايزر بكلِّ الدِّفء وهي تقول: حافظي على إيمانك بوعده، وستجدين دائماً رجاءاً في الوقت الذي يرى فيه الآخرين الفشل. فكِّري في كلِّ ما تحمله لأجلنا وسيُريحك هذا من كلِّ أتعابك.

ثم أشرق وجهها كلُّه وهي تقول: لقد رفعت هذه المحادثة من روحي المعنوية كثيراً. كنت أعلم أنك فتاةٌ ممتعةٌ يا آنسة ترافيللا وأرجو أن نصبح صديقتين جيِّدتين. والآن، هل يمكنني أن أدعوك ب"في" وأنت تدعينني أماليا؟ فإذا كنا سنصبح أصدقاء يجب أن نتحدَّث لإحدانا الأخرى كما يفعل كلُّ الأصدقاء.

ثمَّ وقفت أماليا وأحضرت أبريق الشاي من على الطاولة الجانبية وقالت: دعينا نشرب كوباً آخر من الشاي قبل أن نتناول عشاءنا. وسكبت الشاي وجلست مرة أخرى وهي تقول: لقد رأيتِ عيادتي، والآن، أود سماع تصوُّراتك حول كيفية خدمة الناس المحتاجين.

لذا بدأت "في" شرح حِلمها في فتح إرسالية للفقراء. وقالت لأماليا عن خبرتها في إرسالية نيوأورلينز والعمل الذي يعمله السيد والسيدة كاربنتر هناك. ووصفت لها الوضع في مدينتها والأحوال في الجنوب، وخصوصاً معاملة العبيد السابقين وعائلاتهم.

سألت الطبيبة: ما هي أنواع الخدمات التي ستقدِّمينها في إرساليتك؟

قالت "في": أيّ شيء يحتاجه الناس.

قالت الطبيبة: يحتاج الناس للكثير، يجب عليك التركيز على ما يمكنك القيام به ويكون أكثر إفادةٍ ومعونةٍ للناس إذا كنت جادةص.

قالت "في": حسناً، أعتقد أن التعليم والرعاية الصحية ربما يكونا الأكثر أهمية.

سألت الطبيبة: إذن ستكون لديك مدرسةٌ؟

قالت "في": نعم، وربما مكان يأتي إليه الأطفال الصغار حين تكون أمهاتهم وآبائهم في العمل. وأودُّ أن أطعمهم أثناء وجودهم معي- أود أن أطعم أيَّ شخصٍ جائعٍ. وعيادة مثل التي لك. وأيضاً-.

قالت أماليا بضحكةٍ طيبةٍ: واو! وكم ستدفعين مقابل كل هذا؟ أنا أعلم أن عائلتك ثريةٌ مثل عائلتي، لكنك ستحتاجين لتعضيدٍ ماديٍّ من آخرين كي تنجحي، وستحتاجين لمهاراتٍ وخبراتٍ لا تملكينها لتحقيق أهداف لا تستطيعين أو تريدين لنفسك. فإدارة مدرسة أو عيادة أو إرسالية يعني وجوب أن تكوني سيدة أعمالٍ ومديرة. لقد تعلَّمت هذا بالطريقة الصعبة حين فتحت العيادة. فقد كنت أظنُّ أنَّ كلَّ ما عليَّ هو تعليق لافتتى والعناية بالمرضى. ولكن لوْلا كريس، زوج أختي، كنت قد فشلت في خلال سنة. فقد كان ينظِّم لي دفاتري ويدير أموالي،و عليَّ أن أتعلَّم ما يعمل ولماذا. فتوجد دائماً فواتير يجب دفعها وقرارات مالية يجب اتِّخاذها، كما تعلمين.

اعترفت "في" قائلةً: لم أفكِّر بحقٍّ في الأمور المالية.

قالت أماليا: ليس لديَّ شكٌّ في أنك ستتعلمين ما تحتاجين بسرعة، فأنت ذكيةٌ ومخلصة، لكن قولي لي هل لديك روح دُعابةٍ؟

أجابت "في": نعم، أعتقد هذا، هل هذا مهمٌّ؟

قالت أماليا: نعم، كما لاحظت فالشخصُ الذى لديه روح دعابةٍ كثيراً ما يكون شخصاً ذا بصيرةٍ وله رؤيةٍ. من المهم جداً أن تكوني قادرة على الحكم بين ما هو أساسي وما هو مجرَّد مريحٍ. لأنه يوجد مواقف لا تحلُّ كما لو كنت تصلُحين لمبةً مكسورةً أو صنبوراً غير محكم الغلق ، فأحياناً تحتاجين لأن تكوني مبدعةً وخلاَّقة لتحُلّي مشكلة، وأحياناً أخرى يجب أن تعترفي لنفسك بعدم قدرتك على حلِّها. وكما قلت من قبل، ستُهزمين إذا اعتبرت أنَّ خيبةَ أملُك فشلٌ. فلِكى تعرفي ما يمكنك عمله وما لا يمكنك عمله يحتاج هذا لبصيرةٍ.

قالت "في": لست متأكِّدة من فهمي لما تقولين؟

قالت أماليا: دعيني أعطيك مثالا. لقد قابلتُ سيدةً عجوز اليوم، اسمها السيدة ويفر وهي واحدةٍ من أكثر الناس تفضيلا لديَّ. فقد كانت أول مريضة لي هنا في العيادة، وسرعان ما اكتشفت أنَّ حالتها الصحية ممتازة بالنسبة لسنِّها. وأخبرتُها بأنها لا تحتاج للمجيء لرؤيتي ما لم تكن مريضةً أو مصابةً، لكنها استمرَّت في المجيء. ظننتُ في البداية أنها تضيِّع لي وقتي في حين يوجد آخرين لديهم مشاكلٍ صحيةٍ بحقٍّ تحتاج لرعايتي. لكن لم يكن لديَّ القلب لطردِها وبدأت في التعرُّف عليها وفهم كم تشعُر بالوحدة، فزوجها وأبناؤها جميعهم ماتوا. ولا توجد لديها عائلةٌ. إنَّ السيدة ويفر سيدة إيمان، مؤمنةٌ بحقٍ، لكنها تفتقد الاتِّصال اليومي مع الآخرين. وتحتاج لأن تتحدَّث، لذا بدأتُ إعطاءها بعض الوقتِ- فقط لأنصت إليها. ثم اكتشفتُ أنَّني أصبحت أتطلَّع لزيارتها. فقد ساعدَتني على فهم هذا الحي وكيف يفكِّر الناس هنا. وأدركت أنني لا أستطيع حلَّ مشاكلها لكنني أستطيع مشاركة الوقت معها ومنحها الاهتمام والرعاية كشخصٍ. هذا ما كنت أعنيه برؤيةٍ وبصيرةٍ.

فقالت "في "أنا معكِ فى أنَّ هذا يجب أن يُراعى، فالسيد كاربنتر قال لي مرة أنه إذا أراد أحد خدمة الآخرين فعليه أن يكون منصتاً جيداً وشديد الانتباه لما يقولون حتى يستطيع اكتشاف الاحتياج الحقيقي للناس قبل أن يتمكَّن من مساعدتهم. وهذا ما فعلتِه مع السيدة ويفر، أليس كذلك؟.

قالت أماليا: نعم، وهذا أيضاً ما فعلته هي لي. فقد ظننتُ حين أتيت لهنا أنني أقوم بمدٍّ كلِّ المساعدة، لكن هذه السيدة الفظَّة ساعدتني عن

طريق إخباري، بطريقتها، ما هو حال الفقير. وساعدتني على فتح عيني لرؤية حقيقة حياة الناس الذين أخدمهم. فقبل أن أقابلها، كنت جادة فيما يخصُّ نفسي ومهنتي، ولازلت كما أنا جادةٌ فيما يخصُّ مِهنتي. لكني الآن أضحك كثيراً على نفسي. وأعتقد أنه ربما يمكنك القول بأني أميل للغرور ومنح النَّصائح للآخرين.

ثم ضحكت وضحكت "في"التى قالت :لكني أحتاج لنصائحك، لذا أرجوك امنحيني كل ما لديك.

قامت أماليا وهي تقول: إنَّ نصيحتي الآن هو الذهاب للمطبخ وإعداد عشاءنا. أنا لست طباخةٌ ماهرةٌ، لذا ستكون وجبةً بسيطةً. هل تطبخين؟

اعترفت "في" قائلةً: ليس تماماً.

فقالت أماليا: هذه واحدة من مساوئ أن تكبُري في منزلٍ ثريٍّ، فأحدهم دائما يعدُّ لك الطعام، أنا لم أكن أعرف كيف أسلُق بيضة حتى دخلت كلية الطب. والقليل من الخبرة التي لدي في المطبخ علَّمتها لنفسي.

سألت "في": إذاً تنصحينني بتعلُّم الطبخ؟

قالت أماليا بما يشبه الضِحكة الصِبيانية: بكلِّ تأكيد، لأنه عليك أن تعتني جيداً بصحَّتك إذا أردت مساعدة الآخرين. غذِّي جسدك مثلما تغذِّي روحك. أتمنَّى أن تكوني ممن يحبون الخضروات.

قالت "في": كلَّ شيءٍ عدا البروكلي.

بدأت أماليا حين وصلتا للمطبخ في البحث في سلةٍ كبيرةٍ من القشِّ موضوعةً على الطاولة وقالت: أرى جزراً وبعض البطاطس وخضروات للسلطة وأيضا عش الغراب. لكني لا أرى بروكلي. إنك فتاةٌ محظوظةٌ.

قالت "في" باعتذار: سآكل البروكلي إذا كان ضرورياً.

قالت أماليا: إذاً لديك بصيرة، فالبروكلي مشكلة لا يمكنك التخلُّص منها، لأنه سيوجد دائما بروكلي. وأنت تتحاشينه حين يمكنك هذا وتأكلينه حين يتوجَّب عليك هذا. هل يمكنك تقشير الجزر؟

قالت "في" بهزارٍ: يمكنني أن أقشره وأن آكله أيضاً، لكني لا أعلم فقط.

كيف يطبخونه.

قالت أماليا وهي توقِد المؤقد الصغير: أولا تغلين قليلاً من الماء. فكلُّ المغامرات الكبيرة تبدأ بخطواتٍ صغيرةٍ.ثمَّ إعداد الطعام

وما أن انتهوا من تناوله حتى ضرب جرس الباب.

قالت أماليا: يوجد شخصٌ على الباب الأمامي، أرجو ألاَّ يكون حادثٌ طارئٌ آخر.

قالت "في": وهي تفكِّر في أن الطبيبة قد تحتاج لمساعدتها. سآتي معك، وأسرعتا نازلتين الطابقين وفتحت أماليا الباب الأمامي، لتجد رجل البوليس الذي أخذ الصبي للمستشفى.

قال الضابط: آسفٌ لإزعاجك يا د.فرايزر لكني أردتُ أبلاغك أنَّ عملية الصبي نجحت.لكنَّهم لم يستطيعوا الإبقاء على ذراعه ولكن يقولون أنَّ لديه فرصة للعيش، وأنهم سيعرفون الأمور بطريقةٍ أفضل بعد يومين.

قالت أماليا: أشكرك جداً يا رقيب دويل، كم لطيفٌ منك أن تُعلمني. بدا على الضابط رغبته في قول شيءٍ آخر، لكنه كان متردِّدا، وحين رأت الطبيبة تردُّده دعتهُ للدخول. فاعتذر قائلا: أشكرك يا سيدتي لكن يجب أن أعود لمنزلي. ثم أكمل: لكن يوجد شيءٌ واحدٌ، لقد أرادت المستشفى أن تعلم إذا لويوجد شخصٌ سيدفع مصاريف علاج الصبي. فقلتُ لهم أنَّ عليهم أن يتحدَّثوا إليك.

فقالت أماليا بحزمٍ: هذا جيد. سأذهب إلى هناك غداً لأُنهي الترتيبات. فأنا لا أريد أن يودّع هذا الصبي في عنبر الإحسان، فهو سيحتاج لتمريضٍ طول الوقت. بالمناسبة ، هل وجدت عائلته؟

أجاب الضابط: لقد وجدها الضابط فنلي، إنها فقط جدته، وهي ضعيفة جداً على القيام بمهام التمريض كما يبدو أنه كان يُعيلها. لديَّ عنوانهما.

ووضع يده في سِترته وأخرج منها مفكِّرة صغيرة وقطع منها صفحة وقدَّمها لأماليا، وسأل: هل يوجد شيء آخر يمكنني القيام به لأجلك؟

قالت أماليا:نعم يوجد وطلبت منه أن يعثُر لها على مركبةٍ لتوصِّل صديقتها "في" للفندق، فقال أنه سيُحضر إليها واحدة في خلال ربع

ساعة. وقالت ل"في": كنت أنوي أن أوصِّلك بنفسي يا "في" لكن هذا سيكون أسرع، لقد كانت أمسيةً جميلةً، لكن عائلتك ستقلقُ إذا لم تعودي إليهم سريعاً. هل ستقومين بزيارتي مرة أخرى؟ فلم يكن لديَّ الوقت لأريك كلَّ شيءٍ في العيادة. وأكملت بابتسامةٍ جعلتها تبدو كطفلةٍ:والآن بعد أن عرفت كم أنت ماهرة في التعامل مع الأطفال، فأنا أفكِّر في منحك وظيفة دائمة.

قالت "في": أحب هذا. لكن ، يجب عليَّ أن استخدم الرؤية والبصيرة بعد أن عرفت أهميتهما، وسآتي على قدرِ ما تحتاجين إليَّ وأتعلَّم كلَّ ما يمكنني تعلُّمه. حتى أتمكَّن حينها من أخذ كل ما تعلمته معي لمنزلي- حيث يحتاجون إليه.

قالت الطبيبة: تُعجبني الطريقة التي تفكِّرين بها، تعاليْ غداً إذا استطعتِ.



الفصل

١٠

زائرة مفاجئة

ثَوَابُ التَّوَاضُعِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ هُوَ غِنًى وَكَرَامَةٌ وَحَيَاةٌ.

أمثال ٢٢: ٤

زائر مفاجئة

أثناء تناولهن وجبة الإفطار، في صباح اليوم التالي، أخبرت "في" زوي والسيدة أوفلاهرتي بكلِّ ما حدث في العيادة وعن خطَّتها للعودة إليها هذا الصباح. ثم وصفت زوي أمسيَّتها عند آل ديسبارد قائلةً: إنها لم تكن بمثل أهميةِ ما فعلتِ في العيادة، لكنها كانت لطيفةً، و إد سيكون فخوراً بي، لأنني لم أسكُب أيَّ شيءٍ.

قلت "في": من المهمِّ أن تكوني قد استمتعت بوقتك، فهذا هو السبب الذي جعل ماما ترتِّب لقضائك هذه الأجازة في نيويورك. فما الذي تودِّين القيام به اليوم؟

قالت زوي: فكَّرنا أنا والسيدة أوفلاهرتي في ركوب القطار المرتفع. فالسيدة أوفلاهرتي تقول أنَّ القطارات أصواتها مُزعجة تصِمُ الأذان، لكني أعتقد أنه سيكون رائعٌ أن نرى المدينة من على بعد عدَّة أقدام أعلى من الشوارع. ثم سنزور مكتبة أستور. لقد فهمت أنها مكانٌ رائعٌ وبها أكبر مجموعة من الكتب في أمريكا. وبناها المليونير الأمريكي العظيم السيد جون جاكوب أستور، ثم بعدها سنذهب لأنتهي من تسوق القليل المتبقِّي لي. قالت الجملة الأخيرة بابتسامةٍ خبيثةٍ صغيرةٍ.

فضحكت "في" قائلةً:هل هذا واحد من مهامك السريَّةِ الجديدة؟

أجابت زوي بإبهامٍ: إنه كذلك.

ضحكت "في"، ثم سألت عن حال فيرجينيا والطفلة.

أجابت السيدة أوفلاهرتي: أنهما تُضيفان ما تفتقدان من وزنٍ جيداً، لقد قامت فيرجينيا ظهر أمس واستطاعت الوقوف على قدميها بأكثر ثباتٍ مما توقَّعت. ومع غذاءٍ جيدٍ والكثير من الراحة ستستعيد صحَّتها وقوَّتها سريعاً .

هتفت زوي: والطفلة ابتسمت لي! كنتُ أحملها فمنحتني أجمل ضحكةٍ في العالم.وأنا أتعجَّب من عذوبة ابتسامة رضيعةٍ بالرَّغم حتى من عدم وجود أسنان في فمها.

أكملت السيدة أوفلاهرتي: وصل السيدة كونللي خطاباً بالأمس من



ابنها كال، يقول فيه أنه وأخيه د.آرثر سيحضُران لنيويورك ليُعيدانهم لمنزلهم بعد يومين. وسيكون هذا اجتماعٌ عائليٌ رائعاً بالنسبة لهم جميعا. وبعدما

عُدن لحجرتهن استعدَّت زوي والسيدة أوفلاهرتي بسرعةٍ لنُزهتهما وسُرعان ما خرجتا. أما "في" فذهبت للاطمئنان على فيرجينيا وسعِدت جداً لرؤيتها مرتديةً ملابسها وجالسة، في حين كانت لوئيس تحمل الطفلة وتُهدهِدها بين ذراعيها وتبدو كأسعدِ جدَّةٍ على وجه الأرض، استغرقت زيارة "في" مايقرُب الساعة. ودهِشت "في" مرةً أخرى لرؤية التغييرات الكبيرة التي حدثت لعائلتها.

عادت "في" لحجرتها، وبدأت في كتابة خطابٍ لوالدتها، سيكون طويلاً ومليئاً بأخبار العيادة ود.فرايزر والصبي المُصاب. وحين أكملته كانت الساعة قد بلغت الثانية عشر والنصف، فكان عليها أن تسرع لتصِل العيادة في الساعة الواحدة.

عادت زوي والسيدة أوفلاهرتي للفندق لحظة مغادرة "في" له، وتقابلوا في المدخل.

سألت السيدة أوفلاهرتي "في": هل تودِّين أن أحضُر معك؟ فالعيادة في مكانٍ خطرٍ من المدينة. وأنا لا أريد أن أكون أتركك وحدك، لكني أعتقد أنه سيكون أكثر أماناً لو ذهبنا معاً.

أجابت "في": لا يوجد داعي للقلق، فأنا لن أكون وحدى،فبالرّغم من أنَّ السيد مريورث لا يعمل اليوم لكنه رتَّب لمجيء سائقٍ آخر ليأخذني لأيِّ مكان أودُّ الذهاب إليه. ومركبته تنتظرني بالخارج الآن، وسيُرجعني قبل موعد العشاء بكثير، وبالتالي يمكنك أنت وزوي أن تفعلا كل ما تريدان. وهزَّت رأسها لزوي وقالت: حتى المزيد من المهام السريَّة.

قالت السيدة أوفلاهرتي: أنا متأكدةٌ من إمكانية أن نجد شيئاً نفعله بعيداً عن المهام السرية. متى ستعودين؟

قالت "في" وهي تُسرع خارجةً: حوالي السادسة.

ذهبت زوي والسيدة أوفلاهرتي لقضاء آخر مهمة تسوُّق من محل قريبٍ بعد أن أكملتا زيارتهما السياحية ثم عادتا للفندق لتناول وجبة غذاء متأخِّرة، وذهبت زوي لترى فيرجينيا وتُلاعب الطفلة. أما السيدة

أوفلاهرتي فدعَت لوئيس للتَّمشية معاً في المُنتزه، فوافقت لوئيس وذهبتا معاً.

كانت فيرجينيا وبتسي تقضيان قيلولتهما عند حلول الساعة الثالثة ظهراً، ولوئيس- التي انتعشت من تمشيتها- ذهبت لحجرتها لكتابة بعض الخطابات.

كانت زوي والسيدة أوفلاهرتي تجلسان في حجرة جلوس الجناح تتحدَّثان حول مهمّة شراءٍ خاصةٍ قامتا بها في ذلك اليوم. حين دقّ الباب ودخل النادل ليُخبرهما بوجود رجل باستقبال الفندق يودُّ زيارتهم، وقدّم الكارت الخاص به للسيدة أوفلاهرتي التي قرأته وبدورها قدّمته لزوي، ثم نبَّهت على النادل بالسَّماح له بالمجيء إليهم.

بعدها بقليل كان السيد ألفونس يجلس على كرسيٍّ مريحٍ معهما ويعتذر بأدبٍ على المجيء دون اتِّفاق مُسبق. فقال: كنت في معرض في مبنى قريب وتذكَّرت أنك والآنسة ترافيللا تمكُثان بهذا الفندق، فتجرَّأت بالقُدوم.

أجابت زوي: أوه، من الجيد أنك فعلت هذا. أن السيدة أوفلاهرتي طلبت شاياً ويمكنك أن تنضمَّ إلينا.

فقال: هذا لُطف شديدٌ منك، وبذا يمكنني سماع انطباعك عن المدينة.

لم يكن لدى السيدة أوفلاهرتي الكثير لتقوله في البداية، فقد تكلَّمت زوي عن السيد ألفونس بتعبيرات مُشرقة وجميلة وكان انطباعها عنه رائع، لكن السيدة أوفلاهرتي أرادت أن تحكُم بنفسها. ففكَّرت أنه بالتأكيد رجلٌ حسِنٌ وأدركت مع تقدُّم المحادثة أنه متعلِّم جيداً وسافر كثيراً عبر العالم. وسألته بعض الأسئلة عن باريس التي يمكن أن تكون غامضة على كثيرين لكنه أجابها بطريقةٍ أظهرت أنه كثير الاطِّلاع وحقيقي. وعلى حضور الشاي، كانت تشعُر بالراحة من أن مظهر السيد ألفونس بحقٍّ مثل مَخبره- رجلٌ فرنسيٌّ ساحرٌ مهتمٌّ بصداقةِ من هم مِثله- زواراً للمدينة.

لم يكن لدى زوي أيَّ شكوك على الإطلاق. فتحدَّثت بمرح- وكأنها تتحدَّث لأبيها.

سألها السيد ألفونس: حسنا، ما رأيك في الجنوب؟ قيل لي أنه حار

جداً.

أجابت زوي: إن هذا أول صيف لي في أمريكا، إن السيدة أوفلاهرتي تعرف الجنوب أفضل مني لأنها عاشت هناك سنين عدَّة. فقد عاشت في لويزيانا.

فقال السيد ألفونس: آه، إنني أعرف لويزيانا كرجلٍ فرنسي، أخبريني يا سيدة أوفلاهرتي كيف أتيت لهذه الدولة؟ فأنت أيرلندية على ما أظنّ؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي: أنا كذلك، ومثل زوي عشت في باريس وروما سنين عديدة. كان زوجي موسيقيٌّ ومعلمٌ، وحين مات أتيت للولايات المتحدة. وعشت في هذه المدينة لفترة ثم أخيراً انتقلت للعيش في لويزيانا.

ثم أخبرته عن مزرعة السيدة ترافيللا في فياميد، وأوضحت أنها تعمل مدبِّرة منزلٍ،وخلال حديثها رأت أنه لم يكن مُرتاحاً لمَّا علم أنَّ هذا عملها؛ وقاد التحدُّث عن فياميد للتحدُّث عن عائلة آل ترافيللا ودينسمور وكيف أتت زوي لتقيم معهم.

سأل السيد ألفونس: لما لم تختاري البقاء في روما يا آنسة لاف؟ ثم أضاف بطريقةٍ مرتجِّلةٍ: يمكنني فهم هذا فهي مدينة غاليةٌ جداً.

أجابت زوي: آه، لا، كان يمكنني أن أبقى هناك. فبابا قد ترك لي أرثاً كبيراً أستطيع معه العيش مُرتاحة في روما معتمدةً عليه، لكنه أرادني أن أعود للولايات المتحدة حيث رحَّب بي آل دينسمور والسيدة ترافيللا واعتبروني من العائلة.

فقال: والآن، أنت تعيشين في مزرعة، هل هي كبيرة وجميلةٌجداً ؟

قالت زوي: دائمة الجمال جداً، إن مزرعتا أوكس وأيون كبيرتان جدا، وبالرغم من أنهم يُطلقون عليهم مزارع إلاَّ أن بإمكاني أن أسير أميال وأميال ولا أصِل لنهايتهم.

علَّق السيد ألفونس قائلا: توجد ثروات كبيرة في الأراضي هنا، لقد لاحظت رجالاً أمريكان يكوِّنون ثرواتٍ من الصناعة وبسرعة يشترون أراضٍ وينتقلون للقرى ويبنون منازلاً مثل القلاع لعائلاتهم ويعيشون بها مثل الملوك. يستطيع قلَّة من الناس في أوروبا الآن العيش في قلاع،

للصعوبة الشديدة في تدفئتهم. وأضاف ضاحكاً: لكن البعض قادني للاعتقاد بأن معظم الجنوبيين فقدوا ثرواتهم في الحرب الأهلية.

قالت زوي موضحةً: أعتقد أن آل دينسمور وآل ترافيللا عانوا من بعض الخسائر، لكنهم بارعين في مجال الأعمال، فالسيدة ترافيللا مذهلة بمهارتها، وهي تدير كلَّ أملاكها وأعمالها وكأنها رجل أعمال بارع، كما أنها كريمة بشكلٍ يفوق الطبيعي مع الآخرين.

كانت السيدة أوفلاهرتي تُنصت للحديث باهتمام وحين أدركت أن الحديث عن المال والملاك لا يليق أن تتحدث عنه هي وزوي غيّرت الموضوع بسرعة عن طريق سؤال السيد ألفونس عن ما إذا كان قد ذهب للمسرح أثناء وجوده في المدينة، فأجابها بأنه حضر العديد منها وأمتع السيدتان بالقصص المرحة عن عدد من مشاهير الممثلين والممثلات الذين يعرفهم.

ثم اقترح قائلاً: لقد كانت هذه زيارة ممتعة بحق، لكني آسف لعدم وجود الآنسة ترافيللا، وأرجو أن تسمحوا لي بردِّ كرمِكم الغامر بمثله، عن طريق قبول دعوتي لكما والآنسة ترافيللا أيضاً على العشاء والمسرح يوم السبت القادم إذا لم يكن لديكم أيَّ خططٍ أخرى. لأنكم بهذا ستفعلون بي معروفا كبيراً، فمضيفيَّ آل ديسبارد سيكونون خارج المدينة في عُطلة نهاية الأسبوع، وبالتالي سأكون وحدي، وليلة في المسرح تكون دائما أكثر متعة حين تتشارك مع الرِفقة الطيبة.

كادت زوي أن تثِب من الإثارة لكن السيدة أوفلاهرتي قالت بصوتٍ رسميٍّ غير معتاد: إنها دعوةٌ كريمةٌ يا سيد، لكن يجب أن نستشير الآنسة ترافيللا. أنا متأكِّدة من تفهُّمك للأمر، سنتحدَّث معها حين تعود وهي ستتَّصل بك.

قال ألفونس بابتسامةٍ ساحرةٍ: أنني أفهم تماماً. وأرجو أن تشجِّعوها على القبول. يمكنها أن تكتب لي على عنوان آل ديسبارد. والآن، يجب عليَّ الانصراف.

وانحنى ثم قال: أشكركم جزيلاً على سماحكم لي بمشاركة الشاي معكم وعلى قبول رِفقة شخصٍ غريبٍ تائهٍ.

رقصت زوي من الفرح بعد أن رحلَ وهتفت قائلة: ليلة في المسرح!

أرجو، أرجو أن تقبل "في"! هل تعتقدين أنها ستوافق يا سيدة أوفلاهرتي؟ وما رأيك في السيد ألفونس؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي: أعتقد أنه كريمٌ وممتعٌ في نفس الوقت، لكننا نعرف القليل عنه، وقد تحبِّذ "في" الاعتذار، وأنت لا يجب أن تُصابي بخيبة الأمل إذا فعلت هي هذا.

قالت زوي: سيخيب ظنّي بالطبع لكني أعدُ بأني لن أظهر هذا.

قالت السيدة أوفلاهرتي بابتسامةٍ متفهِّمة: هذا ما سيكون عليك عمله.

قابل السيد ألفونس في حجرة استقبال الفندق رجلاً مدوَّراً قصيراً يرتدي الملابس البنيّة، فسأل الرجل: هل كانت زيارة موفَّقة يا سيدي؟

أجاب ألفونس: جدا، لقد علمت كلَّ ما كنت احتاج لمعرفته. إنها رائعةٌ يا بيجز. إنسانة رائعة بحقٍّ.

سأل بيجز: إذا ستُباشر القيام بخطَّتك؟

أجاب ألفونس بابتسامةٍ عليمة: بالتأكيد،أعتقد أنها ستكون أكثر المغامرات نفعا. تعال الآن، فقد حان وقت تحريكِنا للأمور.وبعد أن عادت"في"

أخبرتها زوي بزيارة السيد ألفونس ودعوته. ولم تُصب زوي بخيبة الأمل لأن "في" قبِلت الدعوة وكتبت للسيد ألفونس مذكّرة تعلنه فيها بقبولها للدّعوة تسلَّم إليه صباح اليوم التالي.

قضت السيدة أوفلاهرتي و"في" بعض الوقت في التحدُّث سوياً مساء ذلك اليوم بعد أن ذهبت زوي للنوم.

ابتسمت "في" قائلة: أعتقد أن صغيرتنا زوي مفتونةٌ بالسيد ألفونس.

قالت السيدة أوفلاهرتي: إنها في هذا السن، كما أنَّ الرجل مهذَّب جداً ومنتبهٌ جداً لها.

سألت "في": كيف هذا؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: آه، إنَّ هذا يظهر بوضوحٍ في سلوكه.إنه يسألها أسئلةً ويُصغي إليها باهتمام. وأنا متأكدة من أن انتباهه هذا شديدٌ جدا لزوي. كما يجب أن نتذكَّر أنها مُعتادة على رِفقة البالغين

الكبار أكثر ممّن هم في سنِّها.

ظنَّت "في" أنها سمعت بعض التردُّد في صوت السيدة أوفلاهرتي لذا سألت: وما هو رأيك فيه يا سيدة أوفلاهرتي؟

فكَّرت السيدة أوفلاهرتي لعدَّة دقائقٍ ثم أجابت أخيراً قائلة: ربما كان كثير الأسئلة عن عائلتك وآل دينسمور، لكن ربما أكون شديدة الحساسية في هذا الأمر، فعلى ما أعتقد كانت أسئلته طبيعية إلى حدٍ ما. لكن على الجانب الآخر، عرف الكثير عنا ومع هذا لم يُخبرنا تقريباً بشيءٍ عن نفسه.

سألت "في" باهتمام: هل تشكِّين في دوافعه؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: ليس لدي سببٌ للقيام بهذا. وأنا متأكُّدة من أنني فقط شديدة الحِرص. فأنا لن أنسى أبداً مدى حزن وأسى زوي عند وفاة والدها. فقد أدركت حينها كم هي حسَّاسة وسيؤثِر أيَّ ألمٍ فيها بسهولة. إنها مليئة بالحيويةِ والثِّقة بالنفس. ولكن من الدَّاخل لا تزال شابة فقدت أهم شخصٍ في حياتها للتوِّ.

هزَّت "في" رأسها موافقة وقالت: إنها معقدةٌ أنهاسُفُسْطائية ومع هذا فإنهاكثيراً ما تُذهلني بحكمة ملاحظاتها، وتبدو أحياناً أكبر مني بسنواتٍ في فهمها للناس، لكن في نفس الوقت، أودُّ أن أضع ذراعي حولها لأطوِّقها وأحميها من أيِّ شخصٍ أو أيِّ شيء يمكن أن يجرحها.

قالت السيدة أوفلاهرتي بتأملٍ: يصعب دائما معرفة مدى حمايتنا للآخرين- خصوصا الشباب. ربما يجب أن نتعلّم من الطيور، فالأم تعلم أن على صغارها ترك العشِّ إذا أرادت لهم أن يتعلموا الطيران.

أجابت "في" بنبرةٍ ناعمةٍ: كان بابا يقول هذا دائما.كما كان يقول أن عليه أن يتعلَّم الطيران أولاً إذا أراد التَّحليق. وأنه صعب على الآباء أن يَخلو سبيل أبنائهم، لكنه تصرفٌ نابعٌ من المحبة.

ذكَّرت كلمات "في" السيدة أوفلاهرتي بقرارٍ يجب اتِّخاذه فقالت: بما أننا نتحدَّث عن إخلاء السبيل،فقد طلبت مني زوي الذهاب وحدها لبعض الوقت غداً. مجرد تمشية قصيرة أمام المحلات. لقد كانت معتادة على تلك الحريَّة في روما، وأعتقد أنها تفتقد استقلاليتها.

قالت "في": أعتقد أنه لا ضرر في هذا، ليس بالليل طبعاً.

قالت السيدة أوفلاهرتي: إنها تريد أن تتمشّى في هذا الحي والمنتزه بعد الظهر.

قالت "في": على أن تقول لك أين تذهب بالضبط وتعود في الوقت المتّفق عليه.

ثم ضحكت قائلةً: إنصتي لي يا سيدة أوفلاهرتي فأنا أبدو مثل أمٍ صغيرةٍ!

قالت السيدة أوفلاهرتي: لا ضرر في هذا يا "في"، ففي يوم ما ستصبحين أماً وستواجهين الاحتياج لاتّخاذ هذه القرارات كلّ يوم. وفي حالتنا هذه،اتخذتِ القرار الصائب. وهذا سيفرح صغيرتنا بحقٍّ.

كتبت "في" قبل أن تذهب لتنام لأخيها إد فقد أرادته أن يعلم أن كلّ شيءٍ يسير على ما يرام، وكتبت له عن تجربتها في عيادة د.فرايزر- وكيف نوت أن تنتهز كلّ فرصةٍ لتكون هناك قبل نهاية رحلتها وكل ما تعلمته من الطبيبة. كما كتبت له عن زيارتهم لآل ديسبارد وارتباطاتهم الاجتماعية الأخرى، وذكرت بغير تفصيلٍ تاجر التحف الفرنسي الذي تكّرم بدعوتها وزوي والسيدة أوفلاهرتي على المسرح ومدى تطلّعهم جميعاً لقضاء هذه الأمسية كضيوف السيد ألفونس. وقالت له أيضا عن مدى تقدّم صحة فيرجينيا وبتسي وتغيّر قلب لوئيس المذهِل، وختمت الخطاب قائلة:

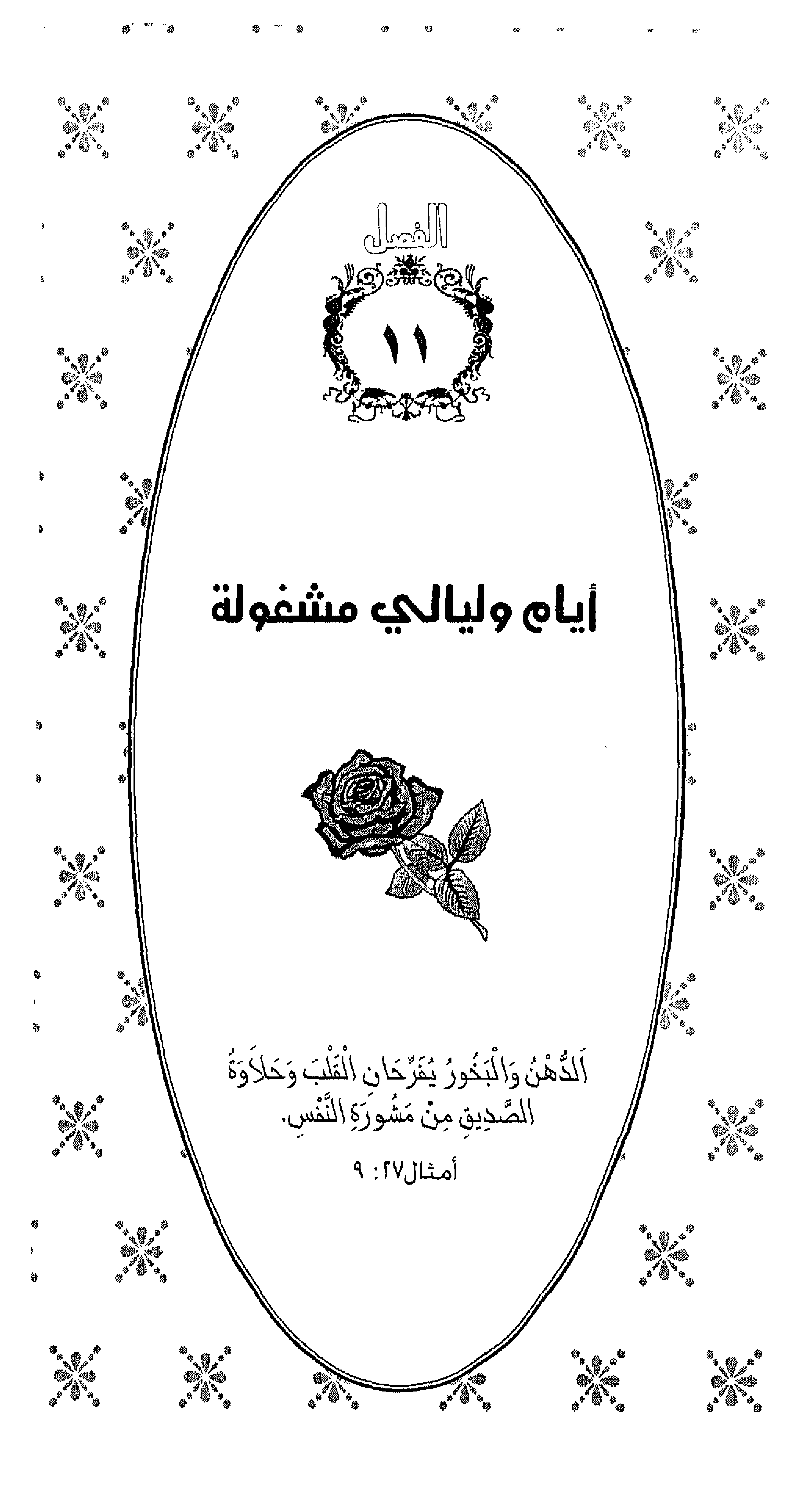
إن زيارتنا لهنا بمثابة رحلة استكشافية غريبة لي. أقضي أيامي في العيادة حيث يوجد أناس لا يجدون سوى القليل الذي يسدّ جوعهم وحيث تعتبر قطعة خبز أو كوب لبن بمثابة كنز، ثم أعود لهذا الفندق الرائع حيث كلّ ما عليّ هو طلب ما أريد فيكون تحت أمري في ثوانٍ. وأزور منازل أُناس تمكّنهم ثرواتهم من الحصول على كلّ الأشياء المادية التي يرغبون فيها وأمنحهم الوقت ليطلقوا عنان محبتهم للفنون والكتب والموسيقى. إن الأمر يبدو وكأني أسافر بين كوكبين مختلفين تماما، ومع هذا فالناس الذين أقابلهم في الكوكبين لا يختلفون عن بعضهم كما يعتقدون.

كنت أظن لوقتٍ طويلٍ أنني مدعُوّة لمساعدة الناس، لكن الناس الذين في العيادة هم الذين يساعدونني! ففي كلّ يوم أرى بوضوح

شجاعتهم في مواجهة مثل هذه الصِّعاب المهولة. ليس كل الناس الذين هناك مؤمنين، لكن لدى معظمهم نوع من الإيمان يَنقِل الجبال. ورجائهم لا يلين حتى في أحلكِ

الظروف. ومع ذلك فالفجوة بين الناس الذي معهم والذين ليس معهم تبدو أكبر من أن تُسَدَّ ، لكننا نعلم أننا واحد! والرسول بولس يشرح هذا بوضوح في 1كورنثوس " لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً.لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً.- وأنا أرى هنا يا إد أكثر من أيِّ وقتٍ مضى أهمية كل واحد منا للآخرين.

تقول د.فرايزر أنَّ الرب منحني هذه الفرصة لأختبر التزامي وأرى طريقي بأكثر وضوح. لقد نوَت أمي أن تكون هذه الرحلة أجازة لزوي ولي، وهي كذلك. لكني أعلم أن الله نوَى بها أكثر من هذا بكثير، فقد كانت في خطَّته أن نعثُر على فيرجينيا وبتسي، وفي خطَّته أن نقابل د.فرايزر. وفي حكمته السرمدية أوصلنا لنُقط تحوُّلٍ ونقوم باختيارات. أشعر بطريقة ما أنني قريبةٌ من نقطة تحولٍ في حياتي، وأن الوقت قد حان لأختار الاتجاه الذي ستأخذُه حياتي. صلِّي لأجلي يا إد من فضلك، لأنني أريد أن أرى خطَّة الله لحياتي واتَّبع طرقَهُ بحقٍّ. وأرجو أن يكون لنا وقت لنقضيه معا في حديث ممتعٍ وطويلٍ حين أراك المرة القادمة مثلما كان يحدث دائما حين كنا نحيا معا في منزلنا. وأنا أشعر بالاطمئنان حين أنظُر لمستقبلي وأفكِّر فيه، لعلمي أنَّ لديَّ أخي إد وماما ليساعداني على اتِّخاذ القرار والاختيار الصحيح.



الفصل

١١

أيام وليالي مشغولة

اَلدُّهْنُ وَالْبَخُورُ يُفَرِّحَانِ الْقَلْبَ وَحَلاَوَةُ
الصَّدِيقِ مِنْ مَشُورَةِ النَّفْسِ.

أمثال٢٧: ٩

وهكذا تَوالت الأيام حتى، بدَتْ الخمس أيام التالية وكأنها تطير. فقدكانت "في" تقضي جزءاً على الأقلّ من كلّ يوم في العيادة، تقوم بكلّ ما تطلبه منها د.فرايزر. كما تناولت عشاءها معها في العديد من الأمسيات، وكانت محادثتهما تدور بشكلٍ أساسيٍّ حول العمل في العيادة والمظاهر العملية في الخدمة الطبية. لكنهم تحدثوا أيضا عن بعض اهتمامات الطبيبة الأخرى، وعلِمت "في" عن حركة السيدات للمطالبة بحقِّ الانتخاب وعمل السيدات عبر الدولة لتأسيس خدماتٍ للفقراء.

سألت "في" أحد الأمسيات وهما يستمتعان بتناول القهوة بعد واحدةٍ من وجبات أماليا البسيطة والمشبعة: هل تؤمنين بأن الحصول على حقِّ الاقتراع سيمكّن السيدات من التأثير على القرارات التي تتّخذها الحكومة؟

قالت أماليا: إنها الخطوة الأولى. فأنا أؤمن بأنَّ لدى السيدات الكثير ليمنحوه.فلقد كانت الزوجات باستمرار قادرات على التأثير على أزواجهن وأبنائهن وأخوتهن-. لكن حتى الآن، لم تسنَح للسيدات الفرصة لرفع أصواتهن في المجالات العامة. إن الحصول على حق الاقتراع سيمنحُنا الاعتراف بأن جميعنا مواطنين لهذه الأمة العظيمة، رجالاً ونساء أعلى حدٍ سواء.

تساءلت "في": هل هذا سيحدُث تغييرا؟

أجابت أماليا: أنا أؤمن بحق أنه سيحدُث تغييراً، فكزوجات وأمهات وأخوات وبنات كانت لدينا دائما، كسيدات، رُؤىً مختلفة لأزواجنا وأولادنا وأخوتنا وأبنائنا. فإذا شاركت السيدات في صنع القرار، أؤمن بأننا سنستطيع خلقَ توجُهٍ أكثر توازناً من نحو حلّ المشاكل التي نُواجهها كلنا. على سبيل المثال يعتبر عمل الأطفال ذنبٌ يرتَكِبه المجتمع. فالأطفال مثل مايكل، الصبي الذي أصيب إصابةً بالغةً في المغسلة، يجب أن يُحمى. يجب أن يسمح لهم بالتمتّع بطفولتهم وأن يمنحوا كلَّ فرصةٍ

للنُّمو أقوياء وأصحاء وكذلك أن يتعلَّموا. فإذا زاد عدد السيدات اللاتي يفهَمن نوعيَّة الحياة التي يحياها طفل في حيٍّ فقيرٍ في المدينة، أعتقد أنهن سيُطالبن بالتغيير.

كانت أماليا تتحدَّث عن هذه الأمور بمحبةٍ وانفعالٍ شديدَيْن، وهذا ما أثَّر جداً بنفسِ "في". كماحكَت أيضا الطبيبة ل"في" عن طفولتها وشبابها والصِّعاب التي واجهتها حين قرَّرت أن تصبح طبيبة. ثمَّ غيَّرت أماليا حديثها قائلةً

بنصف ابتسامة: توجد الكثير من الخرافات حول السيدات، وعليك أن تُحاربي جميعهم،إنَّ أسوأ ذلك هو اعتبارنا أضعف في العقل والتفكير عن الرجال وبالتالي فتعليمنا مضيعةٌ للوقت والمجهود وكلِّ شيءٍ.

سألت "في": هل الناس يفكِّرون هكذا فعلا؟ ففي عائلتي، لم يقترح أو يلمِّح أحدٌ أبداً بأني أو أخواتي أقلّ قدرةٍ في التعلُّم عن أيٍّ من أخوتي.

أجابت أماليا بتنهيدةٍ: إنك محظوظةٌ جداً. فأبي، الذي كان أعزَّ رجلٍ في حياتي، لم يستطع تفهُّم رغبتي في أن أصبح طبيبة وظنَّ أنها مجرد نزوةٍ ستزول ما إن أجد لنفسي زوجاً صالحاً. وكانت أمي من شجَّعني- ومرجريت أيضا- لأستفيد أكبر استفادة من عقلي ومواهبي. لم يُقرّ أبي أبداً بأنه يُوافق على مهنتي، لكنه يحب ويحترم أمي، لذلك أذْعن في النهاية.

توقَّفت أماليا لعدَّة لحظاتٍ وابتسمت لنفسها ثم قالت: كان في النهاية فخوراً باختياراتي. لم يكن ليقول لي هذا أبدا، لكنه قاله لأمي لأنه كان يعلم أنها ستقول لي وقد فعلت. لم يعِش ليرى هذه العيادة، لكني أتساءَل عمَّا سيكون رأيه فيها. أعتقد أنه كان سيعنِّفُني على إضاعة أموالي وأيضا على عدم ذهابي للحفلات لأقابِل الشباب الصالح. ثم بعد ذلك وكما أتوقَّع كان سيكتُب شيكاً بمبلغ كبير لعملي.

ثم اقتبست أماليا من الإصحاح التاسع عشر لإنجيل متى الآية القائلة:

"وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ".

اتَّسعت عينا "في" وهتفت: كنت أقرأ هذه القصة بعينِها مساء أمسِ. وأجدُني أشعر بالقلق حين أذكِّر نفسي بما قاله يسوع عما يجب أن يعمله

الشاب الغني.و أقلق من عدم استطاعتي التخلّي عن كلّ شيءٍ لديَّ لأخدُم الآخرين. فقد رأيت، حين كنا في روما في الصيف الماضي، شيئاً عما يَعنيه أن تكون فقيراً في مدينة كبيرةٍ. لكن هنا في هذه العيادة وهذا الحي، تعلّمت أكثر بكثيرٍ عن حياة الناس الذين ليس لديهم سوى أقلّ القليل. لقد كتبت لأخي عن هذا حديثاً. وقلت له كيف أنني أشعُر هنا، في نيويورك، بأنني أحيا في كوكبين، أسافر فيما بين العالم الرائع لحفلات الشاي والعشاء الفاخرة والناس الرائعين، وعالم الفقر والمرض والظلم. ويجب علي أن أختار واحد من الاثنين، وأنا غير متأكّدة من قدرتي على القيام بهذا الاختيار.

مالت أماليا للأمام وقالت: تذكّري ما قاله يسوع للشاب الغني"إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي".لقد درست هذه القصة جيدا جدا حين قرّرت العودة من باريس وفتح عيادتي هنا. وبصراحة، كان ثراء والديَّ هو ما منحني فرصة دراسة الطب هنا والسفر كذلك لباريس للدّراسة. وكنت على يقين في قلبي بأني أتّبع طريق الله، لكن إذا تخليتُ عن كل ثروتي، كيف يمكن حينها أن أخدم الفقراء؟ فبدون مال، كيف يمكن أن أُدير هذه العيادة؟ بدتْ الأمور حينها كمعضلةٍ كبيرةٍ، حتى أدركت ما كان يسوع يقصد قوله لنا بحقٍّ. عتقد أن يسوع، حين وجه الشاب الغني لبيع أمواله، كان يقول أنَّ الثروة مسئولية، وليست هبةً ليتمتّع الثريُّ بها فقط. كان على الشاب أن يقوم باختيار- إما أن يتّبع الرب أو يتمسّك بممتلكاته. كان يسوع يتحدّث عن عمق إيمان الرجل، لا حجم مدّخراته في البنك. هل الشاب على استعداد للتضحية بكنوز هذا العالم ليربح كنوزَ العالم الآتي؟.

قالت "في": قرأت هذه الآيات عدّة مرات وأظنُّ أنَّ يسوع كان يحب هذه الشاب محبةً كبيرة. وكثيرا ما تساءلت لماذا مضى الشاب بعيداً، هل لمجرد كوْنه شديد الطّمع؟

فكّرت أماليا للحظة ثم قالت: ممكن، لكن بشكل ما لا أعتقد هذا. فنحن نعلم أنه مضى حزيناً. وأرجّح أن المشكلة كانت تكمُن في أنه كان يعرِّف نفسه بأمواله. وأنا أعلمُ الكثير جدا من الناس على هذا الحال. إنهم لا يحبون الثروة لذاتِها لكن لفوائدها هنا على هذه الأرض- مثل

المركز الاجتماعي والامتيازات الخاصة والاحترام الذي يحظَى به الأغنياء لمجرد أنهم أغنياء. إنهم لا يفهمون أنهم لا يحتاجون للتنازُل عن كلِّ شيءٍ حرفيا، لكن الله يريدهم أن يتخلَّوْا عن كلِّ ما يربطهم بهذا العالم المادي، لأنَّ المال والأشياء المادية لا تمنح رجاء الخلاص الأبديّ. مثل هؤلاء يعانون من فقر النفس لأنهم لا يتخيَّلون حياةً أبعد من ممتلكاتهم. ربما كان الشاب خائفاً من كيفية تعامل الناس معه إذا تخلَّى عن ممتلكاته الأرضية. وربما كان يشعر بأنَّ ثروته تجعل منه شخصاً خاصاً. ونسي أنَّ كلَّ شخصٍ خاصٍ لدى ربنا.

قالت "في" مُكملة لفكر أماليا: أراد الشاب الحياة الأبدية، لكنه لم يستطع النظر أبعد من حياته الأرضية. كان عالقٌ بما فيه مثل حيوانٍ مغروسٍ في الوحلِ لم يستطع معرفةَ الطَّريق الصحيح؛ وهكذا فلم يكُن ذلك الشاب مستعداً لفتح قلبه كلِّه للرّب.

علَّقت أماليا قائلةً: لكن يسوع لم يعنِّف هذا الشاب ، بل نظر إلى قلبه وأدرك مدى صعوبة الصِّراع الذي كان يكتنِفه. ولهذا لم يطلب يسوع من الشاب أن يتخلَّى عن كلِّ أمواله فقط لكنه عرض عليه أيضا طريقٌ جديدٌ- هدفٌ جديدٌ في الحياة. لم يخبرنا الكتاب المقدس عما فعله الشاب في النهاية، لكنه إذا اختار الفداء والحياة الأبدية، يمكننا التأكُّد من أن يسوع سيكون بجانبه ومعه ليريه الطريق.

قالت "في" متأمِّلة: إذاً، الصعوبة تكمُن في الهدف الذي تُستخدم فيه الثروة.

ابتسمت أماليا مرة أخرى وقالت: لا أظنُّ أنك تحتاجين لاختيار بين واحد من الكوكبين اللذين تكلَّمتِ عنهما يا "في". تذكَّري ما كتبه بولس لتلميذه تيموثاوس عن أنَّ محبة المال أصْل لكلِّ الشرور.وأنت لا تحبين المال يا عزيزتي، أنت تحبين الرب وتريدين اتِّباعه عن طريق خدمة الآخرين. وقد قُمت بالفعل باتِّخاذ أهم اختيار في حياتك عن طريق اختيارك عيش إيمانك أينما وجَّهك الرب. ولا أعتقد أنه توجد وصايا ضدَّ أن نمتِّع أنفسنا أحيانا. وأضافت الطبيبة ساخرةً: فلو لم تقبلي دعوة مرجريت على العشاء في دومينيشي لمَا تقابلنا ولما أصبحنا أصدقاءاً أبداً.

وافقت "في" قائلة: هذا حقيقي جدا. ولكن مع هذا، لا أستطيع

منع نفسي من الإحساس بالذّنب بشكل ما، لمعرفتي بكمٍّ المعاناة التي يتحمَّلها العديد من الناس كلَّ يوم. لقد فتحت عينيَّ على المعنى الحقيقي للفقر، ومع هذا لا أعانيه.

حرّكت أماليا يدها في حركة رافضةٍ وقالت: الشعور بالذنب لن يحقِّق أيَّ شيءٍ يا "فيِ". كطبيبة أحتاج للتعامل مع فشلي طوال الوقت. فحين أتوْا بمايكل هنا، فعلت كلَّ ما أستطيع لإنقاذ ذراعه. ومع هذا، لم أستطع، كما لم يستطع الجراحين. وشعُرت بالإحباط لأنَّ مهنتي ليست متقدِّمة بعد حتى نتمكَّن من إصلاح وعلاج الإصابات المُميتة. وشعرت بالغضب من ظروف العمل الفظيعة التي تتسبّب في مثل هذه الحوادث. لكنني لم أشعر بالذّنب لمعرفتي أنني بذلت أقصى جهدي لإنقاذ هذا الصبي. وفي كلِّ يوم، عليَّ أن أميِّز بين الأشياء التي بإمكاني التَّحكُّم فيها والسيطرة عليها وتلك التي خارج سيطرتي. فإذا شعرت بالذّنب نحو الأشياء التي لا أستطيع التحكُّم فيها، فإني لن أكون طبيبة تُذكر، لأن الذنب الذي في غير محلِّه يجعلنا جُبناء وخائفين.

توقَّفت أماليا للحظة لتشرب قهوتها ثم قالت: لقد باركك الله وعائلتك بوفرة الممتلكات المادية، وهو لديه أسباب لهذا. وهذه هي النقطة التي يجب أن تبدئي منها- الثِّقة في هدفك . ليس ما تملكين بل ما تفعلين بما تملكين. فالشعور بالذنب لأن لديك أكثر من الآخرين لا يساعدهم بشيءٍ.توجد أوقات يجب أن نشعر فيها بالذنب بالطبع، حين نكسرُ وصية الرب بأن نحب أحدنا الآخر مثلا، أو أن نستخدم ثرواتنا لضررٍ أو خداع - هذه أشياء يجب أن تشعرنا بالذنب. لكن أن نشعر بالذنب لأنه منحنا مميزات معناه الشك في هدفه، أليس كذلك؟ إن الله منحك القدرةفى العُثور على الفرح في هذه الحياة وفي وعد الحياة الأبدية معه. أليس هذا ما تودِّين مشاركته مع الآخرين؟ أليست ثروة عائلتك، والتي ستصبح ثروتك في أحد الأيام، تعتبر أداةً إضافية لتحقيق هدف الله ومشاركة فرح معرفته؟

كانت أسئلة أماليا تدور في رأس "فيِ" حين غادرت العيادة ليلتها، لأنَّ أماليا فتحت لها مستوىً جديداً للفهم. كانت "فيِ" تثِق دائما في قيادة الله لها للطريق الصحيح. لكنها أدركت الآن أنها بالفعل في هذا الطريق- وأنها كانت فيه منذ ولادتها. وكأنَّ لمبةً مُنيرة أُضيئت. وأُضيئ معها المدى

الكامل للبركات التي قد منحها لها الله: والداها وعائلتها وتعاليمهم. والتعليم الذي حصلت عليه ليس فقط من الكتب بل أيضا من فرص السفر ورؤية كيف كان الآخرين يحيَون. وفرصة اختبار أفراح وأحزان الحياة. فطريق حياتها قادها لهذه النقطة.

فكانت صلاتها تلك الليلة مليئةً بالإثارة فقالت:

نعم، آه، نعم! أثق في هدفك يا أبي السماوي الحبيب! أعرف أنني سأرتكب أخطاءاً، ربما أخطاءاً كبيرةً أيضا. لكنك منحتني الوسائل للقيام بما هو صواب واتِّباع الطريق الذي وضعته أمامي. أفهم الآن! أنّ لكلّ شخصٍ طريقٍ مختلفٍ، وأنَّ على كلً منا أن يعثُر على طريقه. وأنك تُنير طريقنا. آه، كم مجيدة خطَّتك لنا يا أبي العزيز!فكلُّ حياةٍ تتَّبع مسلكاً مختلفاً، ولا يمكنني افتراض ما هو الأفضل للآخرين. والشعور بالذنب لأنَّ حياتي تبدو أسهل من الآخرين مثل أخذ دوَران خطأ يجعلني خائفة ويأخذني بعيدا عن هدفك لحياتي. أشكرك يا الله على مساعدتك لي على الرؤية بأكثر وضوحٍ ما تَعنيه بحق الثِّقة في محبتك اللانهائية وحكمتك. وهكذا ومع تحديد الهدف ورؤية الطريق بوضوح أكثر،

لم تعد "في" ممزقةً بين العالمين الذي كانت تختَبرهم في نيويورك، بعد أن نشِطت وتقوّت بالأفكار الجديدة والصلوات التي أوْمضتها أماليا من خلال حديثهم الأخير معا.فالانتعاش الذي شعُرت به في العيادة بمراقبة د.فرايزر والتعلُّم منها،وهذا لن يقلِّل بأيِّ شكلٍ عن متعة قضاء أمسية في الأوبرا مع السيد والسيدة فيليبس أو ظهيرة مع السيدة فانجلت. في الحقيقة، كانت "في" على نهاية الأسبوع متحمِّسة بمثل تحمُّس زوي لدعوة السيد ألفونس على العشاء والأوبرا.ولمَّا تقابلا

ذهبت كل مخاوف وشكوك "في" التي كانت لديها عن السيد ألفونس أدراج الرياح سريعاً. فالسيد ألفونس كان شديد الحرص على مُراعاةالذَّوق أكثر من أيِّ شخصٍ عرفوه. والمسرحية التي اختارها كانت كوميدي خفيف وكما علَّقت السيدة أوفلاهرتي ل"في" قائلة: أنها مناسبة تماماً لفتاة في سنِّ زوي.

وفي العشاء تعرَّفوا أكثر قليلا عن السيد ألفونس. فقد قال أنه درس ليكون رساماً، لكن وحسرتاه لم تكن لديه الموهبة ليكون رساماً عظيماً.

لذا أصبح تاجر تحف ولوحات فنية ودارسٌ لتاريخ الفنون.

سألته زوي في نقطة ما في الحديث إذا كان قد رأى رسومات فنان يدعى ليستر ليلاند.

أجاب السيد ألفونس: بالطبع، إنه الفنان الأمريكي الشاب الذي يحيا في روما. إنه لم يصبح شديد الشُهرة بعد. لكني رأيت بعض لوحاته في معرضٍ صغيرٍ في باريس. لديه أسلوبٌ متفرّد، أعتقد بل وأؤمن أنه سيحرزُ نجاحاً باهراً قريباً. لكن كيف عرفته؟

شرحت له "في" أنه متزوّج من أختها.

فسأل: هل أختك شابة جميلة بشعرٍ بُنّي ذهبي وعينين بُندقيّتين؟

وما أن قالت "في" أنها كذلك، حتى صفّق السيد ألفونس بيده مرحاً وقال هاتفاً: إذن لقد رأيت صورتها! لقد كانت الصورة معلّقة في المعرض، لكنها لم تكن للبيع. وصاحب المعرض أخبرني بكلّ تشديد أن السيد ليلاند لن يبيع الصورة بأي مبلغ من المال. والآن بعد أن عرفت أنها زوجته، يمكنني تفهُّم الأمر. لم تنقضى تلك الأمسية بسلام فقد

حدث شيءٌ واحدٌ صغيرٌ نغّص هذه الأمسية التي كان يمكن أن يقال عنها أنها مثاليةٌ ورائعةٌ. فأثناء دخولهم المطعم ظنّت "في" أنها لمحت السيد بيجز واقفٌ خلف أحد أعمدة المدخل للحظة ثم اختفى. فبفضولية سألت السيد ألفونس إذا كان زميل عمله سينضمٌ إليهم على العشاء.

فأجاب السيد ألفونس: أنه لا يشعر بالراحة وسط التجمّعات الاجتماعية. وكما لاحظت بالتأكيد حين كنا عند آل ديسبارد. فالسيد بيجز ليس لديه ما يُدعى بموهبة الحديث.

افترضت "في" بالطبيعة أنها كانت مخطئةً، وأنها رأت شخصاً يُشبه السيد بيجز. ولم تُدرك أنّ السيد ألفونس لم يجِب على سؤالها إلا بعدها بعدّة أيام.



الفصل

١٢

سبب للقلق؟

لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ
وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ.

فيلبي٤: ٦

وصلَ كل من كال وآرثر يوم الثلاثاء التالي وبعد أن فحصَ آرثر أخته وطفلتها أعلن أنهما في حالة صحيةٍ تسمح بالسفر. ودَّت "في"لو يبقى أبناء عمومتها عدَّة أيام أخرى ليشاهدا المدينة، لكن لم تكن زيارتهما سوى لقضاء الليل، فقد كانوا متشوِّقين للعودة لروزلاندز.

وفي صباح اليوم التالي، حضرت لوئيس إلى حجرة "في" أثناء تحضير الباقين لحقائبهم وبدأت بالقول: أودُّ أن أشكرك مرة أخرى يا عزيزتي على كلِّ ما فعلت. فقد كنت فتاةً شُجاعة ومتسامحةً أيضا. وأنا نادمةٌ على أني لم أبذل الجهد أبداً لمعرفتك أنت وأخوتك وأخواتك أثناء نموِّكم.

كادت "في" أن تقول شيئا لكن لوئيس أمسكت بيدها وأكملت قائلة: لديَّ الكثير لأعدِّله وأحسِّنه. أنا أعلم أنه لن يغفر لي الجميع، لكني سأفعل كلَّ ما أستطيع للحصول على الغفران، وأنا أعلم أن ربنا سيساعدني.

قالت "في" برقةٍ: لقد كنت أنت أيضا شُجاعة يا عمة لوئيس، فلو لم تكوني مُصرَّة على العثور على فيرجينيا-.

قاطعتها لوئيس بالقول: لا أستطيع تحمُّل فكرة كثرة عدد المرات التي أردت فيها العودة ذلك اليوم. لكنك أصررت وأكملت، لأنك وثقت بقلبك يا "في"، ولهذا السبب أصبح لديَّ فيرجينيا وبتسي.

. لقد منحني الله فرصة ثانية، لأدرك معرفة محبة الله لكلِّ أبنائه. وسأصبح بناءاً عليها لحفيدتي ما فشلت في أن أكونه لأبنائي.

قالت "في" وصوتها يختنق: لا توجد عطيَّة أعظم من هذه.

منحتها عمتها حضناً دافئاً وقالت هامسةً: أشكرك يا "في" ولن أنسى أبداً لُطفك معي حين لم أكن أستحقه.

فقالت "في": إنني أحبك يا عمتي لوئيس، أحبك بحق.

فحضنت لوئيس "في" بقوةٍ أكبر، وبعد عدَّة لحظات تراجعت لوئيس وقالت: نحن الاثنان نحتاج لمسح دموعنا.وسحبت منديلاً حريراً من كمِّها وأكملت: واحدة من أوائل الأشياء التي سأقوم بها حين أصِل

للمنزل هي رؤية والدتك. فأنا أريدها أن تعلم ما فعلتيه لنا وكم يعني هذا لي- بل لجميعنا.

قالت "في": قولي لها فقط أننا بخير وأننا نتطلّع لعودتنا للمنزل. فقط قولي لها كم أحبها وأفتقدها.

قالت لوئيس: سأقول لها يا عزيزتي، وأكثر من هذا بكثير. ومسحت لوئيس الدموع من عينيها ونفضّت تنّورتها قليلاً وأكملت: كان من الواجب أن ألبس ملابساً ذات ألوان أكثر إشراقا، فلديَّ الكثير لأفرح لأجله، ربما حين تعودون لأيون تستطيع السيدة أوفلاهرتي مساعدتي في القيام ببعض التّسوق. إنها رفيقٌ رائعٌ بحقٍّ. وأستطيع رؤية لماذا تحبونها هكذا يا بنات.بل أستطيع رؤية الكثير من الأشياء الآن والتى لم أكُن أراها من قبل أبداً.

سمعوا دقّاً

على الباب، كان

كال كونللي أكبر أبناء لوئيس فدخل الحجرة وقال: يجب أن نذهب الآن يا ماما وإلا لن نلحق بالقطار.

مدّت لوئيس ذراعيها ل"في" مرةً أخرى وقبّلت وجنتيْها ثم غادرت.

لكن كال وقف لدقيقةٍ بعدها وقال: أشكرك يا "في"، إنني لست دائما قوي الملاحظة كما يجب أن أكون، لكني لاحظت أخيرا أن ابنة خالي قد أصبحت فتاةً

جميلةً رائعة، وأرجو أن تعلمي أنّ عائلتي ستُشفى الآن،بفضل ما حقّقتيه أنتِ"في"

قالت "في" بابتسامةٍ مشرقةٍ: لديَّ إيمان بأنَّ هذا سيحدُث. ثم تحوّلت تعبيراتها للجدِّية وسألت: هل لديك أيَّ خططٍ للبحث عن السيد نيوفيل؟

ارتفع حاجِباه فقال: لقد تحدَّثت مع آرثر بهذا الشأن، لكننا قرّرنا عدم السعي وراءه. في الحقيقة يا "في"، أخشى مما يمكن أن أفعله إذا قبضتُ على هذا الأفّاق.و قد يوجد لدينا بعض الأسباب للبحث عنه في المستقبل. فهو والد الصغيرة بتسي على أيّة حال. لكني آمل آلا نضطّر لهذا. كما آمل ألاّتضطّر فيرجينيا لتذكّره مرة أخرى.

قالت "في": لكنها لن تنسى كلّ ما مرّت به.

فقال كال متأمِّلا: بالطبع لا، لن تنسى، لكنها تحتاج لأن تغفر لنفسها.

ابتسمت "في" قائلة: لقد قامت هي والعمة لوئيس ببدايةٍ طيبةٍ. فقد وجدوا الرب مرة أخرى، كما تحب والدتك أن تقول. وهو سيساعد فيرجينيا، لقد كانت شجاعة جدا، ومستعدَّة للتَّضحية بنفسها في سبيل ابنتها.

ابتسم كال مرةً أخرى وقال: هذه الطفلة بركة لنا جميعا يا "في". فلا تقلقي الآن، فنحن أصبحنا عائلةً ومعا الآن، كعائلةٍ في الإيمان. ألاتنزلين معنا الآن لتودِّعينا؟

قالت "في": بكلِّ سرورٍ. ووضعت ذراعها في ذراعه وغادرا الجناح. وأخبرها كال أثناء نزولهم على السلالم ما كان يحدث في الجنوب. فوالدتها وأختها وأخواتها كلُّهم بخير. وكان الخبر العظيم هو أخذ داني الصغير لدروسٍ تعلُّم القفز من على مُهره.

قال كال وهما يقتربان من حجرة استقبال الفندق: يجب أن تشاهديه ، فحين يأخذ داني تلك القفزات المنخفضة يبدو كمجسَّم صغيرٍ جدا لوالدك.

تنهَّدت "في" قائلة: إنك تُصيبني بالحنين للمنزل.

فقال ابن عمتها: نحن جميعا نفتقدكم.ثمَّ قبَّلها على قمَّة رأسها ومشى نحو أبواب الفندق ولوَّح لها مودِّعا وقال من بعيد: مع السلامة.

تبِعته "في" حتى الخارج وراقبته وهو يركب المركبة المنتظرة له مع أمه وأخته وابنتها وأخيه. فلوَّحت لهم "في" مودِّعة بقوةٍ أثناء سير المركبة في الشارع المزدحم، وظلَّت تلوِّح حتى اختفوا عن الأنظار.

كانت السيدات الثلاث تجلسْن في حجرة جلوس الجناح، لكن كلاًّ منهُن تقوم بشيء، كانت "في" تحاول قراءة كتاب، لكنها كانت مشغولة الفكر بعائلتها وقضاء الصيف حين تعود لأيون لذا لم تستطع التركيز في الصفحة التي كانت تقرأها. وكانت السيدة أوفلاهرتي تقوم بِرتقِ ذيل تنُّورة لكن بعد خياطة بعض الغُرزِ توقَّفت وإبرتها في الهواء وسرحت بعينيها. وكانت زوي تتصفَّح أحد المجلات بلا هدف وقالت فجأة: إنني أفتقد عمتك لوئيس بحق، وفيرجينيا وبتسي.

وضعت "في" كتابها جانبا وقالت: كنت أفكِّر في المنزل.

فوافقت السيدة أوفلاهرتي قائلة: وأنا أيضا، لكن يجب ألا نسمح



لأنفسنا بالاكتئاب يا بنات، فلازال أمامنا عشرة أيام هنا في نيويورك وهناك الكثير لنراه.

تقدَّمت زوي في جلستها للأمام وشبَّكت يدها وقالت: إننا مدعوُّون جميعاً لقضاء فترة بعد الظهر عند آل ديسبارد. هل ستأتي يا "في"؟ إن المكان هناك دائما مرحاً.

أجابت "في": لقد قلت لد.فرايزر إنني لن أتمكَّن من الذهاب للعيادة اليوم بسبب أمورٍ عائلية.

فهتفت زوي: آه، حسنا. إذاً يمكنك المجيء معنا! أنا أعلم أن السيدة ديسبارد ستُسرُّ بهذا. فهي دائمة السؤال عنك،وأنا أخبرتها عن ذهابك للعيادة لمساعدة أختها. إن السيدة ديسبارد تقول أنها لا تفهم لماذا تبذُل أختها كلَّ هذا الجهد، لكنها معجبةٌ بحقٍّ بما تقوم به أختها لمساعدة الآخرين. إنهما مختلفتان تماما، أليس كذلك؟ كنت أظنُّ أنَّ الأخوات تتشابه كثيرا.

قالت السيدة أوفلاهرتي: هذا ما يجعل العائلات ممتعةٌ جدا يا زوي، فالناس فيهم أفراد متفرِّدين لذا لا يمكن التَّنبؤ بما سيكون عليه كلٌّ منهم. تعالي الآن لِنختَر لك الثوب الذي ستلبسينه. فالسيد مريوثر سيحضُر هنا في الثالثة ليوصِّلكما.

لم يكن التَّجمع عند مرجريت رسمياً كما كان في المرة الأولى التي قامت فيها "في" بزيارتها. كانت هناك خمس سيدات كلُّهن كالسيدة ديسبارد، وكانت المحادثة خفيفة،و كما ظنَّت "في"، فانضمَّت إليهِن بسرور.

وصل السيد ديسبارد في الرابعة وبعده بقليل السيد ألفونس والسيد بيجز خلفه تماما. فأتى لذِهنِ "في" صورة السيد بيجز كالرجل السَّمين الذى يرتدى الملابس البنِّية ودوماً فى كعبِ سيده.

فقدت "في" تتبُّعها للسيد بيجز وذلك لحضور ثلاث رجال آخرين، كانوا أزواج لثلاثٍ من السيدات الموجودات. وكان تجمعاً بهيجاً كما سمعت الكثير من الضحكات في الرَّدهة. كانت "في" تتحدَّث لشابتين غير متزوِّجات حين انضمَّت إليهم مرجريت وتحدَّثوا جميعاً معاً لبعض الوقت، حتى قالت السيدة ديسبارد: لدي شيء أودُ أن أريك إياه في المكتبة يا "في". وباعتذار مؤدَّب لباقي ضيوفها، أمسكت بيد "في"

وذهبت بها لحجرةٍ أنيقةٍ مبطَّنة بالخشب مُقابلة للرَّدهة. نظرت "في" حولها على حائط به مكتبة ممتلئة من مجلدات الكتب المغلفة بالجلد. ثم رأت لوحةً مرسومةً على حامل افترضت أنها ما تريد السيدة ديسبارد أن تُريها إياه. لكنها لم تلاحظ أنَّ السيدة ديسبارد قد أغلقت باب غرفة المكتبة ورائهما.

قالت "في": أنها حجرة رائعة.

أجابت السيدة ديسبارد: نعم، إنها كذلك. قالتها وهي شبه مغيَّبةً عن الوعي ثم أكملت: في الحقيقة. ليس لديَّ ما أُريك إياه. لقد أردت بعض الدقائق معك وحدنا. لوجود شيء أحتاج مناقشته معك. قد تكون مشكلة.

أكملت السيدة ديسبارد أمام نظرة "في" المتعجِّبة والمتسائلة. إنَّ ضيفنا السيد ألفونس أظهر إعجابه واهتمامه بزوي، لم يبدى أيَّ اهتمامٍ في البداية بالأمر لأنَّ الأمور بدَت طبيعية، فخلفية زوي أوروبية مما جعل الكثير مشترك بينهما، وليس كما كنت أظنُّ بحق أنَّ السيد ألفونس يعتبرها أختاً صغرى له. فحين أتت زوي لتناوُل الشاي في الأسبوع الماضي سمعتُ بالصُّدفة محادثةً أقلقتني كثيرا. أنا ليس لديَّ عادة أن أسْترقَ السَّمع لكنني كنت أبحث عن فرانسوا وأتيت لهذه الحجرة حيث كان الباب مفتوحاً جزئيا، وسمعت صوته وصوت زوي، كنت على وشك الدُّخول، لكن ما سمعته استوقفني.

كانت تعبيرات "في عند هذه النقطة قد أصبحت في منتهى الجدِّية فسألت: ما الذي سمعتيه يا سيدة ديسبارد؟

قالت السيدة ديسبارد: أحب أن أذكِّرك بأني سمعتُ جزءاً من المحادثة وقد يكون بريئاً تماما.

كان استياؤها واضحاً وتردَّدت لبعض ثوانٍ ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت: كان فرانسوا يقول. أعتقد أنَّ بإمكاننا أن نقوم بهذا دون أن يعلم أحد. لقد أعددتُ كلَّ الترتيبات. ثم قالت له زوي كم كان ماهراً في الحفاظ على الأسرار في حين لا تستطيع هي الإبقاء على أيِّ سرٍّ. وفي هذه اللحظة، حذَّرها فرانسوا من أنه من المهم جدا ألاَّ تعرفي أنت ولا السيدة أوفلاهرتي بالأمر، كما لا يجب أن تشُكَّا في شيء. وقال أنَّ الأمر سيحتاج لبعض أيامٍ أخرى وحينها سيصبح الجميع سعداء بمعرفتهم بالأمر. عند

هذه النقطة دفعت الباب ودخلت. فبدا على الاثنين الاندهاش التام، لكنهما تصرَّفا بشكلٍ طبيعي. وأنا أيضا يُمكنني أن أكون ممثلةً جيدً، ومن هنا لا أعتقد أنهما أدركا أنني كنت أستمع لحديثهما. آه، أتمنَّى ألاَّ يكونا!

وبدأت تلوِي أصابعها النحيلة وأضافت:لقد كنتُ متردِّدةً هل أُخبرك أم لا، لكني كنت قلقةً طوال عطلة نهاية الأسبوع حين كنَّا في الريف. إن فرانسوا يقيم معنا بناء على توصية من أحد أصدقائنا القُدامى في واشنطن. لكن كريس لا يعرف عنه شيء أبعد من هذه التَّوصية. وأنا وكريس لا نعرف سوى القليل عنه. هل تعتقدين أنه يمكن أن يكون من صائدي الثروات ويجري وراء أرث زوي؟ فهذا يحدثُ كثيراً هذه الأيام. والشابات الغنّيات سريعات التأثُّر جدا بالرجال الساحرين ذوي اللُّكنة الأوروبية.

انهارت السيدة ديسبارد تقريباً على الكرسيِّ وقالت: لكن قد يكون الأمر لا شيء. قالتها وكأنها تُطمئن نفسها.

قالت "في": أعتقد أنه ربما يكون بريئاً. قالتها بثقةٍ لم تشعر بها. وجلست على كرسي مقابلٍ لكرسي مرجريت وقالت: ما سمعتِيه يبدو غريباً، لكننا لا نعلم ما هو موضوع محادثتهما. فقد يكون السيد ألفونس يرتِّب لشراء شيءٍ لزوي. فهي تحب بحق الأسرار والمفاجئات. والآن، وحين أفكر في الأمر، أجد أنه في الغالب يشتري شيئا لي وللسيدة أوفلاهرتي أو شيئاً لماما. فهذه أحد خصال زوي، قد نجدها تمنح كل واحد منا هدية لتشكُرنا على هذه الرحلة.

سألت السيدة ديسبارد آملة: هل حقا تعتقدين هذا. لأنه إذا كان حقيقي، ففي الغالب سأشعر بالحرج الشديد لسَبق الأحداث واستنتاج أمور غير حقيقية. لكن كم أودُّ أن أكون مخطئة في ظني، أودُّه جدا.

قالت "في": لكنك على صواب- وطيبة جدا أيضا- لاهتمامك الشديد هكذا. إنَّ زوي صغيرة ومتحمِّسةٌ، والفتيات في سنَّها شديدات التَّأثر بالإطراء. لكنها أيضا عاقلة جدا. فهي تتمتَّع بالكثير من الحسِّ السليم- أكثر مما يُدرك معظم الناس.

سألت السيدة ديسبارد: هل ستقولين شيئاً لها؟

فكَّرت "في" قليلا ثم قالت: لا، لكني سأتحدَّث مع السيدة أوفلاهرتي

في الأمر. فزوي لم تعطِنا أيَّ سبب حتى نَرتاب بها، لكن يمكن أن نُراقبها جيدا.

قوّمت السيدة ديسبارد من وضع كتفيها ووضعت ابتسامةً على فمها وقالت: وأنا سأراقب فرانسوا. لم أقل لأحد عن هذا- حتى كريس. ولن أقول كلمة ما لم تطلُبي مني هذا.

قالت "في": لنجعل هذا الأمر لأنفسنا الآن.

قالت السيدة ديسبارد وهي تضع ذراعها على ذراع "في": كم أنا سعيدة لمجيئك اليوم. فلديَّ خيالٌ واسعٌ وجامحٌ جدا، وأنا متأكّدة من أنني استسلمت له. لكن أنا وكريس نعتبركما أنت وزوي صديقتين بحق- مثل إد تماما. ولم أكن لأسمَح لأحد أيًّا كان بأن يجرحكما.

فسألت "في": والسيد ألفونس؟ أرجو ألا يُسيء هذا لرأيك فيه.

قالت السيدة ديسبارد بحزمٍ: حسناً ، يجب ألاَّ يكون ضحية تخيّلاتي. ومع هذا، سأشعر بالارتياح حين يغادر عائداً لفرنسا.

ومالت بقُرب "في"، وأسرَّت لها قائلة: لقد كانت زيارته شديدة الإجهاد. فكلُّ سيدةٍ أعرفها تودُّ التعرُّف عليه وتجلس بجواره أثناء العشاء. فمنذ مجيئه لم أفعل شيئاً سوى إقامة حفلات الشاي والعشاء. ومع هذا، لم أستطع إسعاد كلِّ السيدات المتشوِّقات.

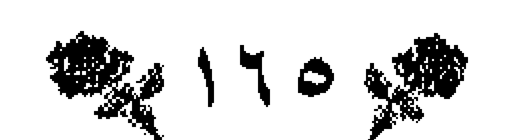
أجابت "في" وهُن يعدن للرَّدهة والضيوف وذراع كلٍّ منهما في الأخرى: لا يمكن إنكار أنَّ السيد ألفونس رجلاً جذَّاباً جدا.في تلك الحظة كان واقفاً على الجانب الآخر من الحجرة يتحدَّث مع سيدتين غير متزوجات، ولاحظت "في" أنهّن كنَّ مبتهجاتٍ لأقصى حدٍ بسبب ما كان يقول.

فقالت لنفسها: جذابٌ جدا، لكن من هو في الحقيقة؟ ولماذا لا يقول لنا سوى القليل عن نفسه؟ وكيف يمكن أن أعرف ما هو حقيقي وما هو كذب؟عندما حان وقت العشاء،

كانت "في" هادئةً لكن زوي كانت متحمِّسةً جدا بالناس الذين قابلتهم عند آل ديسبارد لدرجة أنها لم تلْحظ هدوءَ "في" الغريب، لكن ذلك لم يفُتْ السيدة أوفلاهرتي، التي أدركت التغيُّر الذي حدث في مزاج "في". فأتَت إليها في موعد النوم وسألتها إذا كانت على ما يرام

فقالت "في": مجرَّد إجهاد خفيف.

جلست السيدة أوفلاهرتي على طرفِ سرير "في" وقالت: يبدو أن



العمل مع د.فرايزر لا يُشعرك بالإجهاد.

قالت "في" بنعومة: ربما لأنَّ مساعدة الناس في العيادة له هدف. أمّاالحفلات فتكون مجهدةً أكثر. لكن د.فرايزر تساعدني على التَّغلب على شعوري بالذَّنب من نحو الاستمتاع بالمتع الاجتماعية.

قالت السيدة أوفلاهرتي بابتسامةٍ: ربما لأنك تفكِّرين في هذا، لكن مهما كانت أهمية العمل الذي تقومين به فأنت تحتاجين للراحة بين الحين والحين. تذكَّري الدَّرس المذكور في سفر جامعة القائل" لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ. ثم يوضِّح المعلم كيف تعلَّم أن يُحب كلَّ هبات الله فقال" هُوَذَا الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا خَيْراً الَّذِي هُوَ حَسَنٌ: أَنْ يَأْكُلَ الإِنْسَانُ وَيَشْرَبَ وَيَرَى خَيْراً مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا لأَنَّهُ نَصِيبُهُ.

وضعت السيدة أوفلاهرتي يداً قويةً على كتف "في" وأكملت: حين كان زوجي حيًّا، كان معتاداً على القول بأننا حين نمنح أنفسنا الوقت للاستمتاع بالمتع البسيطة فإنَّنا نُعطي تعبنا معنى. وتعتبر واحدة من أكثر ذكرياتي معزَّة، ذكرى الأمسيات التي كنا نقضيها مع الأصدقاء وإيان يعزف لهم. لقد كان يعمل بمنتهى الجدِّ في تأليف موسيقاه. لكن كانت هناك مناسبات يجتمع فيها الأصدقاء في شقتنا الصغيرة ونتعشَّى معا الجبن والخبز والفاكهة. ثم يعزف لهم أجزاءاً من مؤلفاته- يعزف لمجرد حبِّه للموسيقى. حينَها كان ينسى التَّعب والتوتُّر والإرهاق لفترة. وكان دائما حين يعود لعمله في اليوم التالي يعود بطاقةٍ وإصرار متجدِّديْن.

تخيَّلت "في" منظر هذا التَّجمع وكيف كان-دفء الموسيقى و الأصدقاء المعضِّدين، فسألت: هل تفتقدين هذه الأوقات جدا؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي: ليس بالضبط. أنا أفتقد إيان وسأظلُّ دائما أفتقده. لكن لديَّ ذكرياتي، وهى في منتهى العذوبة. كما أنَّ موسيقاه حيَّة لديَّ اليوم كما كانت يوم كتبها- بالرَّغم من أنِّي لم أسمعها تُعزف منذ زمنٍ.

قالت "في": أودُّ أن أسمعها.

قالت السيدة أوفلاهرتي: ربما في يوم ما، لأنه يوجد وقتٌ لكلِّ شيء.

بدَت كلماتها تزحف بعيداً مثل دوائر المياه التي تزحف وراء مركب.

نظرت "في" لوجه السيدة أوفلاهرتي لترى مزيجاً من الحزن والقوة

الموجودة بقلبها. لكن السيدة أوفلاهرتي التي لم تكن معتادة كثيرا على التعبيرات الرومانسية فسرعان ما عدَّلت من تعبيراتها لتعود لشكلها الطبيعي.

ثمَّ قالت وهي تربِّت على كتف "في": حسنا، الآن. تمَّ تقرير عدم احتياجك للشعور بالذَّنب من نحو قضاء وقتٍ ممتعٍ في حفلات السيدة ديسبارد. كما يمكننا أن نأخذ درساً من زوي، لأني لم أرَ من قبل فتاةً تستمتع برِفقة الناس مثلها.

بدأت "في" بقول: هل تعتقدين...ثم توقَّفت، لتقرِّر كيفية قول الجملة بطريقةٍ مضبوطةٍ وصحيحةٍ قبل أن تسأل: هل تعتقدين أنَّ كلَّ هذه الأنشطة قد تكون- آه- محفزاً شديدالها؟ أخاف من أنها قد تجد الحياة في المنزل مُملَّة جدا حين نعود.

أجابت السيدة أوفلاهرتي ضاحكة: إنَّ زوي واحدةٌ من الناس الذين لا يسمحون للحياة بأن تكون مُملَّة.

قالت "في": ومع هذا. يجب أن نُراقبها جيدا.

سألت السيدة أوفلاهرتي بنبرة اهتمامٍ: هل فعلت شيئاً يضايقك؟

أجابت"في" بسرعة: لا، على الإطلاق. أنا فقط تذكَّرت ما قلت من قبل حين أتينا لنيويورك. لقد قلت أنها في سنٍّ يمكن فيه هزيمة الحسِّ السليم بالفضول وروح المغامرة. وأنا لم أقضِ وقتاً كافياً كما يجب مع زوي ، وأشعر بالمسئولية من نحوِها.

كانت السيدة أوفلاهرتي على درايةٍ تامةٍ بقوة إحساس "في" بالمسئولية، لذا تجاوَبت بجدية قائلة: سأكون مراقبة جيدة لها، لكني لا أعتقد أنه يوجد سبب لقلقك، فزوي تستمتع بزيارتها هنا جدا، لكنها قالت لي بالأمس فقط أنها تشتاق للعودة لأيون وأوكس مرة أخرى.إنها فقط تشعُر ببعض الحنين للعودة للمنزل وهذه علامة جيدة.

سألت "في": لماذا؟ لا أفكِّر في الحنين للمنزل كشيءٍ جيد.

قالت السيدة أوفلاهرتي: لكنه كذلك فعلاً، فمعنى أنها تشعر بالحنين لعائلتك يؤكِّد أنها أيضا عائلتها. عائلتها الجديدة- التي تشعر فيها بأنها محبوبة وهي كذلك. وهذه خطوة إيجابية لفتاةٍ شابة تيتَّمت حديثاً.

قالت "في" وهي تفكِّر: آه، فهمت. وشعُرت بتحسُّن.

شجَّعت ملاحظة السيدة أوفلاهرتي "في" لذا لم تُخبرها بالحديث




الذي داربينها وبين السيدة ديسبارد عمَّا سمعته بالصُّدفة. وقالت في نفسها وهي مستلقية في فراشها وتحاول أن تنام: لا داعي لإقلاق السيدة أوفلاهرتي في حين أنه من المُحتمل عدم وجود شيء يستدعي القلق. احتمال؟ لماذا لا أستطيع التخلُّص من هذا القلق؟ ربما أشعر ببعض الذَّنب لأني لم أكن منتبهةٌ جيدا لزوي كما يجب؟ لكن الحديث بين زوي والسيد ألفونس- كان عن ماذا بحق؟ وما مدى إحساس زوي بالوحدة بالفعل؟

استدارت "في" وأغلقت عينيها قَصراً. لكنها لم تستطع الهروب من أفكارها. وقالت في نفسها: لقد وعدت بالذَّهاب للعيادة غدا، لكن بعد ذلك سأمنح المزيد من الوقت لزوي- هذه المحادثة. هل يمكن أن تكون السيدة ديسبارد على حق؟ هل يمكن أن يكون السيد ألفونس من صائدي الثَّروات؟ هل يمكن أن تكون زوي ضحية لخطةٍ شريرة؟ كيف يمكن أن أكتشف الحقيقة؟ يمكنني مواجهة زوي- لكن ماذا إذا كنت مخطئة؟ قد لا تثِق بي مرة ثانية أبدا. ماذا ينبغي عليَّ أن أعمل؟ يا ربي العزيز ساعدني على العثور على إجابة.

ظلَّت مُؤرَّقة وتتقلَّب في فراشها كثيرا وكانت تسمع تقريبا صوت دقات الساعة. كان عقلها يموج بالأفكار. يمكننا العودة للمنزل مبكّرا، لكن ما العذر الذي يمكنني تقديمه؟أأكتبُ لماما طلباً للنصيحة، لكن كيف أُثقل عليها في الوقت الذي يحتمل فيه عدم وجود مشكلة على الإطلاق؟

مُحتمل- هذه الكلمة مرة أخرى! يجب أن أفعل شيئاً. وفجأة جاءتها استجابة صلاتها. إد سيساعدني! يجب أن أكتب إليه وأُخبره بكلّ شيء. لقد وعدته بأني سأخبره إذا احتجت لشيء، وأنا الآن في احتياج.

فجلست وقالت في الظلام: أشكرك يا أبي السماوي الحبيب. لأنَّ محبتك وإرشادك لا يخيبان أبداً. إنَّ كلمتك سراجٌ لرِجلي ونور لسبيلي.



الفصل

١٣

تعميق الشكوك

نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بِدَايَتِهِ. طُولُ الرُّوحِ خَيْرٌ مِنْ تَكَبُّرِ الرُّوحِ.

جامعة ٧: ٨

استيقظت "في" عند الفجر وبدأت كتابة خطابها لإد عند شروق الشمس على المنتزه. فنظرت لأعلى خارج النافذة وهي تكتب لترى كم بدت الشمس مندفعةً ومتدفِّقةً فوق وبين وعلى الأشجار، كاسحةً كلَّ ظلال الليل ومبدِّدةً لظلامه ومعيدة لكلِّ شيء لوْنه. ففكَّرت في نفسها "سيكون يوم صيفي شمسه ساطعة". ولمَّا انتهت من كتابة خطابها كان قد استراح قلبها وبدَت أكثر اطمئناناً؛ وهناك

كانت السيدة أوفلاهرتي قد خطَّطت للقيام بيومٍ كامل من الزيارات السياحية مع زوي بِدءاً من زيارة متحف التاريخ الطبيعي. ثم في المساء ستتناول "في" وزوي عشاءهما مع السيد والسيدة فيليبس. أما "في" فبعد أن أرسلت خطابها لإد، ذهبت للعيادة لمعرفتها أنَّ زوي ستكون مشغولة تماما، كما لن يكون هناك حفلات شاي أو أيَّة فرصة لمقابلة السيد ألفونس.

عملت "في" طوال النهار مع د.فرايزر، وحين غادرت العيادة في الثالثة ظهراً كانت تشعر بالسَّعادة والانتعاش. وكادت تندم على إرسالها للخطاب لإد، لإحساسها بأنها تفاعلت بطريقةٍ زائدةٍ مع ما قالته السيدة ديسبارد. وفكَّرت " لقد قال إد أننا مثل أقفاص الدجاج، وها أنا أُقَرْقِرْ على زوي مثل دجاجةٍ عجوز"!. فضحكت على نفسها وشعرت بالتحسُّن لهذا. في الحقيقة، شعرت بارتياح شديد لأنها طلبت من السيد مريوثر أن يوقف المركبة على جانب المنتزه في مقابل الفندق وذهبت للتَّمشية في المنتزه لتستمتع برؤية جمال الطبيعة واستنشاق الهواء النقي.

كانت سنترال بارك مليئة بأناسٍ يتمشُّون وأطفال يلعبون. ومركبات مفتوحة أنيقة تمرُّ ذهاباً وإياباً في شوارعها العريضة، وراكبيها يستمتعون بظهيرة صيفٍ جميلة. فانعكس المناخ المريح على شعور "في". التي كانت تتمشَّى في طريق تحيط به الزهور على الجانبين ويتعرَّج بين الأشجار والمروج وأوصلها أخيراً إلى الشارع خارج المنتزه. وأدركت أنها تبعد بمجمعين على الأكثر عن الفندق، فنظرت حولها لتستدل على مسلكها

ورأت شيئاً جعل قلبها يغوص داخلها.

كانت زوي تخرج لتوِّها من باب مبنى والسيد ألفونس يفتح لها الباب!.

لم تستطع "في" التفكير، وشعرت بأنها سُمِّرت في مكانها، غير قادرة تماماً على الحركة أو حتى الاستدارة للذَّهاب بعيداً. لكن لم ينظر كل من زوي أو السيد ألفونس في اتِّجاهها. كانا واقفين بقرب بعضهما، وكانت زوي تتحدَّث وتُومئ بحماس. وفجأة، أمسكت بيد السيد ألفونس ورفعتها لشفتيها. ثم مال السيد ألفونس للأمام وبرقةٍ ربَّت على خدِّ زوي بيده.

انتهى الأمر في ثوانٍ. فتحت زوي حقيبتها واستدارت في اتجاه الفندق وابتعدت وكأنها ترقص على السحاب، في حين نظرت "في" مرة أخرى لمدخل المبنى لترى السيد ألفونس يذهب في الاتِّجاه المعاكس.

بدا عقل "في" كأنه فارغٌ. ثم بعد لحظة صدمتها فكرة مثل العاصفة: إنه حقيقي! وزوي في خطرٍ مُحدِق!

بدا هذا الإدراك وكأنه يعيد إليها قوَّتها، واستدارت هي أيضا نحو الفندق. لم تحاول أن تلحق بزوي لأنها أرادت أن تتحدَّث مع السيدة أوفلاهرتي أولا.

وظلت تفكِّر طوال الطريق المرة تِلوَ المرة كيف أهملت زوي. فلابد أنها لم تنتبه لعلامات من الواجب أن تكون هناك. هل كانت مشغولة باهتماماتها لدرجة أعمتها عما كان واضحاً وجلياً؟ ثمَّ قالت لنفسها "أنه خطئى، لكن ما يهمٌّ الآن هو زوي، فسلامتها مسئوليتي، وهي لا تفهم كيف يمكن أن يُفسد هذا حياتها. لأنها أصغر من أن تُدرك هذا. لكني أدرك، ويجب أن أحميها وأنقذها من الوقوع في هذه الغلطة الفظيعة".

لم تلحظْ "في" أثناء هروَلتها في الشارع نظرات عددٍ كبيرٍ من المارِّين بجوارها الذين لاحظوها وتساءلوا عمَّا بهذه الشابة الطويلة الجميلة المملوءة عيناها الداكنتان بالقلق الشديد.

وصلت "في" إلى الفندق وحين كانت تهمٌّ بطلوع السلالم استوْقفها مدير الفندق. وقدَّم لها خطاباً وصل إليها واعتقدَ أنه قد يكون مهمّاً.

ظلَّ مُمسِكاً الخطاب بيده فأخذته "في" منه دون النظر إليه. وشكرته



باقتضابٍ غير مميَّز، وهرعت في طريقها. هزَّ المدير رأسه في استغراب، فهو لم يستطِع فهم ما المشكلة لكنه آمل ألاَّ تكون الآنسة ترافيللا مُستاءة من الخدمة في الفندق.

كان باب حجرة زوي مغلق، وحين مشت "في" ناحيته بهدوءٍ سمعت صديقتها الصغيرة تغنِّي.

ذهبت "في" إلى حجرة السيدة أوفلاهرتي مباشرة ودخلتها ناسيةً أن تدقَّ الباب. نظرت إليها السيدة أوفلاهرتي لأعلى وأدركت في الحال الكَرب الذي ارتسم على وجه "في".

فسألت بقلق: ما الأمر؟ ماذا حدث؟. وهي تتحرَّك نحو "في" وتقودها للجلوس على أحد الكراسي. ورأت الخطاب مُطبقاً في يد "في" فقالت: هل وصلتك أخبارٌ سيئةٌ؟.

نظرت "في" لأعلى والدموع في عينيها وقالت بصوتٍ مخنوقٍ: كان يجب أن أقول لك يا سيدة أوفلاهرتي، كان يجب أن أكون أمينة معك.

سحبت السيدة أوفلاهرتي كُرسيا واقتربت من "في" وأمسكت بيدها، وبصوتٍ ثابتٍ لكن بنبرةٍ مطمئنةٍ قالت: حسنا، أخبريني الآن يا ابنتي "في". فأياً كان قلقكِ، ستشعُرين بالتحسُّن وتكونين أفضل حين تُشاركيه.

بدا وكأنَّ سدًّا قد كُسِر، وتدفَّقت القصة كلَّها مثل الفيضان. ونضبت دموع "في" أثناء حديثها وتحوَّلت تعبيرات وجهها للغضب الشديد. وهتفت: يا لَه من رجلٍ رهيبٍ! كيف كنت بمثل هذه الحماقة التي جعلتني أضع ثقتي فيه؟

كانت نفس الفكرة تدور في رأس السيدة أوفلاهرتي من نحو غَفلتها هي الشخصية. لكنها قالت: ليس الوقت الآن وقت لوْم أنفسنا يا ابنتي "في". يجب أن نقرِّر ما علينا عمله.

قالت "في": لقد كتبت خطاب لإد، أرسلته في الصباح. لكني...لكني لم أرى..وتلعْثَمت

فقالت السيدة أوفلاهرتي بحزمٍ: حسنا، إن رعاية زوي هي أول واجباتنا. يجب ألاَّ نسمح لها بأيِّ حالٍ أن تقترب من هذا الرجل ثانية أبداً. حتى إذا كان هذا معناه أن نُراقبها ليل نهار. لن تكون هناك تمشيات قصيرة وحدها، يجب ألاَّ نفارقها وأن تكون واحدة منا معها

طوال الوقت.

سألت "في": هل يجب أن أتحدَّث إليها؟

فكَّرت السيدة أوفلاهرتي في السؤال، وقالت أخيراً: تعلمين أنَّ أولَّ رد فعل لي يكون دائماً هومواجهة المشكلة مباشرة. لكن في هذه الحالة، فقد تؤدِّي مواجهة زوي لتعقيد الأمور، لأنهم إذا كانوا يخطِّطون لفرارها قد تؤدِّي مواجهتنا لها بالتعجيل من الأمور.لكن بالرَّغم من كلِّ ما قلته لي،لم نزل نفتقد الدليل الذي يؤكِّد أنَّ هذه هي دوافعهما. فربما يوجد شرحٌ بريءٌ لكلِّ هذا. وأعتقد أن بإمكاننا الوصول لمعرفة مشاعرها بطريقةٍ أفضل إذا فعلنا شيئاً لا أحب أن أفعله.

سألت "في": وما هو؟

قالت السيدة أوفلاهرتي ببرود:نسألها أسئلةً تلميحيَّة،أعرف أنَّ هذا قد يبدو فعلاً طفولياً، لكن يمكننا السؤال وكأننا ببساطةٍ مهتمين بمعرفة المزيد عن السيد ألفونس، فقد تصرِّح بمشاعرها حينها. وذلك لأنَّ زوي فتاة صريحةً، وأنا لا أعتقد أنها يمكن أن تُفتن لدرجة اللُّجوء للكذب. إنَّها لن تكذب عليك يا "في". فهي تحبك وتحترمك كثيراً جداً. ولن تخونك.

قالت "في": لكن إذا كانت تعتقد أنها واقعة في حب هذا الرجل، فإنها لن تخونه أيضا.

قالت السيدة أوفلاهرتي: لهذا يجب أن نتأكَّد من عدم اقترابه منها حتى لا يؤثِّر عليها.

إنَّ ما يرفع من معنويِّة "في" هو ثقتها فى زوي ولذا فقد قالت: لا أعتقد أنني يمكن أن أكون جيدة في التَّلميح.

فقالت السيدة أوفلاهرتي:إذاً فكِّري في زوي ومصلحتها، وهذا سيجعل الأمر أسهل. كوني هادئةً وتصرَّفي بطريقةٍ طبيعيةٍ حين تتحدَّثين إليها.

قالت "في": سأُحاول. ثم أخذت نفسا عميقاً، ثم تبِعْتها بأنفاسٍ بطيئةٍ لتُهدِّئ من نفسها.

ثم سمعتا طرقاتٍ على باب الحجرة، فقالت السيدة أوفلاهرتي: تفضَّلي يا زوي.

فدخلت زوي وحين رأت "في" سألت: هل أنت بخير؟ تَبدِين وكأنك

محمومةٌ.

قالت السيدة أوفلاهرتي: أنها بخير، لكنه فقط كان يوما صعباً.

قالت زوي باهتمام حقيقي: أنا آسفة. هل تودين أن نلغي عشاءنا مع السيد والسيدة فيليبس الليلة؟ فقد كنت تعملين بمنتهى الجد في العيادة يا "في" وربما تحتاجين لبعض الراحة.

ابتسمت "في" وقالت:أنا بخير حقا. وأودُّ أن أرى السيد والسيدة فيليبس. وكنت أفكِّر في كم ستكون أمسية جميلة.

بدأت السيدة أوفلاهرتي في البحث بجوار الدولاب وقالت لزوي: ما رأيك في أن نختار لك شيئاً خاصاً جدا لتلبسيه الليلة؟ أعتقد أن العديد من ثيابك الجديدة قد وصلت اليوم. وقد وضعت الحقائب في الدولاب.

أضاء وجه زوي بابتسامةٍ مشرقةٍ وقالت: سأخرجهم لنراهم في الحال.

فقالت السيدة أوفلاهرتي: وأنا سألحق بك في خلال دقائق معدودة.

غادرت زوي، وحين سمعتا أصواتاً قادمةً من حجرتها، قالت "في" هامسة: أنني بخير حقاً الآن يا سيدة أوفلاهرتي، وسأبذُل قَصارى جهدي لأستمتع بوقتي الليلة، راجيةً أن نتمكَّن من حلِّ كلِّ هذا سريعا، فأنا لا أريد أن أفعل شيئاً من المكن أن يسبِّب الألم لزوي.

فقالت السيدة أوفلاهرتي بطريقتها العملية: هذا هو التَّوجُّه الصحيح. والآن، اذهبي لتغيِّري ثيابك وأنا سآتي إليك سريعاً لأغلق لك أزراره.

مضت الأمسية بشكلٍ جيد جدا. حيث كان السيد والسيدة فيليبس مضيفين مُراعين لضيوفهم جدا، وكرَّس السيد فيليبس الكثير من الحديث عن آل ترافيللا وآل دينسمور الذين كانوا أصدقاءه كما كانوا زبائنه منذ أمدٍ بعيدٍ. وبعد انتهاء الحفلة وأثناء عودتهما،

ذكَرت "في" اسم السيد ألفونس عدَّة مرات مع زوي - بطبيعيَّةٍ على قدر الإمكان. وأجابت زوي على كلِّ أسئلتها دون تردُّد. فوجدت "في" نفسها مُحتارةً أكثر من أي وقتٍ مضى، لأنها لم تشعر بأن زوي تخفي عنها أيَّ شيئٍ.

ثم تحدَّثت الفتاتان حين عادتا للفندق مع السيدة أوفلاهرتي قبل أن

تستعدًا للذهاب للنوم.

قالت زوي: كان جيدا أن نسمع هذه القصص عن والديْك والسيد والسيدة دينسمور، لقد قضيتُ وقتا رائعاً في نيويورك، لكني سأكون سعيدةً بحق بعودتي للمنزل في الجنوب ويعود كلُّ شيء لطبيعته. وأعتقد أنَّ هذا سيكون مفاجأة كبيرة لجدك يا "في"، لأني متطلِّعةبل متشوِّقةجداً لدروسي. لقد قال السيد دينسمور أننا سندرس عالم النبات هذا الصيف.ألقت "في" نظرة سريعة على السيدة أوفلاهرتي ثم قالت: لا أعتقد أنَّ جدِّي سيفاجأ، لأنه يقول إنك طالبةٌ جيدة جداً.

أجابت زوي: حسناً، إنني أنوي أن أكون أكثر انتباهاً بكثير. ثم رفعت يدها بسرعة ووضعتها على فمها محاولة تغطِية تثاؤبها.

فقالت السيدة أوفلاهرتي بابتسامة عريضة: أرى هذا. والآن، حان وقت ذهاب جميعنا للنوم.

وقفت زوي وقالت: لن أجادِلك يا سيدة أوفلاهرتي.

ثمَّ غادرت كلٌّ من زوي و السيدة أوفلاهرتي، وأوت "في" لغرفتها الخاصة. وأبدلت ملابسها بسرعة ثم أوَت لفراشها وأمسكت بكتابها المقدس التي أعادته إليها لوئيس مع كثير من الامتنان قبل أن تغادر نيويورك وتعود للجنوب. وفتحت الكتاب البالي من كثرة الاستعمال على مراثي أرميا الإصحاح الثالث وجرَّت أصابعها خلاله حتى وصلت للعددين 25-26 القائلين:"طَيِّبٌ هُوَ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يَتَرَجَّوْنَهُ لِلنَّفْسِ الَّتِي تَطْلُبُهُ. جَيِّدٌ أَنْ يَنْتَظِرَ الإِنْسَانُ وَيَتَوَقَّعَ بِسُكُوتٍ خَلاَصَ الرَّبِّ".

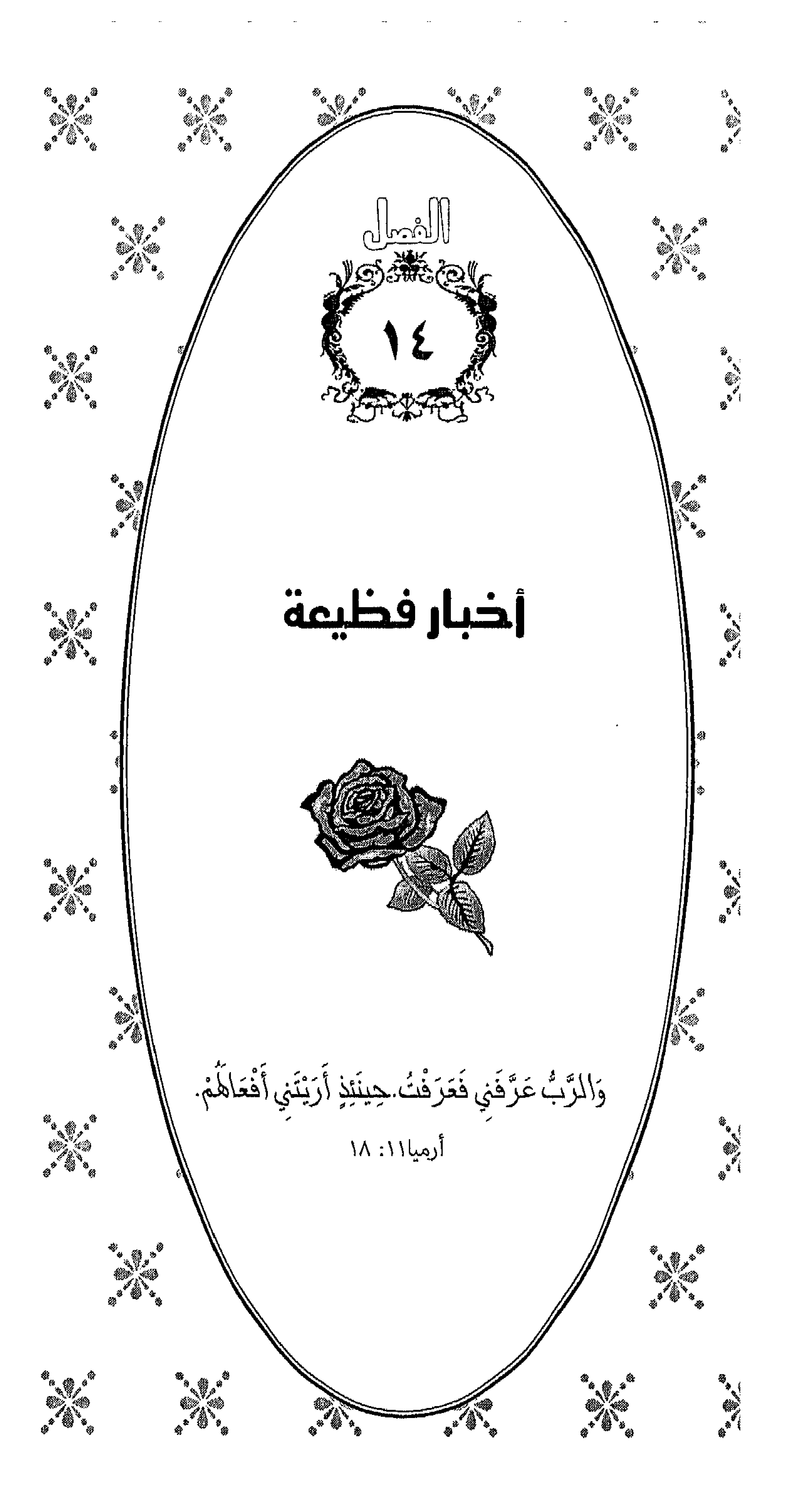
تأمَّلت "في" هذه الآيات لفترةٍ سامحةً لمعاني الكلمات بالدخول لأعماقها لتطمئِنها وقالت بصوت عالٍ: جَيِّدٌ أَنْ يَنْتَظِرَ الإِنْسَانُ وَيَتَوَقَّعَ بِسُكُوتٍ. ثم أغلقت عينيها وصلَّت قائلةً:

يا رب، رجائي فيك. احمني من أن أتسرَّع وأفعل شيء دون التأكُّد من الحقائق. اِمنحني القوة حتى لا أقوم بافتراضات متسرِّعة أو كاذبة. إنَّنى أثق في إرشادك لي للحقيقة.

أنهَت "في" صلاتها وعند إغلاقها لكتابها المقدَّس كانت تشعُر بتحسُّن. وبدأت في التفكير في أنها قد تكون مخطئةً بالرغم من كلِّ شيء.فما رأته في الظهيرة قد يكون مجرد لقاء بالصدفة وأن زوي تتصرَّف كما تتصرَّف

أيِّ فتاة أوروبية. فلكلٍّ بلد عاداتها المختلفة. وقررت "في" أنها أساءت فهم إيماءات زوي وتجاوُب السيد ألفونس.

أراحت هذه الأفكار"في" مما جعلها تنعِس بمجرد أن أطفأت النور تقريباً. وقد نست تماما الخطاب الموضوع على تسريحتها.



الفصل

١٤

أخبار فظيعة

وَالرَّبُّ عَرَّفَنِي فَعَرَفْتُ. حِينَئِذٍ أَرَيْتَنِي أَفْعَالَهُمْ.

أرميا١١: ١٨

قرَّرتْ "في" أن يذهبوا معا لرؤية أراضي البولو (لعبة تلعب على مُتون الخيل) يومها، الواقعة شمال السنترال بارك بالضبط، وكانت مكاناً لممارسة العديد من السباقات الرياضية الشائعة. ثم سيأتيهم السيد مريوثر ليأخذهم لرؤية مرتفعات هارلم، ثم جرانج الذي كان بيتاً صيفيًا للكسندر هاملتون. لاعتقاد "في" أنَّ زوي ستستمتع برؤية المنزل القديم التاريخي وبستانه ذى الثلاث عشر شجرةٍ التي ترمز للولايات الثلاث عشر الأصلية للولايات المتحدة.

وافقت زوي على خطَّة "في" حين عرضتها عليهم هي والسيدة أوفلاهرتي على الإفطار بحماسٍ وشوقٍ قائلة: سيكون بمثابة درسٍ تاريخيٍّ بالنسبة لي، فأنا لا أعلم عن حياة الأناس الذين أسَّسوا وطني بالقدر الكافي. واليوم سأتعلَّم عن ألكسندر هاملتون.

بالتالي، عادوا للجناح للإعداد لنزهتهم. وحينماكانت "في" تبحث عن دليلها السياحي بالتسريحة وقعت عيناها على الخطاب. ولم تستطع تخمين كُنْهِه لعدَّةِ ثوانٍ، ثم تذكَّرت أنّ المدير منحه إياها بالأمس. وفي قلقها على زوي نسَت أمره تماما،بل طبّقته في يدها ورمته على التسريحة.وعندما

قلَّبت الغلاف لترى العنوان الذي سيردُ إليه حين عدم تسليمه فوجدته عنوان أخيها إد، ففتحت الخطاب بسرعة، وبدأت قراءته ومع كلِّ كلمةٍ منه كان جبينها يقتضِبُ من القلق.

لقدكان خطاباً قصيراً، يعلن فيه إد عن حضوره لنيويورك في نفس اليوم في قطار بعد الظهر. ويعتذر عن عدم إبلاغها مبكّرا، لأنَّ الرحلة تم اتِّخاذ قرارها في آخر دقيقة. ثم كتب قائلا:

ضايقني ما أخبرتني عن رفيقكم الجديد السيد ألفونس لسببٍ ما لم أستطع فهمه. لكن كان لديَّ مجرد شعورٌ بعدم الراحة. لذا قرَّرت القيام ببعض التحرِّيات. وزيارتي لكم نتيجة لما علِمته. لا أريد أن أكتب عنه، لكني سأشرح كلَّ شيء حين أراك.

حتى حينها، لا أريدك أنت أو الآخرين أن تَروا هذا الرجل ثانيةً. ثِقي بي في هذا، يا أختي الصغيرة. فأنا لا أحاول أن أُملي عليك ما تفعلين. لكن لدي أسباب جيدة جدا لقول هذا التَّحذير.

احتارت "في" للحظة من خطاب إد، لأنه ليس من المحتمل أن يكون قد وصله خطابَ طلبِ المساعدة. ثم أدركت أنَّ رسائلهما تقابلت في الطريق. فشكوكه ظهرت بناءاً عن ذكرٍ عابرٍ لاسم السيد ألفونس في خطابٍ سابقٍ أرسلته له.

جلست "في" مُثقلةٌ في سريرها. وكتفيْها متدلييْن وكأنهما واقعين تحت ثُقل كبير وُضع للتَّو على ظهرها. فقد بدا وكأنها تعيش في مرجيحة في الأيام القليلة السابقة، مرتفعة في لحظة ومنخفضة في اللحظة التي تليها. ما هو الصواب؟ وما هو الخطأ؟ كانت بالطبع تثق في إد، وسيكون سعيد لمعرفته بقرارها بعدم رؤية السيد ألفونس ثانية. لكن ما الذي علمه إد وجعله يهرع للمجيء لنيويورك؟ هل كان الرجل الفرنسي الدَّمث أكثر خطورة مما تخيَّلت؟ وهاجمتها كلّ أنواع الأفكار الجامحة، وصارعت بقوة للسيطرة عليهم.

وقالت: جَيِّدٌ أَنْ يَنْتَظِرَ الإِنْسَانُ وَيَتَوَقَّعَ بِسُكُوتٍ. مذكِّرة نفسها بالآيات التي أراحتها في الليلة السابقة. وقالت بصوتٍ مرتفعٍ: لقد بذلت كلَّ ما عليك للحاضر. ولا يوجد سبب لإقلاق زوي والسيدة أوفلاهرتي قبل أن تسمعي من إد ما يعرفه. والآن، مشِّطي شعرك وركِّزي على اليوم الممتع الذي أمامك. سيكون إد قد وصل للفندق حين عودتنا. حينها سنعرف منه كلَّ ما يدور بالفعل.

عادت لتسريحتها وبدأت تمشِّط شعرها ناظرةً في المرآة وآمرةً نفسها بصوتٍ مرتفع: ابتسمي! الرب صالح للذين يترجَّوْنه. لم يحدث شيءٌ لا يمكن إصلاحه، وببركة الله ونعمته لن يحدثَ شيء.

أخبرت "في" كلاً من زوي والسيدة أوفلاهرتي بوصول إد الوشيك، واستقبلت زوي الخبر بتهليلها الطيِّب المعتاد. ثم حجزت "في" حجرةً بالفندق لإد قبل أن يغادروه، كما كتبت له مذكِّرة صغيرةً تُعلمه فيها بعدم وجودهم حين وصوله ومتى سيعودون وتركتها في مكتب استقبال الفندق طالبةً من الموظف تسليمها لأخيها حين حضوره.وهكذا

وبالرَّغم من الحيرة التي سببها لها خطاب إد إلا أنَّ "في" حذَّرت نفسها من القفز للاستنتاجات وقرَّرت المحافظة على هدوء أعصابها. ومتَّعت نفسها بمشاهدة لاعبي اللكروس اللذين يتدَّربون على أرض ملاعب البولو وانبهرت بمنزل ألكسندر هاملتون الريفي القديم. وبحثت هي وزوي في الدليل السياحي عن المزيد من المعلومات حول تاريخ نيويورك حين كانت مستعمرةً. وبدأتا التخطيط لنُزهتهما لليوم التالي- زيارة وول ستريت، حيث قدَّم جورج واشنطن خطبته الافتتاحية كأوَّل رئيسٍ للولايات المتحدة الأمريكية، ثم كنيسة سانت بول في برودواي، حيث كان واشنطن يتعبَّد.

كان إد بانتظارهم حين عودتهم للفندق. ولم يُظهر أيَّ علامةٍ لغرضه الحقيقي من الزيارة ثمَّ قام بتحيَّة زوي والسيدة أوفلاهرتي. وتحدَّثوا لفترة جميعا معا حول أنشطة اليوم. ثم أخبرت زوي إد بمدى لُطف وكرم آل ديسبارد معها، لكنها لم تذكر السيد ألفونس. وقرَّروا أن يتناولوا عشاءهم في المطعم الذي كان إد قد أخذهم إليه آخر ليلة قبل أن يغادر نيويورك في المرة السابقة.

ثم استأذن للذهاب قائلا أنه لا يزال أمامه بعض الحقائب التي لم يفرغها بعد، وطلب من "في" أن تذهب معه، لأنَّ لديه بعض الأخبار العائلية الخاصة بها.

وما أن وصولوا حجرته حتى أخرج بعض الأوراق من حقيبة سفره قائلا: مازلت لا أعلم ما الذي جعلني أشكُّ في هذا الرجل يا "في". لكني كنت كذلك. لذا اتَّصلت بمحامٍ- صديقٍ من أيام المدرسة ولديه مكتبه الخاص. وأخبرته بأني أريد معلومات عن هذا السيد فرانسوا ألفونس وأنني أحتاجها بسرعة. كماأنَّ والد صديقي موظف كبير في الحكومة ويعمل في واشنطن، ولذا فلديه اتصالاتٍ ممتازةٍ. لقد أنفقنا ثروةً صغيرةً في الرسائل التلغرافية ذهابا وإياباً، لكن كان الأمر يستحق.

سألت "في" بقلق: ما الذي عرفته؟

قال إد: لا شيء. لكنه لم يقصد بإجابته أن تكون مَزْحةٌ. وأكمل: لا يوجد شيء لنعلمه، لأنه على حد علم من يمكنهم تقديم المعلومات لا يوجد شخصٌ باسم فرانسوا ألفونس، تاجر تحف من باريس.



اتَّسعت عينا "فِي"من الصدمة وقالت: لكننا قابلناه، إنه ينزل في ضيافة آل ديسبارد.

قال إد وهو يمسك بالورق في يده: لقد قابلتِ رجلاً يدَّعي أنه يحمل هذا الاسم. لكن لا يوجد سجلٌ له في أيِّ مكان. ليست له أوراق هُويَّة. واسمه غير مسجَّل بكلِّ شركات الشحن والسفن الآتية من فرنسا للولايات المتحدة في الثلاث شهور الأخيرة.أيضاً تحدَّث صديقي مع العديد من مقتني الفنون وتجاره لكن لم يسمع أحد عن السيد ألفونس. إنه محتالٌ يا "فِي". وأعتقد أنَّ آل ديسبارد خدعوا من احتياله، وقد حضرت لأحذِّرهم.

قالت "فِي" وعيناها لأسفل: إنهم ليسوا الوحيدين الذين خدعوا.

قال إد مرتجِّلا: آه، أعلم أنك خُدعتِ، وهذا سبب تحذيري لك بعدم رؤيته. لكن من الواضح أنَّ آل ديسبارد وأصدقاءهم الأثرياء هم هدف الخطة التي وضعها أيًّا كانت.

نظرت "فِي" لأعلى واستطاع إد قراءة القلق المُرتسم على وجهها. وبدأت في القول: لقد كتبت إليك بالأمس، لكن لا يمكن أن تكون استقبلته قبل حضورك. لذا عليَّ الآن أن أُخبرك بما قد حدث وما نتوقَّعه. إذا كان السيد ألفونس أفّاق بحق، فأظنُّ أنَّ الهدف هو زوي.

بهذا جاء دور إد في أن يُصدم، فهبط على سريره وحملق في أخته.

تحدَّثت "فِي" بهدوء وأخبرته بكلِّ ما حدث- مقابلتهم الأولى للسيد، زيارات زوي المتكرِّرة لآل ديسبارد، المحادثة التي سمعتها السيدة ديسبارد بالصدفة ومخاوفها، وما رأته "فِي" بنفسها في اليوم السابق.

وختمت بالقول: أنا ألوم نفسي. لقد كنت أنا والسيدة أوفلاهرتي مشغولتين جدا مع العمة لوئيس وفرجينيا في البداية، ثم كرّست الكثير من وقتي بعد ذلك للذهاب لعيادة د.فرايزر. لم أكن أفكِّر في مسئوليتي من نحو زوي.

عند هذه النقطة، كان إد قد قام على رجليه ودارَ الحجرة ذهاباً وإياباً فسأل "فِي": هل تحدَّثت مع زوي بخصوص هذا الأمر؟

أجابت "فِي": ليس بعد، فقد قرّرنا أنا والسيدة أوفلاهرتي ألاَّ نُعطها أيّة فرصةٍ لرؤية هذا الرجل، كما لم يكن لدينا أيّ دليلٍ حقيقي على أيِّ شيء

يا إد. ولم نستطع التعدِّي على ثِقة زوي.

ذهب إد لأخته ووضع يده على كتفها وقال برفق: يجب ألاَّ تلومي نفسك. فمن الواضح أنَّ الرجل محتالٌ بارعٌ. لأنه إذا خدع كريس ديسبارد فإنَّ بإمكانه أن يخدع أيَّ شخصٍ آخر. لكن علينا الآن التصرُّف. أوَّلاً يجب أن نتحدَّث مع زوي ونُخبرها بما نعلم.

قالت "في" متوسِّلة: أرجوك لا تكن غاضبا معها.

أجاب إد: أنا لست غاضباً. ثم حكَّ شاربه وقال: حقيقة يا "في" أنا لست غاضبا منها. لقد خُدعت- مثلما خدعت فيرجينيا. فزوي ضحيةُ خطَّةٍ خبيثةٍ. لكن بشكل ما أعلم أنَّ هذه المعرفة لن تحطِّمها مثلما يمكن أن يحدث مع كثيرٍ من الفتيات. لأنه بالرَّغم من كلِّ انتقادي لها إلا أني أعلم أنها فتاة تتحلَّى بقدر كبير من القوة. طبعاً تفهمين ما أعني، أليس كذلك؟.

قالت "في" بابتسامة: قوة شخصيتها، وقوة إيمانها.

قال إد بلطفٍ: هذا هو. الإيمان والسِّمات الشخصية.

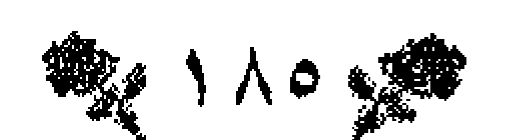
مشى عبر الحجرة مرةً أخرى، ثم استدار وقال لها: لا يجب أن نؤخِّر هذا يا "في". يجب أن نخبرها الآن.

كانت كلٌّ من زوي والسيدة أوفلاهرتي جالستين في حجرة الجلوس حين دخل إد و"في". ولم تستطع "في" منع نفسها من التفكير في كمْ رقيقةٌ وصغيرةٌ صديقتها. صغيرةٌ جدا للتَّعرُّض لمثل هذا النوع من الجروح. لكن يجب أن يخبروها، وزوي ستتحمَّل الأمر بشجاعة. فهذه طبيعتها.

كانت زوي أيضا تفكِّر في أصدقائها، ولاحظت على الفور النظرات الكئيبة التي تعلو وجهي إد و"في".

بدأ إد قائلاً: زوي نحتاج لمناقشة شيئاً جاداً جدا معك، إنه عن السيد ألفونس.

بدأت السيدة أوفلاهرتي في القيام. فقد خمَّنت فحوى المناقشة، وفكَّرت في أنه من المستحسن أن تكون على انفراد. لكن إد أشار لها بالبقاء جالسة. وذهبت "في" للجلوس بجوار زوي، واستأنف إد حديثه، وبمثل هدوء "في" حين أخبرته عن كلِّ ما حدث، أخبرهم بكلِّ ما يعلم



الآن عن من يدَّعي بأنه تاجر تحف. كان صوته وكلماته لطيفة على قدر الإمكان، لكنه لم يحاول إخفاء شيء.

أنصتت زوي بانتباهٍ، لكن لدهشة "في"، لم يبدُ على صديقتها أقلّ مظاهر الضيق. لم تكن هناك دموع، ولا عصرُ يدين. كانت زوي ببساطة تُنصت، وتستوْعب كلَّ ما يقوله إد، لدرجة أنها كانت تهزُّ رأسها أحيانا موافقة لها على تقديراته. وحين انتهى إد، ابتسمت.

فسألتها "في": هل أنت بخير؟

نظرت زوي ل"في"، فرأت بعينيها ما يشبه الضحك.

قالت زوي: بالطبع، كان إد مخبراً جيداً جداً، وجميعكم أصدقاء حقيقيين لتقلقوا عليَّ هكذا. لكن لم يكن هذا ضروريا.

سأل إد: ماذا تعني بغير ضروري؟ ألا تفهمين؟ إنه محتالٌ- مخادع- وقد خدعك.

أجابت زوي: معظم ما قلت حقيقي. فالسيد ألفونس ليس بالضبط ما يبدو عليه، لكنه ليس ما تظنّ. لا يمكنني إخبارك بكلِّ شيء، لكن ثِق بي، وستعرف كلَّ شيءٍ سريعاً جدا.

قال إد: أعرف ماذا؟ قالها بنبرةٍ استطاع الجميع تمييز ارتفاع الغضب فيها، وأكمل: لقد خدعك. وخدع "في" والسيدة أوفلاهرتي. وخدع آل ديسبارد وأصدقاءهم. كيف يمكن أن تُكملي واضعةً ثقتك به في الوقت الذي تعرفين فيه أنه أفّاق؟

تجاهلت زوي انفعال إد، واستدارت نحو "في" وسألت عن الوقت.

نظرت "في" في ساعتها الصغيرة وقالت: الخامسة وخمس وثلاثين دقيقة.

فقالت زوي بضحكةٍ سعيدةٍ صغيرةٍ: إذاً على جميعكم الانتظار خمس وعشرين دقيقة أخرى. فهي ليست مدةً طويلةً. ثم ستعرفون الحقيقة، وأعدكم بأنها ستجعلكم سعداء جدا.

ثم وقفت وذهبت لباب حجرتها وقالت بنبرةٍ شيطانيةٍ: خمس وعشرين دقيقة فقط وسيظهر كلَّ شيء. ثم دخلت الحجرة وأغلقت الباب وراءها.

بقى الثلاثة الباقين في حجرة الجلوس غير قادرين على الكلام تماماً لبعض الوقت.

ثم بدأ إد يدورُ الحجرة ذهاباً وإياباً وقال بغضب: قوة شخصية بحق! هذه الفتاة عنيدةٌ جدا. كيف يمكن أن نساعدها إذا كانت ترفض الاعتراف بما هو واضح وظاهر.

قالت "في": ربما تكون مصدومة. أعتقد أننا يجب أن نعود لأيون في أسرع وقت ممكن يا إد. سأكتب لماما الآن، وأنت يمكنك ترتيب أمر تذاكر سفرنا. نستطيع المغادرة غدا.

وافق إد قائلاً: ربما يكون هذا أفضل شيء. فماما ستعرف كيف تتعامل مع زوي، فأنا بالتأكيد لا أعرف. هل رأيت كيف تصرَّفت؟ لقد كان الأمر بالنسبة لها وكأني أقول لها أنَّ عليها أن تأخذ قطعة كعك بدل فطيرة كحلوى. أُخبرها أنَّ هذا الرجل محتالٌ يسعى وراء ثروتها فتبتسم في وجهي. لقد ضحكت!

استدارت "في" نحو السيدة أوفلاهرتي وسألتها: ألا تعتقدين أنه من الأفضل لنا أن نعود للمنزل يا سيدة أوفلاهرتي؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي بتردُّد: أعتقد هذا. فقد كانت محتارة مثل "في" وإد، لكنها لم تعتقد أنَّ زوي في صدمة، فقد كانت تُراقب الفتاة عن قرب أثناء حديث إد. وبدا لها أنَّ زوي لم تفاجأ بهذه المعلومات. بل وظهر على زوي أنها كانت تعلم كلَّ ما قاله إد من قبل.

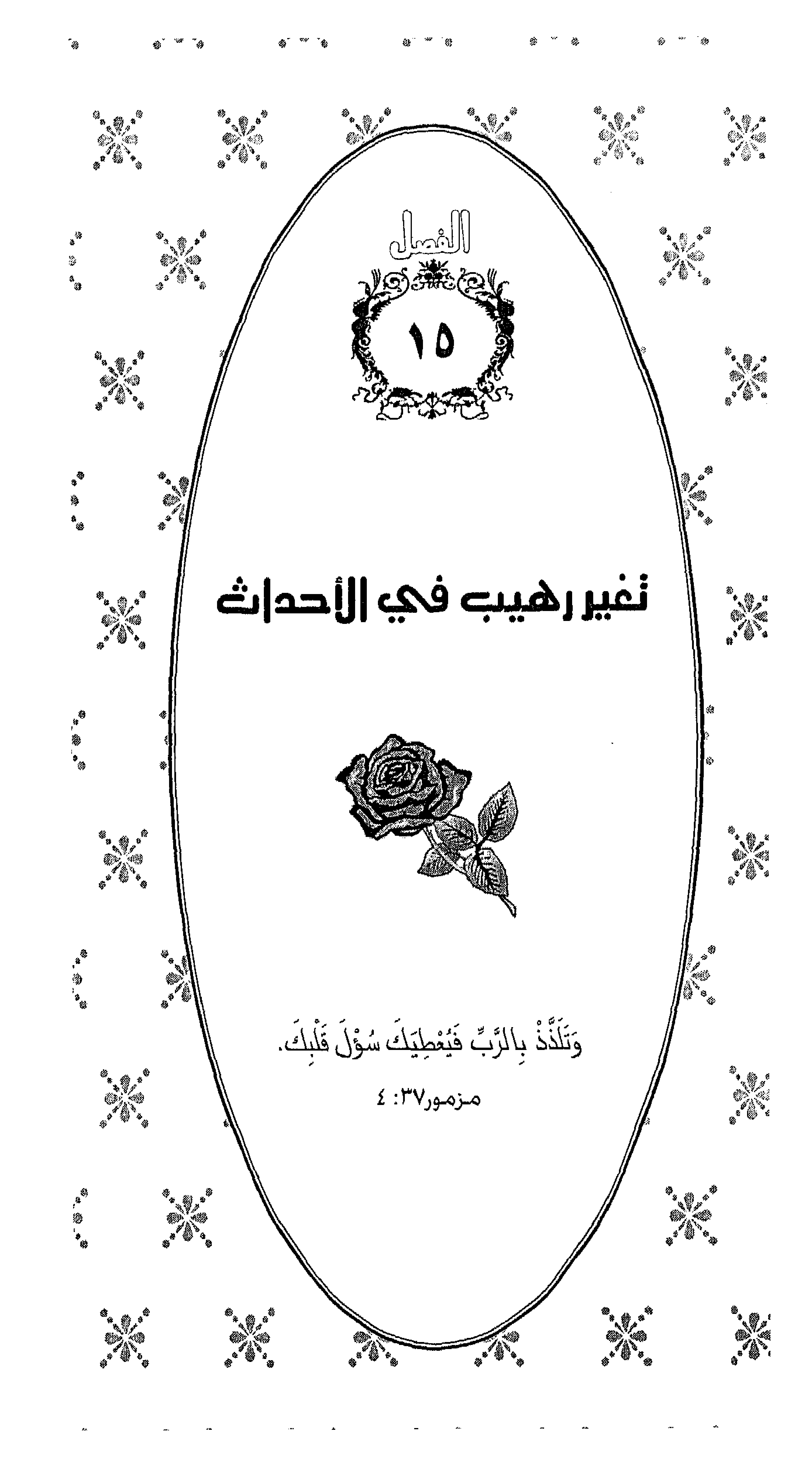
قالت السيدة أوفلاهرتي: يوجد شيءٌ غريبٌ هنا.

قال إد ساخطاً: هذه عبارة مخفَّفةٌ.

لم تُعِره السيدة أوفلاهرتي اهتماما، وسألت "في": كم الساعة الآن؟

نظرت "في" لساعتها مرة أخرى وقالت: السادسة إلا الربع.

قالت السيدة أوفلاهرتي: إذاً أمامنا ربع ساعة، فأيًّا كانت الإجابة لهذا اللغز فقد وعدتْنا زوي بإخبارنا إياها بعد خمس عشر دقيقة. ويمكنناأن نمنح زوي ربع ساعةأخرى.



الفصل

١٥

تغير رهيب في الأحداث

وَتَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ.

مزمور ٣٧: ٤

خرجت زوي في السادسة تماما من حجرة نومها، وقد غيَّرت ملابسها ومشَّت شعرها وبدت مثل أميرة. ونظرت لكلٍّ من الثلاثة أصدقاء وابتسمت بغموض، لكنَّها لم تقُل شيئاً. وبعدها بلحظةٍ تقريباً، سمعوا دقّاً على باب الجناح. ودخل السيد ألفونس والسيد بيجز ورجل أكبر سنًّا مشهوراً لكنه لم يكن معروفاً لديهم.

بذلت زوي جهداً كبيراً في ألاَّ تضحك وهي تقوم بتقديم الجميع لأحدهم الآخر فقالت: إد، أودُّ أن أقدِّم لك السيد ألفونس ومساعده السيد بيجز.

انحنى الفونس لإد الذي كان مذهولاً لدرجة لم يتمكَّن معها من الحركة. استمرَّت زوي في التقديم قائلةً: "في" والسيدة أوفلاهرتي أنتُنَّ تعرفن السيد ألفونس لكنَّكُن لم تقابلن السيد لويجي فيفانتى. سيدي هذه الآنسة ترافيللا وعزيزتنا وصديقتنا العزيزة السيدة أوفلاهرتي.

انحنى الرجل العجوز قليلا لإد و"في" ثم فعل أكثر الأشياء غرابة.

مشى عبر الغرفة حيث كانت السيدة أوفلاهرتي تجلس، وانحنى بقوة لها من وسطه وقال: أنا مسرور بحق لمقابلتك يا سيدة أوفلاهرتي. وأنا هنا بسبب إخلاصك.

دُهشت السيدة أوفلاهرتي لدرجة لم تستطع معها التحدُّث ببساطةٍ. ورفعت يدها، فأخذها الرجل وقبَّلها برقَّةٍ.

مرَّت لحظة قالت بعدها السيدة أوفلاهرتي أخيراً: سُررتُ برؤيتك أنا أيضا يا مايسترو فيفانتى.

دارت نظرة حيرةٍ بين "في" وإد حين سمعوا مايسترو فيفانتى؟

تحدَّثت زوي للسيد ألفونس قائلة: إنهم يعلمون أنك لست الشخص الذي تظهر به ، لكنَّهم لا يعلمون من أنت.

دخل السيد ألفونس الحجرة تاركاً السيد بيجز واقفاً عند الباب. وقال: قبل أن أشرح لكم من أنا، عليَّ أولاً أن أخبركم سبب مرافقة المايسترو

فيفانتي لي حتى هنا.يا سيدة أوفلاهرتي إنَّ لديْك أكثر صديق وفاءاً في الدنيا ألا وهي الشابة زوي. قلةٌ من الناس من يحالفهم الحظ بوجود مثل هذا النوع من الأصدقاء.فقد أطلعتني زوي على تاريخك وتاريخ زوجك. وقالت لي عن أملك في أن تُعزف موسيقى السيد أوفلاهرتي في يوم من الأيام وأن تحظى بالاعتراف اللائق بها والذي تستحقه. ففكَّرت أنَّ بإمكاني المساعدة. فقد كنت أعرف صديقاً قديماً لي، وكان المايسترو في نيويورك، وقلت أنه الشخص الذي يمكنه تقييم مؤلفات زوجك الموسيقية بطريقةٍ صحيحةٍ. لكني أردت أن أقابلك أولا. أتذكُرين الظهيرة التي أتيت إليكم فيها غير مدعوٍّ، وأنت دعوْتني على الشاي؟ إنَّ كرمك معي، ولباقتُك في الحديث، وحبُّك لزوي، أقنعني بإخلاصك وحسن تدبيرك. فقلت للسيد بيجز في ذلك اليوم أنني قد قابلت امرأةً رائعةً بحقٍّ تستحقُّ كلَّ المساعدة.

كانت عينا السيدة أوفلاهرتي الزُّرق تُشعَّان وسألت: لكن كيف...؟

جرت زوي وجلست على الأرض بجوارها. وهتفت قائلة: آه، من فضلك سامحيني يا سيدة أوفلاهرتي. فقد أعطيت موسيقى زوجك للسيد وهو أعطاها للمايسترو فيفانتي. كنت أعلم أنك تضعينها في حقيبة ملابسك القديمة، فاستعرتُهم في صباح أحد الأيام حين كنت تعتنين بفرجينيا. لم أستطع إخبارك حينها، فأنا لم أكن أريد لك أن تُصابي بالإحباط. وكان عليَّ أن أعرف رأي المايسترو أولا قبل أن أقول لك. أنا آسفة جدا لاحتفاظي بالأمر سراً لكني لم أرُد أن تُجرحي إذا...

تقدَّمت السيدة أوفلاهرتي للأمام وربَّتت على شعر الفتاة الأشقر بنعومةٍ وبصوتٍ يموج بالمشاعر قالت: لا أكاد أصدِّق أنك تذكَّرت قصَّتي. لا يوجد شيء يستحق الغفران يا عزيزتي، يا ابنتي العزيزة.

تحدَّث المايسترو فيفانتي بعد ذلك، بلغةانجليزية جيدةٍ جدا مُمتزجةٍ بلكنة ايطالية، قائلا: أحضرَ لى صديقي العزيز والقديم الموسيقى ، وأنا وافقت على تفحُّصها. أعترف أنِّي لم أكُن متفائلاً. فقائد اوركسترا له بعض الشهرة مثلي كثيراً ما تأتيه أعمال لموسيقيين مكافحين. وأنا دائما- مكتشفُ المواهب الجديدة. لكن من المؤسف أنَّ معظم ما يُعرض عليَّ دون المستوى. أما زوجك، السيد أوفلاهرتي، فعبقري يا سيدة أوفلاهرتي. أعتقد أنَّ موسيقاها كانت سابقةٌ جدا لعصرها.

هزَّت السيدة أوفلاهرتي رأسها موافقة لكنها لم تقُل شيئاً.

أصبح صوت المايسترو أكثر نعومة وهو يُكمل قائلاً: لقد حلم زوجك بموسيقى من نوع جديد، وأنت حافظت على حُلمه حيّاً لسنينٍ طويلةٍ. وأنا آمل الآن أن أجعل هذا الحلم حقيقة. ففي هذا الخريف، سأقود موسماً كاملاً لاوركسترا نيويورك السيمفوني. وقد قرَّرت بالفعل البرنامج الموسيقي للموسم، لكني أودُّ أن أُجري به بعض التعديلات. وأنا هنا لأحصل على إذنك وموافقتك يا سيدتي، بأن يحدث الظهور الأول لموسيقى إيان أوفلاهرتي الايرلندي في أول حفلٍ سيمفوني في الخريف. سيشرِّفني كثيرا أن أقدِّم أعماله واسمِه للعالم. وأتوقَّع أنَّ هذا لن يكون سوى بدايةٍ للعديد من الحفلات لكلِّ أعماله ومؤلفاته الموسيقية.

كانت الدموع تنساب على وجنتي السيدة أوفلاهرتي وهي تقول: سيتحوَّل حلمي لحقيقةٍ يا مايسترو.ليس لى إلاَّ أن أقدِّم موافقتي و جزيل شكري وامتناني.

فقال المايسترو: رائع. والآن لديَّ طلب آخر. أنت تعرفين أعماله أكثر من أيِّ شخص آخر على قيد الحياة، وأنا فهمت من الآنسة زوي أنك أيضا عازفةٌ موهوبة. فبالتالي يمكنك أن تقدِّمي لي خدمةً جليلةً عن طريق تفسير توزيعاتها كما قصد زوجك أن تُعزف وتُقدَّم.كما أنَّ زوجتي وأنا نودُّ أن تقيمي معنا هنا في نيويورك. ثم أضاف بابتسامةٍ: أحبُّ أنْ أحذِّرك بأنني سأجهدك في العمل، هذا إذا قبِلتي دعوْتي.

نظرت السيدة أوفلاهرتي إلى إد و"في" متسائلةً.

فهتفت "في": آوه، يجب أن تَبقي يا سيدة أوفلاهرتي.

هزَّ إد رأسه موافقاً، فقبلت السيدة أوفلاهرتي الدعوة بابتسامةٍ عريضةٍ رائعة والمزيد من الدموع.

قال المايسترو: حسنا، اتّفقنا. وصفَّق بيديه بمرحٍ وأكمل: يجب عليَّ الآن أن أرحل، لكني سأعود غداً ثانيةً إذا كان هذا مقبولا لديكم، فلدينا الكثير من التفاصيل التي علينا مناقشتها. آه، لديَّ كلُّ الموسيقى، وسأنسخها، وأعيد إليك كلَّ أصول مؤلفات زوجك ما إن ينتهوا من نسخها. لأنهم كنوزٌ يا سيدتي.

فقالت السيدة أوفلاهرتي: نعم،إنهم كنوز قلبي.

فقال المايسترو: حسنا، أراك غدا. وانحنى لها مرة أخرى ثم نظر لزوي وقال: أتمنّى أن أراك أنت أيضا يا آنسة، فأنت من جعل كلَّ هذا مُمكناً، كما تعلمين. فيا لك من فتاةٍ غير عادية.

ثم استدار للآخرين وعبَّر عن سعادته بمقابلة "في" وإد. ثم قال للسيد ألفونس: سننتظرك على العشاء غدا مساءا يا فرانسوا. أرجو أن يكون تنكُّرك هذا قد انتهى حينها.

قال فرانسوا: سيكون كذلك. على الأقلّ بالنسبة للجزء الأعظم منه. وبانحنائةٍ سريعةٍ أخرى ذهب المايسترو.

سألت السيدة أوفلاهرتي: هل هذا حدثَ بحقٍّ. دون أن تحدِّد شخصاً معيَّناً وكأنها تسأل نفسها.

أجاب السيد ألفونس: إنه حقيقي مثل حقيقة جمال موسيقى زوجك يا مَدام.

بكَت زوي فرحاً وقالت: لقد كنتِ على حقٍّ طول الوقت يا سيدة أوفلاهرتي.فطُوال هذه السنين كنت تؤمنين به وكنت على حقٍّ. وكلُّ شيءٍ أصبح الآن حقيقياً.

قال إد: ليس كلُّ شيء. ونظر للسيد ألفونس مباشرة وقال طالبا: من أنت؟

ودون لحظة تردد أجاب السيد: اسمي فرانسوا ألفونس لكروا دي سينورا. توجد أسماءٌ كثيرةٌ أخرى قبل لاكروا لكني نسيتهم.

اندفعت زوي قائلةً: إنه الكونت دي سينورا، وهو دبلوماسي مهمٌّ جدا من فرنسا. وهو هنا متنكِّر. لذلك عرفناه باسم السيد ألفونس.

قال السيد الفرنسي بابتسامةٍ متساهلةٍ: زوي لقد قلتُ لك عدّة مرات أن دولتي جمهورية. وأن عائلتي لم تعُد تحمل أيّة ألقاب. أنا ببساطةٍ السيد لكروا.

أخرجت "في" غصباً عنها لهثةً خفيفةً وقالت: آه، هذا يفسِّر الكثير، رغم أنه ليس كلُّ شيء. أعتقد أنني أحتاج للجلوس قبل أن تُخبرنا بالقصة كلها. فقد ذُهلت بكلِّ ما حدث في الدقائق القليلة الأخيرة. فأشارت للسيد فرانسوا للجلوس على كرسيٍّ مريحٍ ثم جلست هي على

الأريكة.و أنضمَّ إليها إد التي لاحظت أن يديْه ترتعِشان قليلاً، فسرَّت لإحساسها بأنها ليست الوحيدة التي تشعُر بالإثارة.

تذكَّرت "في" آدابها السلوكية فطلبت من السيد بيجز أن ينضمَّ إليهم، لكنه هزَّ رأسه وظلَّ في مكانه بجانب الباب.

قالت السيد لكروا: آسف لتضليلي إياكم، لكنه كان أمراً ضرورياً. وأرجو منكم أن تحتفظوا بالأمر سرّاً بيننا لعدَّة أيامٍ قليلةٍ أخرى. فأنا سأكون سفير بلادي لكم، وسيتمُّ إعلان هذا في أوائل الأسبوع القادم، بعد عودتي لواشنطن. وحينها سأصبح السفير لكروا، لكنني أردتُ قبل أن أتسلَّم الوظيفة، أن أَرى بلدكم بنفسي- لا كسفير لكن كرجل أعمالٍ عاديٍّ. لذا أصبحت السيد ألفونس تاجر التُّحف. وذهبت لعدَّة أماكن- ممفيس و سانت لويس وشيكاغو وبوسطن- وتعتبر نيويورك محطتي الأخيرة. لم تكن حكومتكم راضيةً برحلتي، لكنهم وافقوا شريطة أن أكون بصحبة عميلٍ من القضاء. وهو السيد بيجز الذي هو في الحقيقة رائد متقاعدٌ في جيشكم وهو يحميني في كلِّ تحرُّكاتي. فواجباته الأساسية حماية الرئيس وبالتالي فأنا محميٌّ بشكل يفُوق العادي.

سأل إد: لكن هل يعلم آل ديسبارد هُويَّتك الحقيقية؟

أجاب السيد لكروا: لا، لكنِّي سأخبرهم غدا. ثم نظر للسيدة أوفلاهرتي وقال: أرجو أن تغفري لي دوْري في خداع زوي القليل. فقد اقترحت أن يبقى الأمر سرّاً حتى نحصُل على حكم المايسترو.

فقالت السيدة أوفلاهرتي: أنا لستُ مولعةً بالأسرار لكنِّي أيضا غير مولعة بالآمال الكاذبة، لذاأظنُّ أني كنت سأفعل مثلكم فى مثل هذه الظروف. وأنا لا أحتاج لأن أغفر لمن جلبَ لي الكثير من السعادة مثل التي أشعر بها الآن يا سيدي.

ثم أضافت: ويبدو أنَّ زوي على الجانب الآخر، كانت تُجاهد للحفاظ على الأسرار. قالتها بابتسامةٍ للفتاة السعيدة التي تجلس عند قدميها.

اعترضت زوي قائلةً: لقد أردتُ أن أقول، لكني لم أستطع أبداً. فقد كنت أخشى من ألاَّ يرى المايسترو روْعة موسيقى السيد أوفلاهرتي. لأنَّك كنت تقولين دائما أنها سابقة لعصرها، وكنتُ أخاف من أن تكون الموسيقى سابقةً له. لكن حين ذهبنا لأستوديو المايسترو بالأمس، عزف

لنا جزءاً من أحد المقطوعات، وأدركتُ حينها كم هي رائعة.

سألت "في": هل الأستوديو قريبٌ من هنا؟

قالت زوي: على بعد مَجمعين من الفندق تقريبا في هذا الشارع. لقد قابلت السيد فرانسوا بالأمس حين ذهبت لأتمشّى، وقرّرنا كلّنا أن نُخبركم الليلة بكلّ شيء. كما أصرَّ المايسترو على أن يقابل السيدة أوفلاهرتي شخصيا.

تنهّدت "في" قائلة: فهمت.إنَّها أخيرا قد فهمت بالفعل.

سأل إد زوي مُستفهماً: لكن لماذا طلبت مساعدة السيد لكروا؟ فمن غير الطبيعي أن تطلُبي شيئاً مثل هذا من شخص لم تقابليه من قبل أبدا.

ضحكت زوي قائلة: لكني كنت أعرفه، كان صديقٌ لوالدي، ورأيته عدَّةِ مرَّاتٍ في باريس. وهو أيضا عرفني في أولِ مرة رأيته فيها عند آل ديسبارد.

أضاف السيد لكروا: لقد طلبتُ منها ألاّ تخبر أحد، لأني سأضطّر لإنهاء رحلتي في الحال إذا تمَّت معرفة هُويَّتي الحقيقة. لكني الآن متشوِّقٌ جدا لعوْدتي لواشنطن،لأنِّي أفتقد عائلتي جدا.

قال "في" دون تفكير: عائلتك؟

فأجاب بفخرٍ واضح: لديَّ زوجة وولديْن مشاكسيْن ورضيعةٌ رائعة. سيلحَقون بي في السفارة الأسبوع القادم. لقد تعلّمت كثيرا عن الولايات المتحدة أثناء جوْلتي، لكني تعلمت شيئا أكثر أهمية. موطني على الأرض يمكن أن يكون في أيِّ مكان مادامت عائلتي معي.

قال الجملة الأخيرة بابتسامةِ خجولٍ لم يرَها أيّاً منهم من قبل. ففكَّرت "في"، هذا رجل حقيقي- الزوج والأب المُحِب. كم كنتُ متسرِّعة في إصدار حكمٍ خطأ. كنت على وشك ارتكاب خطأٍ فظيعٍ.

كان السيد لكروا ينظر لكلِّ منهم بدوْره وكانت عيناه تلمعان بطريقةٍ ذكَّرت "في" بوالدها، ثم بابتسامةٍ عريضةٍ قال: أما عن خِداعي فأرجوكم أن تسمحوا لي بالقيام بتعويضٍ بسيطٍ عن طريق دعوَتكم لتناوُل العشاء هذا المساء. سيكون لدينا احتفال. سنحتفل بجمال موسيقى عظيمة، وولاء أصدقاء مُحبين- وأشار لزوي- القوة المحرِّرة للحق.

وافقوا كلهم وقرَّروا أن يتناولوا عشاءهم في المطعم الذي حجزت به "في" بالفعل.

قال السيد: لديَّ معروفٌ آخر أود أن أطلبه منكم، من فضلكم أنا لازلت السيد فرانسوا تاجر التحف الذي من باريس.

كانت الساعة قد قاربت الثانية عشر مساء ومع هذا لم تكن "في" قادرةً على النوم. فجلست في سريرها، واضعةً طاوِلةً صغيرة للكتابة على حِجرها. وكتبت خطابا لوالدتها- مختلف تماما عن الذي كانت تنْوي كتابته قبل زيارة السيد لكروا والمايسترو فيفانتي.

كان الفندق هادئا والأصوات الآتية من الشارع بدت بعيدةٌ جدا. و نسمة جميلة تأتي من النافذة المفتوحة. كانت "في" تشعُر بجسدها يرتاح بعد الأحداث الكثيرة المشحونة لليوم، ولأوّل مرة منذ عدَّة أيام كانت تشعر بالهدوء بحق.

كان لها قبل هذا حديثٌ طويلٌ مع أبيها السماوي، تُخبره فيه عن مخاوفها وتطلب الغفران على إساءتها الحكم وطلبت معونته وهي تُجاهد لفهم المعنى الحقيقي لتحمُّل المسئولية عن الآخرين. قالت:

يا رب، حدث الكثير في هذه الرحلة، وأرى الآن أنك كنت تُحاول تعليمي طُوال الوقت عن المسئولية والثِّقة. لقد حميتني من ارتكاب خطإٍ فظيعٍ بخصوص السيد لكروا وزوي العزيزة جدا. أشكرك على أمانتك وجودِك الرحيم في حياتي يا رب. وأشكرك على صبرك معي حين أُجاهد مع عدم صبري. وأشكرك على تحقيق حلم السيدة أوفلاهرتي التي حملته لسنين طويلة، لأنها بحق انتظرت بسكون ولم تتخلَّ عن الأمل أبدا.

وأثناء صلاتها أصبحت أكثر وعياً بشعور قوي بالتَّجديد وأبيها السماوي يُنير قلبها. من الجيد أن يكون لنا رجاءٌ فيك يا رب.

بهذه الروح الفرحة بدأت "في" خطابها لوالدتها، والقصة التي حدثت في الأيام القليلة الماضية بدت تتدفَّق من قلمها.

كان الجميع نائمين منذ أكثر من ساعة على الأقل-أو هذا ما ظنَّته "في". وكانت تنهي كتابتِها حين سمعت دقّاً بالباب، فنظرت لأعلى لترى زوي تنظُر خلسةً لترى إن كانت مستيقظةً أم لا.

قالت زوي بقليلٍ من الخبث: كانت لمبتُك مضاءة.

أجابت "في": كنت أكتبُ خطاباً لماما لكن يمكنني أن أُنهيه غدا، تعالي.

اقتربت زوي من السرير قائلة: كان عليَّ أن أقول لك كم أنا آسفة على عدم انفتاحي معك. لم أكن أظنُّ أنَّ هذا عدم صدق، لكنه كان كذلك. إنه سيءٌ مثل الكذب تماما.

قالت "في": يمكن، حتى حين ننوِي أن نفعل خيراً، أنا متفهِّمة عدم رغبتك في إخبار السيدة أوفلاهرتي، لكن حقيقة يا زوي كان يجب أن تخبريني، كان هذا سيوفِّر على الجميع الكثير من القلق.

أنزلت زوي رأسها وتنهَّدت قائلة: أعلم هذا الآن، لكنك كنت مشغولةً جدا مع عمتك وابنتها ثم في العيادة، فما فعلتيه للآخرين بدا في منتهى الأهمية، ولم أكن أريد أن أُزعجك. حتى قلت لي على العشاء كم كنت قلقةٌ عليَّ، فأنا لم أفكِّر أبدا بما سيفكِّر فيه الآخرين بخصوص أسراري الصغيرة. لقد أردت فقط أن أعمل شيئا جيدا للسيدة أوفلاهرتي وأن أصنع منها مغامرةً.

اعترفت "في" قائلة: وأنا أيضا أخطأتُ، كان يجب أن أتحدَّث معك. لكنِّي كنت أظنُّ أنَّ مواجهتك بشكوكي سيجعلك تعتقدين أني لا أثق فيك. لكني أفهم الآن أنني أظهرت نقص الثِّقة حين لم أتحدَّث معك مباشرة. فلو كنت واضحة معك لصَلُحَ حالُ كلِّ شيء. لكني تعلَّقت باستنتاجاتٍ كلِّها خاطئة، وأنا آسفة جدا يا زوي.

جلست زوي على السرير وتنهَّدت قائلة: أعتقد أنني يجب أن أعتذر لإد أيضا. حتى بالرغم من وضوح كلِّ شيء الليلة. يمكنني القول بأنه كان غاضباً جداً منِّي.

قالت "في": نعم،أرى أنه من الواجب عليك أن تعتذري له. لكني لا أرى أنه غاضبٌ منك بحق. بل مُستاءٌ من نفسه- لأنه تصرَّف كما أراد- أي قفز لاستنتاجاتٍ متسرِّعة وتحرَّى عن السيد ألفونس- أقصد لكروا. لذا فهو مستاءٌ جدّاًمن نفسه. فلقد مرَّ بتجربةٍ منذ سنين عديدة علَّمته أن يحسب عواقب تصرَّفاته جيدا. وحين يتصرَّف باندفاعٍ- مثلما نفعل جميعا أحيانا- يشعر بأنه أحمق.

قالت زوي: أن نفكِّر قبل أن نتصرَّف. درس يجب على جميعنا أن

نتعلَّمه، وخصوصا أنا. فكلُّ شيء انتهى على خير هذه المرَّة. آه، يا عزيزتي، كدْتُ أُسبب مشاكل كثيرة جدا للكونت- السيد لكروا. ماذا لو ظنَّ الناس بحقٍّ أنه واحد من صائدي الثروات؟ هل تعتقدين أنني يمكن أن أهرب معه أو مع أي شخصٍ آخر؟

فكَّرت "في" للحظة ثم قالت: حقيقة يا زوي نعم ولا، فأنا أثق بك حقا، لكننا أنا وأنت لازلنا صغاراً ولا تعرف أيٌّ مِنا أصحيح ماتفعل أم لا؟.

ضحكت زوي بنعومة: هذه حقيقة، وربما سمح الله بحدوث كلِّ هذا لنتعلَّم أن نكون أكثر حكمة في اختياراتنا.

قالت "في": أظن هذا. لدي ابنة عمٍ قالت لي شيئاً رائعاً، قالت أننا ننمو في كلِّ يوم نحو الله. وقالت أن النُّمو هبةٌ رائعة مادامت قلوبنا مفتوحة لله ومستعدِّين لتعلُّم الدروس التي يعلِّمنا إياها، وقالت أن نكون حكماء معناه أن نُقرَّ بأخطائنا ونتعلَّم منها.

قالت زوي: حسنا، لقد تعلمتُ أنَّ إخفاء أسرارٍ يمكن أن يكون ضاراً، حتى حين تكون هذه الأسرار جيدة.

قالت "في": إنَّ إد سيقول أنها مسألة التفكير المُسبق في الأمر واعتبار الاحتمالات. توجد أوقات نستطيع فيها إخفاء أسرار، إذا كانت ستضرُّ بشخص أخر. ثم توجد أسرار صغيرة، كالذهاب لمنح صديق هدية عيد ميلاد. فأنا لا أريد التخلِّي عن هؤلاء. هل أنت؟

أجابت زوي بسرعة: آوه، لا. فالهدايا مفاجآت كبيرة. أليس كذلك؟ أقصد، أنها تجلب السعادة للشخص الذي نهتم به.

وافقت "في" وقالت: إذا اعتذرت لإد سيكون هذا بمثابة تقديم هدية له، ولكِ. لأنَّ هذا سينقِّي الجو بينكما، وسيشعُر كلاكما بالتحسُّن.

قالت زوي باقتناع: سأفعل هذا أول شيء في الصباح، هل سيعود للجامعة غدا؟

قالت "في": لقد أخذ أجازة أسبوع من أستاذته وسيبقَى حتى يوم الأحد القادم. فهو يرغب في مساعدة السيدة أوفلاهرتي في الانتقال لمنزل المايسترو فيفانتى وزوجته. وهو يخطِّط لتوصيلنا للمحطة والاطمئنان على سلامتنا حين يحين موعد مغادرتنا، فقد أرسل تلغراف لماما الليلة يُعلمها بيوم وموعد عودتنا ووعد بالاطمئنان على سلامة ركوبنا للقطار.

وبقليلٍ من الإقناع وافق على أني أصبحت كبيرةً بما يكفي لأن أكون مُرافقة لك. ثم أضافت بابتسامة: سيكون السفر غريب بدون السيدة أوفلاهرتي، لكني سعيدة جدا لأجلها. فهي لم تفقد إيمانها طوال هذه السنين.

قالت زوي بصوتٍ حالمٍ: أنه رائع، أليس كذلك؟ أرى أنَّ السيدة أوفلاهرتي أكثر الأشخاص الذين أعرفهم رومانسية.فأَنْ تحبُ شخصاً لدرجة أنه لا يوجد لديها نحوه أيَّةَ شكوك-هذا هو نوع الزواج الذي أريده.

رفعت "في" يدها لأعلى وضحكت قائلة: بعد الأسبوع الذي قضيناه لتوِّنا، لا أريد أن أفكِّر في مسألة زواجك لمدةٍ طويلةٍ، لمدة طويلة جدا.

ابتسمت زوي:لم يزل أمامي الكثير لأتعلَّمه قبل أن أفكِّر في الزواج من أحد. فأنا لازلت في السادسة عشر كما تعلمين. ووقفت لتذهب لغرفتها، لكنها أضافت بغمزةٍ: أنت أكبر بكثيرٍ منِّي. أنت في الثامنة عشر، وهذا يعني أنك لم تعودي فتاة. بل سيدةٌو في مثل سنك تحتاج لأن تريح جمالها. أليس كذلك؟لذا نامي الآن يا سيدة "في" العجوز.

ضحكت "في" وصديقتها تخرج من الغرفة، ثم وضعت أدوات كتابتها جانبا، وأطفأت النور واستلقت على وسادتها، وتأمَّلت في كلمات نكتةِ زوي: لم تعودي فتاة. وتساءلت "في" عن السبب الذي جعلها تصبح بالغة. لقد كان عيد ميلادها منذ أسبوعين مَضوا، لكن كان الجميع مشغولين بفرجينيا والرضيعة لدرجة أنه مرَّ دون أيِّ احتفال. هل أصبحت أكثر حكمة تجعلنى أبدو أكبر من سنِّى؟

ثم خطر على بالها فكرة: هل كانت أمها تقصد بهذه الرحلة إلى نيويورك أن تكون أكثر من مجرد تمضية أجازة؟ هل منحتها أمها الحبيبة هذا الوقت لتختبر معنى أن تكون إنسانة بالغة مسئولة عن نفسها؟ أن تتَّخذ قرارات تؤثِّر على الآخرين مثلما تؤثِّر عليها.

لم يكن من الممكن أن تعرف ماما أنني سأقابل د.فرايزر أو أن أتعلم الكثير عن ما يعنيه خدمة الآخرين بحق مثلما تفعل أماليا. كما لم يمكن أن تعلم عن السيد فرانسوا أو المايسترو. ثم ابتسمت "في" لنفسها. لكنها كانت تعرف أن شهراً في نيويورك سيجلبُ مغامرات جديدة لحياتى، شيئاً يمكن أن يتحدَّاني. لو كانت ماما هنا معنا، كانت ستعالج الأمور

بطريقة أفضل مني بكثير. لكن ليس هذا ما يهُم. أليس كذلك؟ لقد أرادت أن يكون هذا وقت أتعلم وأكبر فيه. لقد أخرجتني خارج العُش حتى أتمكّن من الطيران. كانت هذه هدية عيد ميلادي منها- الفرصة لاختبار جَناحي.

ثمَّ قالت بصوتٍ مرتفع في الظلام: لدي الكثير لأخبرك به عن رحلة طيراني يا ماما، لقد كانت الرِّيح هائجة، لكن على الأقل لم أسقط. وبالرَّغم من أخطائي- أو ربما بسببهم- أشعر بأني أقوى، ورحلة طيراني القادمة ستأخذني أبعد قليلا وأعلى، ولن أكون خائفة لعلمي أنَّ الله مُمسكٌ بي في يده.

كانت آخر أيام لهم في نيويورك دوّامة من النشاط للجميع. كان أول وأهمُّ شيء قاموا به هو انتقال السيدة أوفلاهرتي. ليس لأنَّ لديها الكثير لتنقله، لكن لأنَّ زوي أصرَّت على أنَّ السيدة أوفلاهرتي تحتاج ملابساً جديدة لوظيفتها الجديدة، ولم يكن أمام "في" سوى أن تُوافق. لذا عادوا للمحلات وبيوت الأزياء. وبطريقة ما، رتَّبت الفتيات وقت للقيام بالمزيد من الزيارات السياحية بمرافقة إد.

التقت السيدة أوفلاهرتي عدَّة مرات بالمايسترو، وأصرَّ إد على أن تقابل السيد فيليبس، لاحتياجها الحالي لمحامٍ ماهرٍ ليمثِّل مصالحها ويحمي أعمال زوجها.

لم تستطع "في" المغادرة دون زيارة د.فرايزر والعيادة مرة أخرى، وبهذه المناسبة طلبت زوي أن تذهب معها. أوضحت د.فرايزر بما لا يدعُ مجالاًللشّك بأنها ستساعد "في" بأيِّ شيء تحتاجه لتحقيق خطتهالإقامة إرساليتها. وكانت لديها بعض الأخبار الجيدة- الصبي الذي كان قد أصيب في المغسلة شُفي وعاد للمنزل لجدته. وحين يستردُّ قوَّته، سيذهب للمدرسة، وتمَّ الترتيب لحصول جدته على معاشٍ سخيٍّ لكليهما.

لم تقل د.فرايزر من أين أتى هذا المعاش. وعلَّقت زوي على الأمر حين كانت هي و"في" تغادران العيادة قائلة: أعلم من أين أتى المعاش؟

قالت "في" وأنا أيضا، وإن كنتُ أشك في أنها ستعترف بأنها المتبرِّعة. فهي تبقي دائما على منارتها مختبأةً تحت المكيال، ومع هذا، فإن نورها يشعُّ ويضيء ويراه الجميع.

قالت زوي: فهمت الآن لماذا كنت تحتاجين للمجيء للعيادة، فعمل د.فرايزر بمثابة منارة بالنسبة لك، أليس كذلك؟

قالت "في": هذا حقيقي. لقد أرَتْني أنه ليس كافيا أن يكون لك حلم أو إحساس بالدّعوة. وعلَّمتني أهمية أن تكون لنا رؤية. وأنني إذا أردت أن أخدم الآخرين عليَّ أن أكون عملية وواقعية. كماعلمتني مساعدة الأطفال في العيادة الكثير عن الإنصات للآخرين. فقد رأيت والديْن يجلبون صغارهم للرعاية الصحية. ود.فرايزر تقضي وقتاً تتحدَّث فيه مع كلِّ الأطفال وتعلم عنهم في كثيرٍ من الأوقات بأنَّهم لم يكونوا مرضى، لكنهم في احتياج للغذاء أو ملابسٍ لتدفئهم.وفى هذا أيضاً فإنهاتستطيع أن ترسلهم لبعض الكنائس التي تقدِّم لهم وجبات غذائية أو للإرساليات التي تمنح ملابس.إنَّ نظريَّتها فى أن تكون عمليَّةمعناه أن تَعلم متى لا تستطيع تقديم المساعدة في حين يستطيع غيرها. فما فعلته للصبي مايكل وجدته نابعٌ من قلبها. لكن يوجد آلاف من الأطفال مثله، وأماليا لا تستطيع مساعدتهم كلِّهم. وكذلك فواقعية عندها تعنى استخدام الحسِّ السليم وألاَّ تحاول أن تفعل كل شيء بنفسها. وأخبرتني أن خدمة الآخرين تتطلَّب كثيرا،أكثر من طلب المساعدة من الآخرين.

سألت زوي بقليل من التردُّد: هل تعتقدين أن بإمكاني أن أساعدك حين تفتتحين إرساليتك؟ أنا أعلم أنك ستفتتحين واحدة في يوم ما يا "في"، مثلما تحقَّق حلم السيدة أوفلاهرتي أخيرا، وأنا أودُّ أن أساعدك. أنا أبدو أحيانا خفيفة العقل، لكني يمكنني أن أكون عملية عند اللزوم.

أجابت "في": أنا أعلم أن بإمكاني الاعتماد على معونتك وصداقتك دائما.

قالت زوي: سيكون لك هذا دائما مهما كان.

استمرَّ السيد مريوثر دوماً سائقهم الوفيّ، وارتبك وشعر بالحرج حين قدَّم له إد ظرفاً به شيكا مكتوب به مبلغ كبير، كما منحته "في" سلَّة مليئة بهدايا لكلِّ واحد من أبنائه. قبِلهم السيد مريوثر قائلا: أنا مقدِّر جدا لكرمكم الشديد. لكن في الحقيقة، أنني استمتعتُ جدا باستطاعتي على تقديم المساعدة. وسأفتقدك يا آنسة ترافيللا، أنت وكل أصدقائك. وحين تعودون لنيويورك مرة أخرى، أخبروا مدير الفندق ليُعلمني. فقط قولوا له أنكم تريدون كيفن مريوثر ليكون في خدمتكم.



الفصل

١٦

مفاجأة أخيرة

قِفُوا عَلَى الطُّرُقِ وَانْظُرُوا وَاسْأَلُوا عَنِ
السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ: أَيْنَ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّالِحِ؟
وَسِيرُوا فِيهِ

ارميا٦: ١٦

دعَي آل ديسبارد كلاً من إد و"في" وزوي والسيدة أوفلاهرتي عندهم على العشاء آخر ليلة سبت لهم في نيويورك. كانت أمسية خاصة،فكما قالت لهم السيدة ديسبارد أنه لن يكون معهم ضيوفٌ آخرون، لكن كانت هناك مفاجأة في انتظارهم. فحين دخلوا ردهة منزل آل ديسبارد وجدوا السيد لكروا واقفاً في انتظارهم!.

قالت السيدة ديسبارد بفرح: لقد أخَّر سفره لواشنطن لمجرد أن يتمكَّن من رويتكم كلِّكم مرة أخرى، أرجو أن تغفروا لي هذا السرَّ الصغير.

قال السيد لكروا بضحكةٍ قلبيةٍ: أرى أننا نحتاج للاتِّفاق على أن يكون هذا آخر الأسرار.

كان قطار "في" وزوي سيغادر في الرابعة بعد الظهر، وبعده بقليل قطار إد، لذا قرَّروا أن يكون آخر أحد لهم في نيويورك لأنفسهم. فحضروا خدمة الأحد في أقرب كنيسة للفندق، وتمشّوا عائدين عبر المنتزه. وكانت السيدة أوفلاهرتي في انتظارهم وقد طلبت لهم وجبة غداءٍ لذيذةٍ كوداعٍ.

قال إد بعد أن صلَّى طالبا بركة الله على الغذاء: إنَّ ماما خطَّطت لهذه الرحلة لكما يا بنات حتى تتسوَّقوا وتتعلَّموا تاريخ نيويورك، لكنها لم تكن تتوقَّع أن تصنعوا تاريخاً. لكن هذا ما حدث وبفضل زوي. فسرعان ما سيعلم العالم تلك الموسيقى الرائعة للمؤلف والموسيقي العظيم والحديث.

احمرَّت وجنتيْ زوي وقالت: كل هذا بسبب السيدة أوفلاهرتي، فقد كان إخلاصها، كما قال المايسترو، هو الذي جعل كلَّ شيءٍ مُمكن.

قالت "في": والسيد لكروا، لأنه رجلٌ صالحٌ بحق، ومجرَّد التفكير في أنني أسأتُ الحكم عليه يجعلني انكمش. لكني تعلَّمت درسي.

قالت السيدة أوفلاهرتي بابتسامةٍ عريضةٍ: لقد تعلمنا جميعاً العديد من الدروس. والآن، دعونا نتعهَّد بألاَّ ننساهم. ورفعت كوب ماء، وتبِعها

الآخرين وقالت: أقترح نخْب الصدق الدائم بين الأصدقاء.

لاصقوا أكوابهم ببعضها وضحكوا موافقين.

أضافت "في": ولا مهاماً سريةً بعد الآن. ثم نظرت لزوي وقالت: تذكُرين حين قلت لي أنك قد تكونين في مهمةٍ سريةٍ؟ اعتقدت حينها أنك تمزحين،وقلت أنك لن تتمكّني أبدا من الإبقاء على سرٍّ، لكنك أثبتّي خطئي- أنت والسيد لكروا والمايسترو فيفانتي.

اختف ابتسامة زوي واتّسعت عيناها الزرق وقالت: آه، كدتُ أنسى مهمتي السرية؟ لم تكن ما ظننت يا "في". لكنها كانت مهمة سرية أخرى مختلفة تماما.

مدّت السيدة أوفلاهرتي يدها عبر المائدة وربّتت على يد زوي وقالت: ربما حان الوقت الآن لتُعلني عن مفاجأتك أيتها الشابة.

وقفت زوي وقالت: أنه وقت ممتاز. وتحوّلت ابتسامتها لإشراقةٍ رائعةٍ وهرعت لحجرتها وسمع جميعهم ضجّة دولابها تبِعها الكثير من الضجيج والضوضاء.

فعلّق إد: أنا لستُ متأكد من قُدرتي على تحمّل مفاجأةٍ أخرى، ما هي هذه المرّة يا سيدة أوفلاهرتي؟ هل تُخبئ الجيش الفرنسي كلّه في دولابها؟

ابتسمت السيدة أوفلاهرتي ابتسامةِ خبيرةٍ وقالت: انتظروا عدّةِ لحظاتِ أخرى فقط.

عادت زوي للظهور وهي تحملُ شيئاً كبيراً مستطيلاً بين ذراعيها. كان ملفوفاً في ورقٍ قرنفلي ومربوط بشريط ارجواني.

وأتّت ل"في" وبدأت تقول وكأنها تخطب وسط حشد من الجماهير في احتفال كبير: كما يعلم جميعكم، لقد بلغت "في" الثامنة عشر من عمرها حين كنا هنا. كان الجميع حينها قلقين على فيرجينيا ورضيعتها وعلاجهم، لدرجة أنَّ "في" طلبت مني ومن السيدة أوفلاهرتي ألاّ نذكُر يومها الخاص، ولم نفعل. لكننا لم نستطِع نسيانه يا "في". ولدينا هدية لك. إنها ليست منيٍّ فقط، كما سترَيْن. وبالتالي، هذه هي مُهمتنا السرية.

أزاح إد طبق "في" وآنية المائدة الفضية، ووضعت زوي هديتها على

المائدة، ووقفت "في" وفكّت الشريط الأرجواني، ورفعت الورق المغطّي للهدية وحملقت بدهشةٍ لهديتها.

كانت لوحةً في إطارٍ ذهبيٍّ حسِن.

هتفت زوي: إنها البلازا التي في روما. آوه يا إد، إنها المكان الذي وَجدنا فيه أنا وزوي الصغير ألبرتو كونستانزا! وبالطبع، أنا أعرف الرسّام. أنه عمل ليستر، لكن كيف؟

قالت زوي: لقد رسمها لأجلك قبل أن نغادر أنا والسيدة أوفلاهرتي روما، قالتها وهي تكاد تنفجِر من الإثارة. وأكملت: وجلبنا الكنفا معنا وكانت مهمتنا السرية هي أن نضع له إطار على عيد ميلادك الثامن عشر. تذكُرين اليوم الذي أتى فيه السيد لكروا لزيارتنا أنا والسيدة أوفلاهرتي وذهبت أنت فيه للعيادة؟ لقد قلنا لك يومها أنَّ لدينا القليل من التسّوق لنقوم به. وأنت اعتقدت أننا نقوم بشراء شيء تافه، لكن في الحقيقة، كنا نُحضر هذه الصورة وكنت أحتفظ بها في دولابي من وقتها. و ننتظر الوقت المناسب لنمنحك إياها. فها هي مهمتنا السرية!

لم تستطع "في" تحريك عينيْها بعيداً عن الصورة وقالت: لكن أُنظري ما صنع ليستر، وجوه الناس! كل الناس الذين في البلازا أناسٌ أعرفهم. هذا ألبرتو وعائلته، ورجل الشرطة وبائع الزهور. تعالَ وانظُر يا إد، ليستر رسم نفسه وميسي جالسة مع زوي و السيدة أوفلاهرتي بالمقهى الذي كان هواؤه نسيماً. وها هي السيدة الحزينة التي في الفندق- إنها جالسة وراءهم بالضبط. كلُّ واحدٍ كما أتذكّره بالضبط. لكن كيف عرف؟

شرحت زوي قائلة: لقد نسيتِ كراسة الرسم الخاصة بك ومدير الفندق عثُر عليها وأعطاها لبابا الذي بدوره أعطاها لميسي وليستر. وهذا ما ألهَمَ ليستر لرسم هذه اللوحة.

قالت السيدة أوفلاهرتي: لقد قال أنك استمتعتِ بكلِّ مغامرتك بروما. ولو نظرت للوحته ستعود حينها تجاربك واضحةٌ لمخيِّلتك.

كان على "في" أن تجلس، فقد كانت الذكريات تفيض داخلها، ووجدت نفسها تضحك وتبكي في نفس الوقت.

قال إد وهو ينظر من فوق كتفها ويشير: أُنظري هذا أنت أيضا يا "في". أُنظري، خلف عربة الزهور، أنت وجدِّي.

قالت زوي: ووالدي أيضا هناك - متحدِّثاً لد.دي ماركو والسيدة واردن بجانب النافورة. حين ترين الجميع مع بعض هكذا، شيءٌمذهلٌ. أعني أنَّ العديد من الناس تلاقوا وأثروا في حياة بعضهم البعض في بضع أسابيع قليلةٍ فقط.

كانت "في" بالكاد ترى بسبب الدموع التي تملأ عينيها، فمسحتهم ونظرت لأعلى لزوي والسيدة أوفلاهرتي وقالت: أشكركم، شكراً جزيلاً. لم أتلقَ أبدا هدية بمثل هذه الرّوعة.

قالت زوي بضحكة سعيدة: ربما يستطيع ليستر رسمنا كلنا في نيويورك.

قال إد: لكن لدينا موسيقى لنتذّكر نيويورك. فالمقطوعة الايرلندية تأليف إيان أوفلاهرتي ستجلب دائما كلَّ ذكريات نيويورك لأذهاننا. وابتسم للسيدة أوفلاهرتي. التي قالت بابتسامة عريضة: والفساتين. لفت التعليق كلَّ انتباههم، فنظر كلٌّ من إد و"في" وزوي إليها بفضول.

فقالت السيدة أوفلاهرتي: فقط فكِّروا في الأمر. فكِّروا فيما حدث في الشهر الأخير. فكِّروا كيف قاد الله "في" والسيدة كونللي للعُثور على فيرجينيا وابنتها وأعادهما للمنزل مرة أخرى. فكِّروا في كيف قاد الطريق "في" لد.فرايزر. وكيف قادت صداقة إد لآل ديسبارد لمقابلة السيد لكروا. وكيف قصص عادية قصَّتها على زوي حرّكت قلبها الطيب وحقَّقت حلم حياتي. أنا لا أؤمن أبدا بالصُّدف، وأؤمن بيد الله المرشدة. فهو يجعلنا مستعدين لنقاط التحوُّل. ويدعنا نختار أيَّ اتجاه نسلُك. وقد أرشدنا جميعا إلى نيويورك ومنحنا الفرص للقيام باختيارات. وآيا كانت الأخطاء التي ارتكبناها، فقد تعلمنا منها. لكن اختياركم الأساسي يا أصدقائي الأعزاء الشباب قاد لسعادة كبيرة لآخرين.

علَّقت "في" بنبرةٍ حائرةٍ: لكنك قلتِ فساتين، فأنا لا أفهم ما دخل الفساتين في كلِّ هذا؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: يجب أن تذكُري من أين بدأت. كانت عيناها ترقُّص بروح الدُّعابة وأكملت: زوي كانت تحتاج لفساتين جديدةٍ.

فهتفت "في": وهذا ما أتى بنا لنيويورك وللعديد من نقاط التَّحول!. إنَّ الله يحرِّكنا بطريقة غامضة!

فضحكوا كلُّهم وتعانقوا، لكن الكلمة الأخيرة كانت من نصيب إد، فقال وهو يهزُّ رأسه بمتعةٍ: فساتين زوي. حسنا، لقد تعلمت درساً آخر، وأدين فيه بالشكر لثلاثتِكم. فأنا لن أضحك أبدا مرة أخرى على أحاديثكم عن الحرير والساتان والأهداب والحواشي.

فقالت "في" مغيظة له: أو أقفاص الدَّجاج؟

فقال: أعدُك من الآن يا أختي الصغيرة، أن تكون أقفاص الدجاج للدجاج فقط وليست موضوعاً للدعابة. فسأكون رجلاً أحمقاً بحق لو خاطرتُ بمضايقة مثل هؤلاء السيدات البارعات والحكيمات والعاقدات العزم.

ثمَّ مسحَ شاربه وأضاف قائلاً: لا يمكنني حتى تخيُّل ما ستكون عليه مغامرتكم الجديدة يا سيداتي، أو إلى أين ستقودكنَّ، لكن أيًّا كانت، أرجو أن تدعونني لأكون معكم في الرحلة.

نُشجعك على اقتناء سلسلة «فيوليت ترافيلا» والتي تقودك لـ «حياة الإيمان»

مخاوف فيوليت الخفية



فيوليت ترافيلا فتاة مراهقة، نشأت في سنة ١٨٧٧ في فترة حساسة جداً في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانت في طور النمو والتوسع. ففي خلال تلك الفترة_ النصف الأخير من القرن التاسع عشر_ وهو عصر الابتكار والاختراع، نشأت بطلتنا «في» بين أسرة واسعة الثراء، مؤمنة، مترابطة. وهي فتاة مرهفة الحس، خلاَّقة، ومُبدعة، فنانة (تحب الرسم والتلوين).

وهي مُقرّبة جداً من والدها، وتشاركه في العديد من الصفات الرائعة، بما في ذلك سرعة البديهة، وحس الدُعابة، وحب السفر والمغامر، واستقلالية الروح والذي يؤدي إلى التفكير بطريقة غير تقليدية.

ولأنها فتاة حساسة جداً، فهي حساسة تجاه مشاعر الآخرين، وهو ما يؤدي أحياناً إلى إخفاء مشاعرها عن الآخرين حماية لنفسها أو للآخرين، كما يؤدي أيضاً لإنعدام الأمن. فلديها القليل من الثقة بالنفس، مع أنها واثقة جداً ومؤمنة جداً بالله.

تُرى كيف يكون ذلك.. وكيف يكون المخرج من كل هذا؟!

تعال واستمتع مع ملايين الفتيات اللاتي تغيرت حياتهن من جراء هذه القصص!

صيف فيوليت المذهل



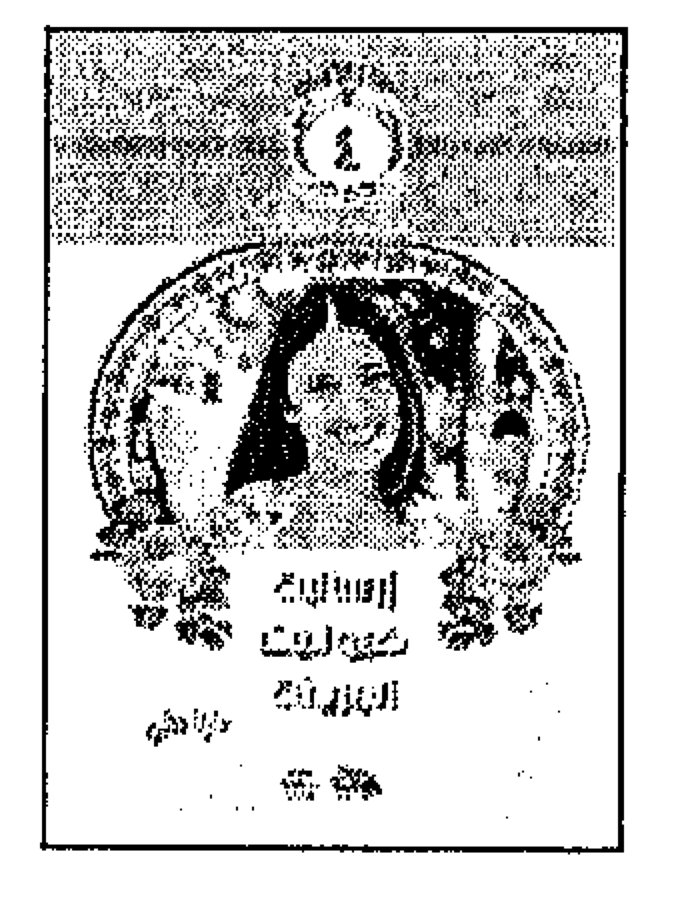
فيوليت ترافيلا على وشك الشروع في رحلة إيمان جديدة لا تنسى، والتي تبدأها بمقاومة لتلك الدعوة لقضاء شهر في اوهايو مع العمة الثريه. فتلك أول رحلة كبيرة لها بدون عائلتها ، وليس لديها أدنى فكرة عما سيآتى لها في هذه الرحله في النهاية. فهي الآن تناهز الخامسة عشلار من عمرها، وستتعرف على أعضاء جُدد لعائلتها، وكذا أسرار عائلية جديدة. وسوف تتطرق لمعارف جديدة في حياتها. ولكن عندما قبلت العطلة بما قد تتوقعه من المرح الذي قد يملأ العطله تتحول فجأ إلى رحلة رحمه ، و فيوليت ، وبعون الله ، ستكون قادرة على مساعدة اولئك الذين هم في أحوج الحاجة للمساعدة.. كيف؟ ستكشفين ما قد يحمله هذا الصيف بدوره لفيوليت ، وكيف استعدت لمواجهة التحديات التي تنتظرها في تلك الاراضي عبر المحيطات؟

نقطة تحول فيوليت



فيوليت في الكتاب الثالث من سلسلة "حياة الإيمان" تقوم برحلة إلى مدينة نيويورك، هي وصديقاتها. وهم يتوقعون إجازة صيفية مليئة بالتشوق والتسوق، وزيارة للأماكن السياحية، والمناسبات الاجتماعية في أمريكا، وللأماكن الأكثر إثارة بالمدينة، إلا أن الأمور سرعان ما تصبح معقدة. إذ يُفقد أحد صديقاتها بشكل غامض وغريب وهو ما يقود إلى وضع مأساوي، وهو وضع لاختبار الثقة والتحدي لما يعنيه أن تكون مسئولاً عن الآخرين، فلن تكافح من أجل حماية الآخرين من الأذى، هو إرادة دوام الإيمان، أليس كذلك؟

إرسالية فيوليت الجريئة



تتحدّث القصة الرابعة لفيوليت ترافيلا عن عودتها للجنوب حيث محبوبتها أيون، بعد أن أخذتها مغامراتها الحديثة لأماكن مختلفة مثل مدينتي روما ونيويورك. وذهابها لمدينة ساحلية ليست بعيدة عن مزرعة آل ترافيلا كي تحاول تطبيق ما تعلمته من الآخرين وإتمام التزامها الشخصي بالخدمة. لكن لن يكون تحقيقها لهدفها هذا سهلاً. فسيوجد العديد ممن سيشكّون في صدق نواياها، كما سيحاول البعض بشتّى الطّرق إيقاف تقدّمها، ولو بطرقٍ غير شرعية ومُؤذية



في مجتمع مُوّجه تماماً لفكرة أن الجمال مُهِمّ، قد يكون من الصعب بالنسبة للبنات الصغيرات إدراك معنى الجمال "الحقيقي". حسناً، في هذا الكتاب الجديد، الفريد من نوعه، والخلّاق للبنات من سن ٨ - ١٢ عام، تردّ نانسي رو على الأسئلة الشائعة التي تطرحها البنات. في هذه المرحلة الغريبة غالباً من حياتهم.

وحيث يمتلئ بألغاز مرحة من نمط ألغاز المجلات وأنشطة تثير الخيال، فإن كتاب الجمال يعرض معلومات هادفة عن كل شئ بدءاً من الشعر السليم حتى الوشم، بالإضافة إلى موضوعات أخرى كثيرة. لكن الأهم من ذلك، هو التركيز على رسالة أن الثقة بالله أمراً جميلاً في كل صفحة.



انتقالُك من بنت صغيرة إلى مُراهقة يجعل سنوات " المراهقة" فترة تغير كبير- وخصوصاً في جسمك! ولكل أسئلة المراهقة التي تخطر على بالك، يقدم كتاب الجسم للبنات كل شئ من البلوغ والتقلصات إلى الريچيم والتمرينات.

كتاب الجسم ملئ بالألغاز المرحة و النشاطات الرائعة، ولا يعرض مجرد معلومات دقيقة حديثة عن الموضوعات الشخصية التي تختبرها البنات، بل يناقشها أيضاً من منظور كتابي إيجابيٍّ.

أحياناً؛ بين سن ٨ - ١٢ عام يمكن أن تحدث لاشياء مريحة، وخصوصاً للبنات الصغيرات. فالأشياء التي كانت البنت تعتبرها عادية مع ماما أو بابا لا تصبح عادية فيما بعد. وفيما تبدأ حوافز إثبات النفس و الإستقلال عن الأبوين، يُمكن أن تظهر مشكلاتٍ كامنةٍ بسهولة. كتاب حياتي مصمم لمساعدة البنات الصغيرات على إيجاد التوازن في صراعهن من أجل الإستقلال، ومن هنا يمكن أن تصير البنات ليس فقط على أفضل صورة لأنفسهنّ التي يقصدها الله.





كي تكوني فتاةً مبدعةً، ليسَ عليك أن تكُوني موسيقارة، أو فنانة، أو حتى كاتبة، لأنَّ كل إنسان يتمتعُ بلمسةِ إبداع. وعمل المؤلفة نانسي رو " كتاب الإبداع" يساعد البنات على اكتشاف أنفسهن المبدعة مهما كانت. "كتابُ الإبداع" كتابٌ مُتألقٌ، وعَصريٌ، ومرحٌ، ويمتلئُ بالأنشطةِ التي سوف تُحبها المراهقات لأنها سوف تحفزهنَّ على استكشاف إبداعِهنَّ وعلى الحياة بصورة مُختلفة.

قَدْ يَبْدو ذلك مُفاجِئًا، إلا أنَّ القِيَمَ والفضائل التي نُلخصها هنا بعنوان «الإلتزام» مهمة للبنات مثلك في هذه الأيام. فبينما الشبابَ لا يُطالبون بإدراك كلي: ما هم، فأنت، على الأرجح، تَحْتَّين المعْرفة أكثر. لأن القِيَمَ والفضائلَ يُمكنُ أَنْ تَكُونا مفاهيمًا مُجرّدةً جداً للتَعريف، وكتابِ الإلتزام يَعْمل كموردٍ ممتازٍ في وقت أنت فيه تُطوِّرين استقلالَكَ وأفكارك.



يعرض نصائح ومهاراتِ البناتِ النافعة لتَحْسين عادات الدراسة، والروح الرياضيةِ، والعلاقاتِ، والأكثرِ من ذلك، تَحَلَّ المُؤلفَة الأكثر رواجاً «نانسي رو» اللغز بالتَزويد الواضح، والمتماسك، مُستندَةً على أمثلةِ كتابية التي تستطيع البناتِ فَهْمها بسهولة وتطبيقها على حياتِهم.

التأديب ...... أليس هذا معناه أنكِ ثابتةٌ؟



نانسي رو تشير إلى " التأديب" بأنه التمرين الذي يطور العادات الروحية الإيجابية والمستمرة، طول الحياة. العادات مثل الصلاة، ودراسة الكتاب المقدس، والتكريس، والبساطة، والاعتراف، والعبادة، والإحتفال هى أنظمة روحية أساسية لمساعدتك في " السلوك". افحصي اختبار النفس وتعلمي بركات الوحدة والخدمة فيما تكتشفين طريقك الشخصي في رحلتك الروحية.

كان الأغنياء والفقراء في نيويورك أواخر القرن التاسع عشر لا يفصلهم سوى عدَّة تجمُّعات مدنيةٍ قليلةٍ، لكن يمكن أن تكون في نفس الوقت بمثابة محيطٍ. فحين أخذ صحفيٌّ يدعى جاكوب أوجست ريس، مهاجرٌ من الدانمرك أيضا، كاميراته وذهب للمنطقة الفقيرة في الجانب الشرقي السفلي- أفقر أحياء المدينة- وسجَّل الظروف المعيشية التي رآها خلال حياته كمحررٍ بوليسي. ودوَّنها في كتابٍ تحت عنوان « الطريقة التي يحيا بها النصف الآخر» (عام1890م) روَّع كتابه العديد من الناس الصالحين الذين من ضمنهم ثيودور روزفلت، الذي كان قائد شرطة مدينة نيويورك حينها. كان لريس تحيُّزه الشخصي أيضا، لكن يعتبر كتابه واحداً من أهم الكتب التي تحثُّ على الإصلاح الاجتماعي في الولايات المتَّحدة على الإطلاق.

نرى في «نقطة تحول فيوليت» شيئاً مباشراً عن الأوضاع التي وصفها جاكوب ريس. كما سنرى أن ما تعلمته في المدينة سيكون له تأثيرٌ عميقٌ على إصرارها على أن تحيا حياة الإيمان والخدمة.





I S B N 977-384-113-8
20 L.E
[977-384-113-8] تحول فيوليت